

جمهورية مصر

قصة مصرية

الثمن ١٥ قرش

الرفاء

إلى المثل الأعلى للمرأة المجاهدة
إلى من علمتنا كيف نضحي في سبيل الوطن.
إلى الزعيمة المحبوبة صاحبة العصمة هدى هانم شعراوي

ومنها ومنى

إلى البطل المجهول

إلى الجندي الشهيد (هدى)

إلى من يخدم وطنه بلا ثمن

إلى من عاش لوطنه ومات في سبيل وطنه

جمعية المطالعة

48

الفصل الاول

من وحي الأسكندرية

كان البحر يتغنى بأهازيج الأصيل منشدا على مسامع الكون
أغنيات الثورة آنا والهدوء أحيانا مداعبا الشاطئ في حنو
الإلف الخليل باعثاً من وراء اللجة قبلا تحملها الموجة لتطبعها على
جبين الثغر في رعشة فيها يقظة الحياة إذا عانقها النسيم المعطر
بشذى الربيع الزاهر

وكان الوقت حالما حيث بدأ الهدوء يتسرب في قلب كل
كائن بعد ثورة شملت الوجود في يقظة النهار المكدود
في هذا الوقت كانت (فتاة) تسير وحدها على الشاطئ
تأمل البحر الزاخر الذي بدأ ينفذ عنه معلق به من آثار
جسوم البشر مستكننا إلى الدعة والراحة بعد طول عناء
وراعها مشهد البحر فاتكأت على حافة (الأفريز)
وراحت تتأمل البحر وقد بان كأنه اتصل بالأفق وكلما بدأ
الليل يتسرب إلى السماء تلاشت حدود البحر في قلب الفضاء حتى
صعب عليها أن تفرق بينهما ...

طبيعة ساحرة جل الله الذى جعلها نعمة خالدة...

تابعت خطاها وهى مأخوذة بجمال الطبيعة البادية وتنبت
مشاعرها لاستيعاب الحياة فودت لو أنها تظل مغمورة بهذا
الهدوء بعيدة عن ضوضاء الدنيا واشتد الظلام وخافت أن تصطدم
بأحد المارة أو بإحدى العربات ففكرت فى العودة .. ولكنها
لم تكد تسير بضع خطوات حتى تذكرت أنها خرجت لى
تذهب إلى السينما لرؤية فلم جديد مصرى .. وسرعان ما اتجهت
شطر السينما وكانت بالقرب منها ..

وبعد أن استقر بها المقام تطلعت حوالىها فى حذر تتأمل
الوجوه المشرقة التى تفيض بالسحر والفتنة والعيون التى تنم عن البراءة
أو الدهاء والأسارير المتمللة التى تفيض بالبشر وأخرى متجهمة
تبث لمحاتها معانى الشقاء

خليط من ألوان الفرحة والألم والبشر والأمل والثورة
والرغبة والهدوء والاستسلام

ورأت البعض ينظر للبعض فى شغف ونهم والبعض ينتظر
ظهور الفلم فى جد وهدوء ...

ولما ظهر أول مشهد سمكت البعض ليشاهد المنظر وظل

البعض يتحدث في شأنه ويتأمل رفيقه .. وفهمت الفتاة أن بعض
هاته الأخلاط والشييع لم تأت، لتشهد الفن أو تتملهه .. بل جاءت
لتتسلى أو تقضى الوقت في مسامرة بعيدة عن ضوضاء المجتمع
وعيون الرقباء .. وآلمها أن يكون بجانبها رجلا بجانبه فتاة راح
يسمعها كواذب الكلم بأسلوب معسول حتى إذا ما أضيئت الأنوار
وكشفت الوجوه ، اختفت صناعة التغرير وإذا حلم الظلمة بددته
أضواء اليقظة ...

وكانت هي الأخرى قبلة بعض الأنظار فقد كان منظرها
وهي ساكنة وحيدة تحقق بعيداً كالطفل الذى يبحث عن
نقطة ارتكاز السماء بروح منسجمة هفهافة تود لو تخرج من الجسد
لتحلق في السماء باحثة عن السر الخفى الذى يعيش من أجله الأحياء
متحملين متاعب الدنيا وصدمات القدر وعنف الأيام ان شابها
من المحن شائبة

ورغم الهدوء الذى يملكها فقد بان مغرية كأنها فتنة
مسحورة تقمصت روح حياة ثم تجسمت الروح فكانت هذه الفتاة
فى قلب العذراء أحلام الدنيا وآمال الوجود وفى ذهنها خواطر
مستقبل غامض غير محدود .. فهى تتطلع إلى كل شيء وتحلم بكل
شيء وتشتهى كل شيء ...

وتحزن لأنها أعجز من أن تمال أى شيء ...

شغلها هذا الحاطر وساءلت نفسها ما عساها تفعل لو أنها كانت
قادرة على تحقيق كل شيء وابتسمت لهذا الخيال ثم تصورت نفسها
أم المؤمنين خديجة- شجرة الدر- أوجان دارك .. كانت أم المؤمنين
عظيمة وجليلة ورحيمة

وكانت شجرة الدر حكيمة وجان دارك شجاعة ... وفي الرجال
من هم أحكم وأشجع وأعظم وما زالت الدنيا كما لو كانت خالية من
الحكمة والشجاعة والعظمة عامرة بالتقاتل والتناحر والذلة
والعبودية؟؟ .. وجذبتها مشاهد الفلم فتناست هواجسها وسرحت
بخيالها مع حوادث قصة «السينما» حتى لاحت لها الفضيلة تلعب
دورها بمهارة في طيف بطل القصة فارتاحت لذلك المشهد وقالت
لنفسها لولا وجود بعض أفراد يحملون رسالة الفضيلة لكانت
الحياة جحيما لا تطاق

ولجأة انتفضت في ذعر إذ أحست وقع يد تربت على كتفها
وحسبته في أول الأمر متهجما جريئا أو شابا وقحا وجد من
الظلام ستارا ومن أنوثتها البادية اغراءا فليجأ إلى مثل هذا العبث
السخيف وانتفضت غاضبة وقد ملكتها ثورة الفتاة المتحصنة
وصففته على صدغه .. ولكن سرعان ما أرخت يدها في خجل باسمه

أوه (عبله) وهتفت الأخرى ضاحكة (أمانى) وهنا تعانقا فى
حرارة وتصافحا فى حب وحنان ثم أفسحت لها (أمانى) مكانا
بجانبا وهى تقول ضاحكة .. أظن قبل يوم كامل لانتكفى لغسل
هذا (الآلم) فضحكت (عبله) قائلة .. انه ألم نشرح لك صدرك .
قالت — أمانى — فرصة سعيدة يا عبلة .. كنت فى حاجة إلى
من يؤنسنى .. وها أنت خير من يملأ فراغ وجودى .. ولكن أين
كنت منذ دخلنا ؟ .

عبله — لم أرك غير اللحظة وأنا ألفت خلفى على أثر ضجيج
السكرارى الذى حدث ..

فجذبنى نورك من بعيد

أمانى — عبلة . دائما تخجائى بمدحك ، ألاتخافين أن يملكنى
الغرور فاتجنى عليك ؟؟ ...

عبله — فى تجنيك حلاوة العسل المصفى ..

تحدث جلبة فى الصالة .. فتأففت أمانى قائلة .. متى نعرف أصول
المجتمعات ؟ ولماذا لا يحاكم كل من يحضر دور السينما والملاهى
— مخمورا — يجب أن يهذب أمثال هؤلاء بالقانون مادامت التربية
البدائية لم تهذبهم ...

تصورى هذه الشناعة على مرأى من الفتيات والصغار والأطفال

عبله — حقاً ، النساھل فى هذه الامور البسيطة يجر على الافراد والجماعات شرا وييلا — على فكره — أخى معى (وتشير بيدها حيث يجلس) — أظن الافضل أن نجلس بجواره لنكون فى حماية رجل على الاقل

أمانى — مبتسمة — إذا عجزنا عن حماية أنفسنا لايمكن أن تحمينا أى قوة فى العالم .. أن القوة والضعف كامتنان فى كيان كل مخلوق . انما يعوزه كيف يحمى نفسه ويعرف حق غيره ودنا تقودها — عبلة — فى رفق وتتخطى بعض الصفوف حتى تبلغ شقيقها فتقدمها إليه — صديقتى أمانى — يحييها — أهاب فى احترام مرحباً بها ..

وتحس — أمانى — بمخدر جديد يوقظ فيها شعورا غامضا يشوبه الخوف والقلق والارتباك ويتنبه خفرها — إذ هذه أول مرة تجالس فيها شابا غريبا عنها حتى أقاربها من الرجال لا تختلط بهم ولا تجلس إليهم كما عودها أبوها ولكن البيئة الحديثة التى انتقلت إليها أفهمتها أن ذلك ضعفا وجهلا لا يليقان بفتاة مستتيرة .. لذا تجاهد نفسها لاختفاء اضطرابها لى تبدو أمام الشاب الغريب هادئة لأول مرة يرى — أهاب — فتاة رزينة هادئة تجمع بين الجمال والاحتشام وبين اللطف والوقار وبين جاذبية الشباب الساحرة

وحكمة المرأة العاقلة .. وقد تعود ألا يجتمع إلا بفتيات طائشات
يعتقدن أن اللهو من ضروريات المرأة الحديثة .. وقارن في نفسه
بين فتاة لا شأن لها في الحياة غير اللعب وارتداء أنفخ الثياب وارتداد
المسارح والملاهي ومراعاة « المودة » في كل شيء غير عابثة
بمسئوليتها نحو أسرتها ووطنها وما يجب عليها أن تقوم به لتدعيم
حياة طيبة للرجل تعينه على القيام بمهام أعماله الخارجية المتعبة الشاقة
وبين فتاة — كهذه — محتشمة وديعة تنظر إلى الحياة جادة
غير عابثة مقدرة بمسئوليتها كنصف مسئول أمام الله عن توطيد
الإنسانية على دعائم الخير والسعادة ..

وقد فهم ذلك من ملاحظاتها التي كانت تبديها بين الفينة
والأخرى لتعلق على بعض الصور المتحركة حتى قالت أخيراً عندما
ظهرت صورة مشهد لا يتفق مع الكرامة والمثل العليا ، ماذا يكون
حال الصغار في المستقبل إذا رسخت هذه المشاهد المريعة في أذهانهم
يجب أن يمنع الصغار من رؤية أمثال هذه القصص

وهنا وجد «أهاب» الفرصة سانحة للتدخل في حديثهما ورغب
في تعرف نواحي ميولها لكي يربط بين ظاهرها وباطنها فسألها
عن رأيها في السيناريو المصري فأجابته في تودة ولباقة كائن ذهنها
كان على استعداد للسؤال .. كل الأفلام محدودة الأفكار لم تبلغ

ذروة الفن بعد ، ولعلك لاحظت أن كل ممثل أو مطرب يخرج
عدة أفلام لم يستطع أن ينوع ، فمثلا عبدالوهاب .. فى جميع أفلامه
هو عبد الوهاب الذى نعرفه وان اختلفت المناظر : وأم كلثوم فى
جميع أفلامها هى أم كلثوم التى نعرفها

عبدنا أن الممثل أو المطرب هو واضع فكرة السيناريو وطبعى
لا يمكنه الخروج من حياته الخاصة ، إذن يعوزنا المؤلف الذى يخلق
الممثل وينقله فى عوالم متنوعة بسرعة تنقل إلينا دنيا حافلة بما يعوزنا
وينقصنا ويتم منقوص خيالنا وتفكيرنا فقاطعها .. اعتقد أنه
لا يمكن للممثل أن يخرج من حياته الخاصة

قالت : لا أعنى أن يتكلف حياة أخرى . إنما أريد أن
ينوع الفكرة فالممثل المتشائم يظهر فى فلم — مثلا — متشائماً
ولكن الظروف تعالج تشاؤمه وتخلق منه متفائلاً ناجحاً ثم
يظهر فى فلم آخر بطبيعته — مادام التشاؤم طبيعة فيه — ولكن
يستبد به ذاك الوهم فيقضى عليه ...

هنا لا يخرج الممثل من دنياه ولكنه يعرض علينا صوراً
شئى منوعة تكون كدراسة عملية للتفرج — ويقينى أن «السينما»
هى الدراسات والتجارب العملية التى تعلم الشعب خفايا الحياة
ليتمكن من اختيار أقومها بقدر المستطاع ..

من هنا يتضح لنا أننا في حاجة ماسة إلى الحياة المثالية التي ننشدها
كحاجتنا إلى تصوير الحياة الواقعية التي نحياها .. الأولى تبث في
نفوسنا دون وعي منا الأمل المثالي الرفيع وتوقظ في قلوبنا مشاعر
الحق والفضيلة وتلهمنا تفكيراً جديداً صريحاً ، والثانية تنبه مداركنا
لأستيعاب الغامض المجهول بقدر مواهبنا

قال ... ان القصص إذا خلت من المهازل والمآسى كانت سمجة
جافة .. والناس ألفت اللهو والعبث

فقاطعته — أنا لا أفرض تجريد القصص من تصوير الرذائل
والحسن والـ كن الأصوب عرض صور تلهم الفضيلة بجانب صور تبعث
الاشمئزاز في النفس من الرذيلة فيعافها المتفرج .. فتبث الروح
الطيبة في الصدر بوساطة الشعور ، فالمرءي مثلاً إذا قال للطفل يجب
أن يصدق لأن الصدق فضيلة — لا يفهمه الطفل مطلقاً — وإذا
فهمه لا يقدر قيمة الصدق .. ولـ كنه إذا عرض عليه صور حياة
رجل صدق دائماً فنجح ووفق وصور حياة رجل كذب ففشل
وشقى : فهم الطفل واحتذى حذو الصادق دون عمد ..

وهكذا ظلت تتحدث في هذا الشأن في صراحة ولباقة ثم
تطرقت إلى موضوعات مختلفة حتى قال ، معك الحق .. اذكر
أننى كنت أكره الريف ولا أستطيع أن أتصور احتمال المعيشة

فيه يوما واحدا .. ولما تخرجت من الجيش سعيت جهدى لكى
أظل فى القاهرة .. وفعلا نجحت .. حتى العام الماضى شاهدت
فلما مصر يا تجلت فيه روعة الريف المصرى .. تلاشى بغضى وشعرت
برغبة ملحة تدفعنى إلى السعى للنقل فى إحدى المدن القريبة من
الريف ومنذ ذلك الوقت وأنا أحب المعيشة فيه ..

فقاطعت أخته (عبلة) و لكك كنت تحضر مرارا هروبا
من الحياة هناك .. تصورى كان يدخل وقبل أن يحى أهل البيت
يفتح المذياع لسمع الموسيقى أو يأمرنى بالعزف على البيان
أو يخرج مسرعا لسمع أحد المطربين فى إحدى الصالات
قال — أجل لأننى أحب الموسيقى حبا ملك على أمرى .
وهى عزائى فى غربتى فما رأى الآنسة فى ذلك

قالت .. أعظم النفوس .. النفس التى تفهم الحياة من النغم وتجاوبها
بالنغم .. ما سمعت موسيقى ، إلا خيل إلى أن أبواب السماء تفتحت عن سحر
الملائكة أو سكان الجنة

قال — وما رأيك فى الفنان المصرى ؟
فأطرت مليا ساهمة ثم رفعت إليه بصرها فبان العقل
الجبار من عينيها وقالت .. لو اجتمع فى الفنان ، المواهب مع سلامة
الشعور وصدق الضمير وصراحة الرأى وحب الفن .. لأدى بحق

رسالة الفنية ..

ولكننى أسألك أين الفنان المصرى الذى خلق شعبه؟ ألمانيا الحديثة خلقها فنجر الموسيقى وهو الذى دفع هتلر بموسيقاه إلى الوحشية الطاغية!! ولو كانت موسيقى فنجر تبعث على الرحمة والعدل والإنسانية المطلقة لكان هتلر اليوم أخا مطامع روحية هائلة .. والمهم هو أن الموسيقى خلقت شعباً ..

فهل استطاع موسيقار هنا فى مصر أن يخلق زعيماً أو ينشئ شعباً تذبذبة جديدة تنتمى إلى موسيقاه .. نحن فى حاجة إلى الفنون الخالقة التى تبعث القوة والمثل العليا فى كل فرد ومجموع

كانت تتحدث فى حماسة كما لو كانت تخاطب جمهوراً — لكن بصوت هادئ خفيض — وكان الشاب يستمع إليها كالمسحور حتى سكنت فقال ، ان أراءك هذه تكشف عن عقل ناضج وقلب حساس قالت — أعتقد أن هذه الآراء كامنة فى ذهن كل من لمس بروحه حقائق الفن وبهذه المناسبة أذكر أننى قلت يوماً لفنان جمعتنى به ندوة أدبية : لماذا لا تجعل من صحيفتك منبراً تسمع منه الصم آيات الإصلاح والتعمير

فضحك متهمكاً وقال — أتريدى يا آنستى أن تولد الصحيفة فى أسبوع وتموت فى الأسبوع الثانى — أنسيت أننا نعيش فى

مصر !!! وقل من يفهم الأدب الرفيع ويقبله الجمهور هنا يا آنسة
يمل الجد ويزهده ويتعلق باللهو والعبث ويحبهما
فضحكت بدورى ساخرة قائلة .. مما يثرسف له أن المادة طغت
على المعنويات إلى حد لم يمد للروح مكانا وسطعت أضواء المادة
بل وحكمت الشقوب ... وهذا طبعى ... فما دامت الأفراد تعجز
عن مكافحة المطامع المادية ومغالطة الغمائر فى سبيل ارضائها فلا
شك أن الجماعات كذلك !!!

انتهى عرض الشريط ولما سطعت الأنوار . اهتزت المقاعد
المترنحة وكثرت الأصوات اللاغطة وبدأ الناس فى الانصراف
وانتهز — اهاب — هذه الفرصة ونظر للعتاة ليتأمل حقيقة
ذاك الروح المتوثب الذى لمسه فأعجب به ايما اعجاب

وفى طريقهم للخارج — تنحت عنه والتصقت بصديقتها الكى
لا يظن من يراها بجواره أنها كالأخريات اللاتى يسايرن الرجال
ولكى لاتدع له مجالا لمخاطبتها فى الطريق واعله لاحظ ذلك لأنه
احترم احتشامها وحرصها فلزم الصمت طوال الطريق حتى بلغت
منعرج طريق يوصل إلى منزلها فاستأذنت لتسير وحدها ثم تابعت

خطاها بعد أن حيتهما ولم تترك له مجالا للكلام

ولما غابت عنهما .. أسف (أهاب) بينه وبين نفسه على
الفرصة السعيدة التي ولت سراعا وتمنى لو أنها طالت ريشما يهيء
منها فرصة أخرى للتعارف الا كيد !! ولكنه أدرك من حديثها
ومظهرها أن الفتاة حريصة عصية من الصعب عقد صلة تآلف بينها
وبينه بسرعة أو بسهولة ولما عاد إلى منزله شعر رغم هذا الظن
أنه مال إليها لأنها أجل مما عرف من فتيات وتحدث إلى أخته مظهرا
اعجابه بلباقتها وفتنتها وجمالها وحاول جهده ان يستدرج أخته ليعرف
منها كل ما يتوق للرجل ان يعرفه عن امرأة اعجب بها وقدرها او على
الأصح أحبها دون عمد ولكن أخته لم تظهر استعدادها لمسامرتها
لرغبتها في النوم واضطر ان يذهب إلى فراشه على مضض راجيا
ان تدور عجلات الزمان بأقصى سرعتها لكي يتحدث إلى أخته في
الصباح عنها

اما أمانى فقد عادت إلى منزلها خالية الذهن من ذكره ولم
يعاق بخيالها غير صور خاطفة لمشاهد «الفيلم» حتى ناهت واستسلمت
لنوم عميق هادىء !! لم تشبه أية هاجسه

وفي الصباح دق جرس التلفون وكانت بالقرب منه فلما تكلمت

سمعت صوتا غريبا يسأل عنها . ريعت واضطربت وغمغمت
من يطلبها .. قال .. عبله.. قالت .. آه عبله .. انا امانى..
قال .. الصوت .. أسعد الله صباحك .. انا اهاب .. شئت ان
اعلمن عليك فقد آلمنى ذهابك وحدك امس .. ولكننى احترمت
رغبتك لاني فهمت انك تريدن السير بمفردك
قالت فى جد — اجل .. شكرا .. اين عبله ؟
قال .. مازالت نائمة .. لاني اليوم الجمعة .. وهى كسول ... وفهمت
انه يريد ان يطيل الحديث .. فقالت .. اذن بلغها تحياتى — وتركت
الساعة : فى هذه اللحظة فقط مربحيا لمخاطيف — اهاب — واستعادت
صورته فلاح لها قوامه المعتدل وبنيته القوية ولونه الاسمر الذى
لفحته الشمس فبان متوهجا ونظراته الحادة وصوته الذى يشبه
خفقات قلب سريع الحركة وتجسم هذا الخيال وظل بعض لحظات
امام ناظرى خيالها حتى انتعشت جوانحها تحت تأثير منبه خفى
ولكنها هربت منه لتمسك منه بذيل الارادة والحرص وهمست
فى اذن قلبها : مالى أنا وماله ؟ انه رجل كائى رجل : يريد أن يتسلى
وإزاء هذا الخاطر ارتاحت وتناست خياله ومخاطبته وصح عزمها
على أن تقاوم تغريره ان حاول لتظل عفة بعيدة عن أباطيل المجتمع
ثم مضت الساعات تباعا وهى لاهية بمطالعة الصحف وكلها داهمها

أى خاطر من قبل (أهاب) نفرت منه وتشبثت بأرادتها وقد
ساعدتها على ذلك خوفها من الرجل وتأثرها بما سمعته عنه من
أقاصيص لم تدع أى اطمئنان أو ثقة فى قلبها
وعصر اليوم حمل إليها البريد : كتاباً رقيقاً من « عبلة » ومعه
كتاب - آلام فرتر - هدية لأول مرة تكاتبها عبلة وترسل لها هدية
وتأمل كلمة الاهداء فإذا بها كلمة لطيفة بليغة لا يمكن أن تصدر من عبلة
وهى تعرف عنها أنها لا تجيد العربية ويصعب عليها مثل هذه الكتابة
وقضت بقية نهارها وشطراً من ليلها تقرأ فى الكتاب وهى مأخوذة
بروعة الاسلوب وجمال التصوير ودقة التعبير وقوة التعريب ولما
انتهت من الكتاب استسلمت لحلم جميل لم خاطبها فى التلفون ؟
ولم أرسل إليها الكتاب ؟ هذان السؤالان ظللا يراودان حسها
وكما اهدت لجواب أنكرته نظرية عالقة بذهنها من النظريات
التي تتعلمها الفتيات اللاتي نشأن فى بيئة محافظة شرقية أصلية تخاف
كل شئ وتحذر منه .. لقد عاشت العشرين عاماً خالية الذهن من
خواطر الحب المريض ولم تكن تعن بغير اليوم يمر فترفع وجهها
إلى السماء راجية أن تدور عجالات الايام بأقصى سرعتها لتجتاز
هذه المغارة المرهوبة وذياك التيه الموحش الذى يسمونه (الحياة)
ولعلها كانت متشائمة لأنها لم تجد طوال هذه الأعوام فى بيت أبيها
ما يبهج ويسر ولعلها أيضاً تظن أن كل ما فى الحياة كذلك لا يسر

على أنها اليوم تشعر أن الأرض قد اكتست جمالا والسماء
ازدادت صفاء وان نور الله قد انبعث في العراء فكساه جلالا
لذا فهي تمنى أن يقف الفلك — حيث هو — لتظل في غمرة هذا
الاحساس الجميل

لم ينم أهاب من ليله إلا غرارا ولم يكد يلمح نور الصباح
حتى هرع إلى أمه ليتحدث إليها ومع أنه لم يكن هناك ما يحمله
على التحدث معها .. ولكنه كان يشعر بأنه في حاجة ماسة إلى امرأة
يتحدث إليها .. لقد كان إلى البارحة لا يخاطب أمه أو أخته أو أهل
بيته الا لما ... إذ قلما يحضر إلى داره في النهار وفي المساء يعود
متأخراً بعد أن ينام أهل بيته ولكن الأم كانت تفسر عزله بحاجته
إلى الراحة لفرط عنائه وكانت تدافع عنه كلما نقدته أخته أو أقاربه
لطالما تحدث إلى نساء جميلات مغريات وتعرف إليهن وقطع شوطا
بعيداً في علاقاتهن ولكنه لم يشعر مطلقاً بحاجته الملحة — للتحدث
إلى امرأة كما يشعر الآن .. لقد كان قانعاً من دنياه بأن يتسلى مع
النساء حسب هواه، أما الآن فانه يتوق إلى حضان المرأة وحب
المرأة .. لقد كان إلى الأمس القريب يعبت بالحياة ويسخر من
الأوضاع ولكنه منذ سهر ليلته يتأمل الأفق كأن في كل نجمة لمحة

من لمحات (أمانى) وطالعه الشروق باسمها يحمل معه يقظة الرجاء
المنوئب والأمل الضاحك — تنبه — وأدرك أن فى الحياة أشياء
جديرة بالاهتمام غير اللهو والعبث ...

ودخل على أخته وهى ترتدى ملابس المدرسة وحاول فى
خبث ان يستدرجها لتحديثه عن صديقتها (أمانى) ولكن الفتاة
ساذجة لا تعرف ما وراء الرموز ولما عيل صبره قال — هل صاحبك
معك فى الفصل ؟

فابتسمت وقالت : تعنى (أمانى) أجل

قال : انها فتاة مدهشة ! أهى صديقتك ؟

قالت : أجل : لقد توشحت يديتنا عرى الصداقة منذ جاءت المدرسة

قال : يبدو عليها انها ذكية جداً

عبله : صحيح وهى لا تعتمد على درس المدرسة : دائماً تطالع

وتبحث وإذا قلت لها : حسبك معلومات المدرسة : قالت ؟

ان المدرسة توجه وعلى المتعلم أن يبحث ليختار الطريق الذى يوافقه

أهاب : انها عظيمة

عبله : لقد حضرنا مرة وقالت فيما قالت : يجب أن نتحصن

بالمعرفة لكيلا يحاربنا الزمن بسلاح الجهالة . وليست المعرفة فى

حفظ الألفاظ المرسومة فى الكتب . انما هى استيعاب كل ما يترأى

لنا وتفهم ما يحوط بنا وتحليل كل غامض لنذكر كل شيء على حقيقته
بقدر المستطاع فنتق الأخطار

أهاب : هذا تفكير فيلسوف .. لقد سبقت الزمن بتفكيرها
عبله : انها فيلسوفه : لقد حدث مرة أن المدرس كان يشرح
درسا ويقيم براهينه على نظريات علمية فقاطعته : أمانى : راجية منه
أن يثبت صحة النظرية عمليا : فأجابها .. هكذا علمونا وليس في
الوقت ما يسمح لتحليل نظريتهم لأن ذلك يبطل الدرس وأمانى
المنهج طويل !!!

فاغتاضت (أمانى) واحتدت قائلة : إن رسالة الدين لم تصل
عقول الناس إلا بعد أن أثبتها الله عمليا بالمعجزات فكيف
يمكننا أن نفهم شيئا لا نعرف عنه أكثر من كلمات مرصوفة
تلقن لتحفظ ..

فترفق بها المعلم وبدا عليه الأعجاب بها وقال .. هكذا يا ابنتي
تعلمنا وهكذا نعلمك

فلم تهدأ أمانى وقالت : لا أعرف قيمة الزهر إلا إذا شممت عطره
وهنا دقت الساعة السابعة والنصف صباحا فخرجت — عبلة —
تعدو مسرعة بعد أن حملها شقيقها تحية موجزة !! أمانى

قضت (أمانى) أيامها على غير ما كانت تقضيها في أيامها
الخوالى سارحة بخيالها في العوالم التى عاش فيها (فرتر) متصورة
شارلوت شبيهة بها .. أن ميول شارلوت ونزعاتها تماثلها ولو أنها
ولدت يوم ولدت شارلوت لما كانت الاشارلوت.. ولو أن شارلوت
ولدت فى عصرها لما كانت إلا هى .. وتذكرت حديث عبله عن
أخيها أهاب ... وعجبت لتقرب عبله إليها... لقد كانت حقاً صاحبته
ولكن لم تظهر لها من الحب مقدار ما تظهره لها اليوم : ولماذا
تدأب على التحدث عن أخيها بدون مناسبة .. ولماذا تدعوها
لزيارتها بالحاح !!.

فهمت (أمانى) ما ترمى إليه عبله من ذلك ولكنها تغافلت
لكى لا تخرج نفسها ..

وفى يوم ذهبت (أمانى) إلى المدرسة كعادتها وبحشت عن
صديقتها فلم تجدها.. وودق الناقوس ولم تحضر ثم مضت حصّة وتأتها أخرى
إذن غابت — عبله — ولما شعرت بفراغ هائل أيقنت أن
صديقتها خير أنيسة لها . حتى حان ميعاد الانصراف فأسرعت
إلى منزل عبله وهى أول مرة تزورها إذ لم تتعود أن تزور لداتها
وكانت مفاجأة سرت عبله حتى شاع الفرح على وجهها وهى تعانقها
فى حنان .

وبعد أن استقر بها المقام .. صورت لها ما عانتها في يومها من
وحشة وضيق لبعادها .. ثم راحا يتسامران ويتحدثان فيما يعنيهما
من شئون المدرسة والحياة . حتى لمحت — أمانى — على المنضدة
بجانب مقعدها بعض كتب فأسرعت تطالع أسماءها وهي تقول
هل بدأت تحبين الأدب يا عزيزتى .. ؟

فقالت عبله : أنا .. بدأت .. ولن أحبه مطلقا .. ان المطالعة
تضجرنى " لقد بدأت صباح اليوم فى رسم لوحة زيتية .. انظرى
ريثما أحضرها لك .. وتذهب لاحتضارها .. بينما تتلهى — أمانى —
بمطالعة بعض صفحات .. وقد رأت الكتب باسم شقيقها (هاب)
عبله : مارأيك ؟ ..

أمانى : ستكون لوحة بديعة جداً .. غدا تصبح رسامة ماهره
عبله : اسمعى .. انت أديبة .. وأنا رسامة .. إذن يجب ان
نشترك معا فى العمل .. انت تؤلفين وأنا أرسم لك غلاف الكتاب
وبعض مشاهدته ..

أمانى : فكرة جميلة .. صحيح ما أجمل أن نتعاون سويا ..
ليكون عملنا سويا .. لا يد للرجل فيه .. على أنه يجب أن تطالعى
يا عبله ليتسع تفكيرك ويمكنك تنويع رسومك

عبله — أوه .. المطالعة تضايقنى وتتعبنى .. أخى يحبها : يجب
الروايات فقط .. على أن أبى يمنعنى من قراءتها ويعتقد أن أخى

أصيب بالهوس العاطفي من جراء مطالعة الروايات
أمانى — الروايات الرخيصة الغنيمة المبتذلة .. أما القصص
الرفيعة .. فهي تسمو بالقارىء إلى أنبل العواطف الانسانية .
عبله — وأين نجد هذه القصص ؟

أمانى : عندك الأيام للدكتور طه حسين : وسلوى للعقاد
وقصص توفيق الحكيم ومحمود تيمور والمنفلوطى ومعربات
الزيات ..

عبله — سأحاول ان اقرأ هذه القصص من أجلك .. وسوف
أشير على أخى بقراءتها، فى الواقع أنا حزينة من أجل أخى . انه
يعيش بيننا كالغريب

أمانى — لا تحزنى .. عل فى التفكير ما يؤنسه ويملك وقته
وهنا يدخل — أهاب — باسمًا متهللاً .. أهلاً .. الأنسة
أمانى .. يحياها مصاحفاً .. فيتورد وجهها خجلاً وترد عليه التحية
فى احتشام دون أن تنظر إليه .. ثم تلتفت إلى عبلة قائلة بصوت
خفيض .. حان ميعاد عودتى ..

فتشبثت بها عبلة قائلة .. لا يمكن لم أتحدث اليك بعد ويقاطعهما
(أهاب) موجهًا الحديث الى (أمانى) يظهر دخولى ازعج الأنسة
أمانى : أبدا .. انما تأخرت عندى واجبات مدرسية كثيرة

أهاب — يمكنك القيام بها هنا.. على الأقل.. لتساعدى (عبله) الكسول
أمانى — بالعكس — عبلة أحسن منى
عبله : صحيح (أمانى) أحسن منى ولكنى لست كسولة
أهاب — اعمل لكما امتحان ..
عبله — مستعدة ..

امانى — ضاحكة بغير صوت • غدا تكون عبلة رسامه مدهشة
أهاب — لا احب ان اعطى وقتكما والامتحان قرب • فذا كرا
الآن • ويتركهما ليخرج •

امانى — اسمح لى بالانصراف • •
عبله — اشرح لى دروس اليوم
امانى — لا مانع • ثم تشرح لها الدروس التى اخذتها وقت تغيبها
عبله : اعز فى لى لحنا قبل خروجك وتتقدم بها الى البيان
فتعزف امانى قطعة تصويرية صامته

يدخل : أهاب : الآنسة موسيقاره ... هذا بديع
امانى : تتأهب للانصراف • •
عبله : اخى كتب البازحة شعراً !! اسمعها اياه !! عليها تلحنه
امانى : اوه عبلة ؟؟ تعلمت المكر يا شقيه

أهاب : أيؤملك سماع شعري ؟

أمانى : أبداً ...

عبله : إذن اسمعى

أهاب : يقول ...

ان الأمانى كلها عندك

ها إن لم يكن حبي جنى شهديك

أضحت نعيماً إنى أحن لوردك

هيات أحياناً أن سلانى قلبك

طربت أمانى للشعر فغمغمت .. شعر رائع ينقصه صوت عبلة

ليكون أغنية ساحرة

قال : بل صوتك هو الذى ينقصه

قالت : لتهرب من الجواب ... لقد طال مكثى فتشبثت بها

عبله قائلة .. لن تخرجى .. سأغنيك الأغنية التى تحبينها الكرنك

لعبد الوهاب ..

فجلست صامته

قال : فلماذا تحبين عبد الوهاب ؟

قالت : أنا لا أحبه .. ولكننى أحب الموسيقى .. فلو سمعتها

من حيوان لأحييته .. إني أراها لو نأ بديعاً يضفي على الوجود سحراً
خلاباً يشعرونا بحقيقة جمال الحياة ..

قال : ولماذا تفضلين الكرنك ؟

قالت : قطعة تصويرية بديعة .. أنها لو نأ جديد في الموسيقى
العربية تذكرنا بمجد الجدود وروعة الآثار وتبعث في صدورنا
الحنين إلى السمو .. ما الذي نستفيد منه من أغاني الصدف والهجر
والبكاء والأنين .. إني أمقت ذلك .. ويا حبذا لو صورت لنا
الموسيقى عن نواحي الحياة قديمها وجديدها .. آه كيف تكون
فتنة الحياة إذن .. غنى بأعباله

وغنت عبله بصوت هادي رخم فلم تتمالك أمانى نفسها ودمعت
عينها تأثراً

وأخذ (أهاب) بجمال تأثرها وقال .. إن المرأة لا تصدق إلا
في فترات يقظة حسها .. الحياة كلها تطل من عينيها وترسم على شفيتها
حسب الفنان أن تفهمه روح كروحك

ولما انتهت عبله .. قالت أمانى : ما أجمل صوتك يا عزيزتى
انه يشبه الأمواج التي تتراوح بين المد والجزر متعانقة آنا ومتنافرة
أحياناً ولا اكتمك أنك اسلمتني لشعور حلو هاديء حملنى إلى
عوامل السحر البديع .. وكانت صادقة في هذا التصوير وإن كانت

تشك في مدى اتجاهه . أهو حقاً من تأثير صوت صاحبها أم من
جمال المعاني الشعرية أم من حسن التلحين ؟ أم من تأثير كلام أهاب
أم من هذه الظواهر كلها مجتمعة !!
وهنا وقفت أمانى لتصرف ورغم الخاحهما حيثهما وخرجت

خرجت أمانى وهى لاتدرى انها تركت ورامها قلبا يتبعها
وحملت ورامها قلبا يرزح تحت أعباء حب قاهر مخيف رسم على
وجهها ظلام الكآبة والوجوم وبدل بسمتها الصافية العذبة ببسمة
حسرة وقلق . . وجاست في صدرها مشاعر الأرتباك والخوف
انها تشعر بذلك الأحساس المكهرب الدافق الذى يسمونه
حباً ولكنها تشك أيمكن ان يحدث هكذا الحب سريعاً وما كادت
تستقر فى بيتها حتى راحت تستعيد كلامه كلمة كلمة لتحللها كي تفهم
مغزاها ومرامها .. ومرت بها الأيام سراعاً وهى لاتدرى على اية
صورة تمر بها الأيام . . وعبله لاتنفك تحدثها عن اخيها ومدى
اعجابه بها وتقديره إياها وخيالها يحسم لها التقدير والاعجاب فتشعر انها
ملبئة الذهن بالأحلام الناضرة عامرة الخيال بالامانى المعطرة بشذى
الشباب البكر الحافل بأعذب الآمال . .

على ان عقلها كان يكبر احياناً فيبسط لها وهام العواطف فترتد

ويملكها القلق والفرع .. تخاف الحب وترغب فيه...
وتعجب للسر الغامض الذى يكمن فى صدرها... تشعر بوجوده
وتعجز عن تفهمه لقد كانت تمر بالمرئيات باحثة دارسة تفحص
وتحلل لتفهم وتوقن واليوم تقف امام عاطفتها عاجزة عن تفهم
حسها ويهمس عقلها فى اذن قلبها.. حذار.. حذار.. ان شعور الحب
يشبه احساس المخمور الشمل فيه غفوه مريحه واحلام لذيدة ولكن
عمره قصير، ويقضته مروعة مخيفة سراب خادع هو الحب يا فتاة فحذار
وتصمت امانى حيال صوت عقلها.. مفعرة كيف تهرب من
خوارطها النائمة.. صراع بين عقلها وقلبها.. وهما هو قلبها يخفق خفوق
الفرح والارتياح ويصور لها الحب جليلا بديعا يشبه النور فى
قلبها منه خلفة وفى روحها منه قبس وفى وجودها منه شعاع يهديها
إلى الصراط المستقيم ..

انا هذا الحب النورانى لا وجود له إلا فى قلبها هى - وهى تخاف
ان يكون الخيال الذى يطاردها وهما.. لذا حاولت جهدها ان تنساه
وساعدها على ذلك قرب الامتحان وقد نشطت لالاستعداد له
وشامت.. عبله.. ان تلازمها فى استذكار الدروس وان يتبادلا الزيارات
من اجل ذلك فلم تر.. امانى.. اى غضاضة حرصا على مصلحة صديقتها
حيث كانت لا تستفيد إلا من المذاكرة معها وانتبهز (اهاب) هذه

الفرصة فأشرف على مذاكرتهما وخصص جزءا من وقته لشرح
لها ما صعب عليهما فهما في المدرسة وقد أدى ذلك إلى كثرة تردد
أمانى على زيارة عبله لأنها شعرت بأنها تستفيد كثيرا من مساعدة
أهاب لها على أنها كانت حريصة على ألا يخلو إليها لكي لاتدع
له مجالا لمحدثتها على انفراد محاولة الاتحدث إليه إلا ماما ولأمر هام
وان تحدثت ففي إيجاز وتأدب وحذر متغاضية عما يتحدث به من
حديث لاشأن له بالتعليم وكان يضايقه حرصها ويتألم لأنها قريبة
منه بكيانها بعيدة عنه بعواطفها ويحاول أن يدرك خبيثة صدرها
وطالما تحفزت رغبته إلى مهاجمة عواطفها ليشير كامنها ولكن بلا
جدوى حتى أصبح عصبي المزاج مغیظا ثائرا (وأمانى) فتاة
عصية تفهم الحياة عن فطرة سمحة موهوبة ولكنها لم تتعود مسايرة
ظواهر الحياة ومخالطة الرجال فى غير كلفة وكل ما تفهمه هو يجب
أن تحذر الرجل حتى ولو اتخذها قبلة لصلاته حقا انها تشعر
بأن أهاب شاب رقيق العاطفة سليم الوجدان كامل الرجولة وفى
قربه مسرة روحية هائلة ولو جاز لها أن تحدد عاطفتها من ناحيته
لأيقنت انها تحبه (ولكن) حبا بريئا عفوا وأهاب شاب ذكى جرب
العواطف كثيرا وفهم اتجاهات العواطف النسوية ولكنه يقف
حيال (امانى) كالطفل الساذج لا يدرك كنه قلبها رغم شعوره

الأكد بأنها معجبة به وقد تكون تحبه وتجسم هذا الخاطر عندما لاحظ أنها تضطرب دائما كلما قابلته ويتورد وجهها خجلا وتتجنب التحدث عن الحب وتخاف منه ، ولا يذكر أنها نوهت له مرة بأن الحب جريمة.. وفكر، كيف يقنعها بأن الحب ضروري للحياة وهو طابع سعادة البشر وباعث توفيقهم .. وانتوى أن يعالج هذا الوهم أولا حتى إذا لاح له أنها -اطمأنت إلى الحب .. عرف كيف يربط بين قلبها وقلبه وذلك هين عليه

وبدأ في محاولته كلما وجدها هادئة غير نافرة حتى حان الربيع فقال لها يوما : يقولون أن فصل الربيع هو فصل الحب فما رأيك؟ قالت : لا أدري ، والذي أدريه أنه فصل السحر والجمال قال : وهل الحب غير السحر والجمال؟

فتركته في مكانه وقد أخجلتها نظراته وتلته بالنظر من النافذة وهي تقول : الربيع بديع ، بديع ، وتعمدت الهروب منه لكي لا يتبادى ..

فاغتاظ ولكنه كظم غيظه واقترب منها قائلا : ألا تشعرين بإحساس جديد في الربيع؟

قالت : أبداً .. كلما لمحت الجمال في أى فصل أو وقت أعجبت به قال : أنا مثلاً .. أشعر أنني أحب .. وأنت ألا تشعرين ؟؟

قالت فى هدرء وحدة — لا أو من بذك السخف الذى
يسمونه حباً ..

قال : كأنك تكفرين .. إن الدين هو الحب
قالت : وهل بقى فى قلوب الناس من الإيمان ما يثبت دينهم ..
ألم تر شواهد الكذب والنفاق والسرقة والطمع والظلم والحقْد
والقسوة والشره .. أليست كل هذه الرذائل منافية للدين .. فلو
كان قلب الإنسان مؤمناً لما فعل أى رذيلة .. ولو كان مؤمناً ..
لكان محباً .. لأن الفرد الذى يحب الله يرضيه ويخافه ومن أحب الله
أحب كل شىء خلقه الله .. يتوهم الذى يظن أن فى الحياة حباً ..
ولا يمكن أن أصدق ذلك .. إلا إذا رأيت رجلاً فاضلاً لم يخطئ
وامرأة فاضلة لم تزن .. إن الحب يبعث فى القلب أسمى الفضائل
فكيف يتفق الحب مع الرذائل التى تطغى على النفوس البشرية فى
هذا العصر .. اسكت ، اسكت بربك .. إنها ألفاظ جوفاء تلك التى
يتمشدد بها مروجى تجارة الحب

أدرك — اهاب — أنه لا يمكن أن يقهرها إلا إذا بادها
رأياً برأى فقال : معك الحق ، لكن لا تنسى أن فى الحياة قلوب
عامرة بالإيمان ولولا ما تفيض به هذه القلوب من خير وفضيلة
لما استطاع الإنسان أن يحتمل محن الحياة وكوارثها كالمريض لولا

الصبر الذى يكمن فى صدره والاستسلام لأمر ربه لما احتمل
آلام العلة !! فالفضيلة فى كل نفس انما تحتاج لمن يرعاها لتبلغ
كمالها وتقوم بمهمتها فى الدنيا

أنا مثلاً أحب — فان لم تعمل المرأة التى أحبها على حفظ
هذا الحب ورعايته وتفيته ^{بغذائه} بحبها وتوجيهه إلى المثل الأعلى ليكون
خيراً .. لتحول إلى شعور آخر قد يؤذنى ويؤذى غيرى ..
فشعائر الدين مثلاً .. الصلاة والصوم والزكاة إلخ هذه الفرائض
المعروفة ، وشعائر الحب ، الاخلاص والصدق والأمانة والوفاء ،
والدين والحب يشتركان فى تأدية الرسالة الانسانية فكما أتوجه إلى
الله بقلب مخلص فكذلك يجب أن أتوجه إلى من أحب بقلب
مخلص ، والإخلاص الذى يحمانى على القيام بفرائض الدين
مرضاة لوجه الله ، كالاخلاص الذى يدفعنى لعمل ما يرضى
حبيبى صيانة للحب وتهيئة للسعادة

إطمأنت — أمانى — لهذا الحديث وارتاحت لتفكير
— أهاب — لذا فتحت له صدرها لاعتقادها أنه صادق الحب
عذرى الهوى مشبوب الفؤاد جدير بالقلب البكر وتركت قلبها
يفتح مصراعيه فى غير ضجيج — ودخل — أهاب — يجتاز
ردهته فى غير تعثر واحتل مكانه على عرشه العالى

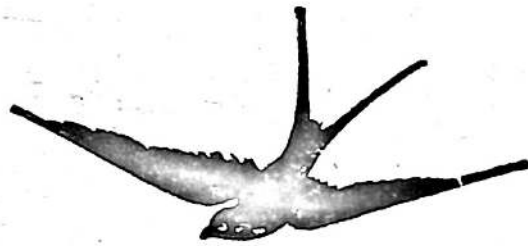
مرت الأيام تباعا وقد توشجت بينهما علاقة طاهرة قوية حتى
جاءته يوما وهي مهمومة محزونة على غير عاداتها وصارحته بعزمها
على السفر إلى العزبة لمناسبة مرض والدها وكان لم يتحدث إليها من
قبل عن أهلها .. وكان أيضاً يظن أنها تقيم مع والديها في الإسكندرية
لذا استدرجها في الحديث ليعرف ما يجهل من أمرها وقد أجابته
في غير تردد قائلة .. أن والدها فلاح ثرى رجعى متدين من
أسرة عربية مصرية نصبته القرية عمدة عليها خلفاً لوالده العمدة .
وعليه أنه يخص البنت دون الولد بقسوته وخشونته ظناً منه أن
معاملتها باللطف والحسنى يبيح لها الفساد ومع أنه تزوج بامرأة
متعلمة متمدينة من الإسكندرية (تعنى أمها) فانه لم يرتدع عن بطشه
وبأسه ويخفف من غلوائه ولم تستطع الأم أن توجهه توجيهها
جديداً .. لأنها تزوجت به مرغمة كارهة إذ زوجها أهلها لقاء
مال وفير قدمه لها وميراث عظيم لها ولأولادها .. وارتضت بذلك
الزواج القهري لتشبع مطامعها المادية لأنها لاحظت أن التقاليد
والأوضاع لا تحترم إلا المادة ... وإن ظواهر الجاه تلعب دورها
بمهارة على مسرح الحياة .. ثم ألفت حياتها المحدودة الخائفة
اضطراباً من أجل ولديها وبذلت كل ماتدخره من حيلة وجهد
لسكى تعلم ابنتها لأن والدها لا يميل إلى تعليمها إذ يعتقد أن البنت

خلقت للبيت وبعد عناء قبل على شريطة أن تحجز من المدرسة في
سن العاشرة من عمرها .. فقبلت الوالدة أو على الأصح تكلفت
القبول مبدئياً ولما بلغت — أمانى — العاشرة عادت الام ترجو
وتلحف لآتمام تعليمها فأبى واضطرت الأم أن تخضع لمشيئته وقد يصح
عزمها على أن تتعهدا بالتعليم المنزلى. وتستجضر لها معلمة في المنزل
لآتمام ثقافتها ولطالما تألمت — أمانى — من سجنها الاختيارى وكانت
تطلع إلى لداتها وفي صدرها حسرة دفينه ولكم بكنت تألماً من
حرمانها من التعليم حتى كتبت عمتها المقيمة في الإسكندرية إلى
شقيقها (والد أمانى) تخبره بأنها مريضة وترجوه أن يبعث إليها
أمانى — لأنها تخشى أن يسرق الخدم حاجيات البيت أو أن تموت
فلا يعلم إلا بعد فوات الوقت .. تأثر الوالد من الرسالة وعطف على
أخته التي لم ترزق من زوجها أى ولد يهون عليها مصائب الحياة
وخاف أن تمتد الأيدى العابثة إلى أموالها أو تضطر إلى طلب ابنة
أخيها الآخر وقد تتنازل لهم عن أملاكها .. لذا صرح (لأمانى)
بالسفر عاجلاً دون تردد وزودها بنصائح وفيرة لكي تتجنب مدنية
وملاهى الإسكندرية وكتب إلى أخته يوصيها بالتشديد عليها
وعدم السماح لها بالخروج لها من البيت ..
وسافرت — أمانى — لاحقاً في تمرىض العمة التي لم تكن تحبها

لاختلاف مشاربهما ولكن هروبا من جو القرية الملبد بغيوم
التقاليد الصارمة وما يحمله من ضيق وملل يدفع إلى الخمول
والركود وتخلصا من شكيمة والدها وقسوته وطمعا في التمتع بحياة
الحرية والطلاقة وما أشوق الطير إلى الانطلاق بعد طول احتباس
على أن ذلك لم يمنعها من خدمة عمتها لما طبعت عليه من حنان ورحمة
واخلاص وسهرت على تريضها وتنفيذ أوامر الطبيب بكل دقة
دون الاعتماد على الممرضة أو الخادم حتى تماثلت المريضة إلى الشفاء
بفضل عنايتها وكان من الطبيعى أن تحبها العمة وتقدر جميلها وتزداد
شغفا بها ولما عوفيت لم تشأ أن تسمح لها بالرحيل وكانت (أمانى)
تعلقت بمدينة الإسكندرية إلى حد وناقت نفسها إلى استجلاء جمالها
والتمتع بحريتها فاتفقت مع عمتها ألا تخبر والدها بتمام شفائها
لكي تظل بجانبها ...

وفرحت العمة بمؤانسة — أمانى — ووجدت في قربها مسرة
وبهجة وعزاء لوحدتها الموحشة رغم ما يحوط بها من أسباب الترف
والنعيم ولما أدركت (أمانى) أن عمتها تحبها الحب كله ولا تسترد
مطلقا في تنفيذ أى مطلب لها ... بل وضعت مالها وثروتها تحت
تصرفها ... توسلت إليها أن تسمح لها باستئناف الدراسة فأجابتها
عمتها راضية مطمئنة مسرورة بأن تكون ابنة أخيها طالبة يا حدى

المدارس الثانوية وتراها مثل ابنة الجيران مثقفة نابهة ...
وهنا دمعت عيني - أمانى - وصمتت مليا لتتهدى في حرارة
ثم اردفت - لم يسعدنى الحظ لاتمام مرغوبى - كنت أحب أن
أتم دراستى العالية .. ولست أدري ما الذى يخبئه لى الغيب ...
على أن مشيئة الله نافذة حتماً . فلتكن ما على إلا الصبر والاحتمال



الفصل الثانى

استسلمت — أمانى — للحزن بعد وفاة والدها ومع أنها كانت تحس بروح لطيفة تسرى عنها وتخفف حزنها بحنانها وبقدر ما تفيض به الأمومة الرحيمة ... فانها كانت جد موهومة ...
انها تحمد الله الذى أبقى لها أمها العزيزة وهى ككنز الحنان الذى لا يفنى انها لم تكن تحب والدها حبا هائلا — كما تحب أمها —
ولكنها شعرت بعد وفاته بأنها خسرت السند الوحيد لها
ولطالما حاولت أن تفر من حزنها مفكرة فى ماضى والدها ومعاملته القاسية لها — ولكنها لا تلبث تذكر بأنه والدها حقاً
لم تكن تحبه حباً عنيفاً لما أصابها منه من مرارة وحرمان ولكنها
لا تستطيع أن تذكره وتنساه لأن الله وصل بينها وبينه وتسامل
ماعساها كانت تفعل ... لو كانت أحبته كما تحب أمها ... ولو كان
منحها حقوقها كاملة فى حياته ! حقاً إن العاطفة تتولد من الرحمة
والشفقة والعدل والمروءة . لا فارق بين الغريب والقريب . ويتجلى
ذلك فى شعور الطفل البرى وتقديره لمن يرعاه فهو يتعلق بأمه
لأنها أقرب الناس إليه وأكثرهم عطفاً عليه .. وإذا حدث
وتركت الأم طفلها ونشأ تحت رعاية أبيه ورحمته وعطفه تعلق

به ونسيها إذن الإنسان رهين العطف والحب وما الناس إلا صور
محركة لهذه المعاني الجليلة

جرد الام من الحنان والعطف تكون كأي انسان غريب
وعود الوالد العطف والحنان يكون أحب انسان لأبنائه
فأمانى .. تكره القسوة والظلم والكبرياء فما ذنبها إذا كان والدها
مصاب بهذه الطباع المرذولة ؟ والجفوة التي بينها وبين أبيها بعثت
في نفسها منذ بدأت تفهم الحياة مقت الرجل والخوف منه .. حتى
أحبت أهاب فتغيرت نظرتها للرجل وبدأت تحترمه وتجنبه ولعل
هذا الشعور الجديد هو الذي أسلمها للحزن المبرح لوفاة أبيها حتى
باتت هزيلة شاحبة أشبه بالمريض العليل وزادها ألماً ووهماً حرمانها
من تحقيق أمنية طالما سعت إليها وقد كانت أوشكت أن تبلغها
على أنها تأمل في أمها خيراً وتعتقد أنها لن تحرمها نعمة التعليم وبلوغ
غرضها الاسمي .. وكثيراً ما كان يظهر خيال — أهاب — من وراء
خيالها فتشعر بالحنين له وتتمنى لو تراه على أحسن حال .. وكان
الحب يسرى في شرايينها مسرى الكهرباء وهي لا تدري لخضوعها
للحزن الذي استبد بها .. ولو لم تكن تحت سلطة ذاك الحزن
لأدرت أن ما انتابها من سقم وما تشعر به من ضجر وملل إنما
مبعثه الحب القوي الكامن في قلبها ... فانها لم تلبث تحب حتى حرمت

من نعمة الحب .. وهى فتاة دقيقة الحس عامرة الذهن بأحلام
الشباب متطلعة إلى أسى العواطف الانسانية وهى لاتعرف من الحب
غير جوهره النورانى ، ولذلك كان ألمها عظيما هادئا لاتعتوره
ثورة الشباب الطائش

ولم يكدمر على موت أبيها بعض أيام حتى برمت بحياتها
الريفية وساعدها على ذلك — أمها — التى بدأت تشعر بفراغ هائل
فى حياتها لم تكن تقدره من قبل موت زوجها — بدا الريف فى
ناظرها مظلما لا أمل لطلوع شمس مشرقة فيه ، وفى الواقع أسدل
الموت على مساوىء زوجها ستارا كثيفا وانمحت سيئاته من ذهنها
كأن يد للموت مسحها وتجسمت حسناته إلى حد أشعرها بأن
الحياة بقربه كانت نعيما وسعادة .. وصعب عليها أن تمكث فى الريف
بعد مماته .. قد يكون الضغط الذى قيدها طوال هذه السنين الماضية
تمخض عن هذه الثورة النفسية لذا تآقت نفسها إلى حياة المدنية وحن
قلبا إلى وطنها الاول وقد يكون حرمانها من السلطة التى كانت تنعم
بها فى حياته كزوج الحاكم القرية وانتقال هذه السلطة إلى زوجة
شقيق الميت هو باعث ضجرها ومللها وبغضها للريف

فكرت الام فى هذا وذاك وساءها أن تفقد عزها وتصير كائى
انحمله فى القرية وشعرت لأول مرة بأن الزوج هو نجم سماء المرأة

إذا قدرته أظلم الوجود في ناظرها وقدرت الخسارة الفادحة التي
حلت بها والخطب الجلل الذي نزل عليها . وشاطرها قلبها البكاء
والأسى فلم تستطع مقاومة حزنها وخافت أن ينالها منه ما لا تحمد
عقبه لذا اعزمت أن ترحل إلى وطنها لأنها مضطرة أن ترضخ
لتقاليد الحداد في الريف وللحداد تقاليد مرعية في الريف إذ يتطلب
منها أن تظل مخفية في عقر دارها وأن تحرم نفسها من كل شيء
يعود عليها بالراحة وإن تنق من الطعام الألوان التي لا تريح لها
النفس كثيرا . . . ولو فعلت ذلك لقضت على نفسها بالانحراف
وقد تموت هما وكدا وهي مازالت صبية ذات وطر عليها مسحة
من الجمال البديع . . ان حياتها أصبحت خانقة مظلمة لا تطاق . .
ولو انها تهاونت في تأدية ما يتطلبه الحداد يقال عنها زوجة عاقبة
لقد كانت تظن قبل وفاته ان موته ليس خسارة هائلة اما الآن فقد
أدركت عظم المصاب وهول الكارثة
وفكرت في سبب وجيه لا يمتح الأفواه عليها . . وراحت
تهيب فرصة لتنفيذ قرار الرجل

كادت امانى تنسى — اهاب — بانعكافها على المطالعة للفرار
من احزانها ومراجعة دروسها . . وعلى غير ارتقاب جاءتها رسالة

امانى ...

سافرت وكنت اترقب كلمة منك . فلم تفعل . عتبي عليك شديد ..

الحب لا يعرف الكبرياء — يا امانى —

ان حياتى بعد فراقك اصبحت اشبه بالفراغ الموحش فتى يستعيد

ذاك الفراغ انسه لاشعر بوجودى !! ...

وأؤكد لك أن الحياة بدونك ضرب من المحال ولولا ذلك

الضوء الذى بعثته فى قلبى واحتفظت به لينير لى ظلمات الحياة لما

استطعت ان اعيش لحظة واحدة بدونك ...

هل الهالك جمال الريف عنا ... هو فى الواقع رائع وبديع فيه

طهر السماوات العلا ... لكن لاتنسى ان هنا قلبا نقياً يحمل

لك خلاصة الحب العف البرى الا يعوضك ذاك القلب خيراً

إذا ضحيت ! وجئت !!!

يعتقد العامة ، ان كتابة الفتاة لرجل جرماً لانهاية لفظاعته ...

ومعهم الحق ... لأن اكثريه الفتيات يكتبن عن طيش ونزق

واغلب الشبان يستغلوا سذاجة الفتيات وقد يتخذوا رسائلهن ذريعة

لتشويه فضائلهن احياناً ...

وانا اعرف رأيك عن الفتاة والفتى ! ... واعرف مبلغ حرصك

وحذرک .. ومن اجل ذلك اجلك واقدرك ... لأن الرجل الذى

لا يحترم المرأة لا يمكن أن يجبرها حباً أكيدا . فأنا أحترمك قبل كل
شيء ، أعني أحترم فضائلك أما حبي أياك فلا شأن لي به ..
فهو عمل الطبيعة .. وعندما ينضج عتلك نضوجا يسمح لك بتقدير
كل شيء وتفهمه ستعرفين ! . أن الرجل ليس في حاجة إلى امرأة
يلهو بها أو يتسلى بقدر ما هو في حاجة إلى امرأة توجهه نحو الغاية
المثلى لقد كنت إلى الأمس القريب ... انظر إلى المرأة بجانب
عيني . حتى رأيته وفهمته فأدركت أن هناك امرأة يجب أن
ننظر إليها بقلوبنا وأنها جديرة باهتمامنا ...

لم أشأ أن أكتب إليك عقب سفرك ؛ لعلني أنك في بداءة
حزن أرجو أن يمسح الله أثاره ، ورغبة مني في ألا أخرجك من
حزنك بسرعة لكي تتذوق الألم على حقيقته ... فيزداد حسك
رقة وبذا يمكنك تقدير آلام الغير . . . أما الآن فكفي ، ولا تستسلي
للحزن والأسى ... فان كنت فقدت والدا ، فقد كسبت حبيباً ابر
بك من الوالد يحمل لك انتى ما عرف التاريخ من حب وإخلاص ووفاء
أمانى — دائماً اذكرك فاذا كرمنى

المخلص

أهاب

قرأت أمانى الرسالة في هدوء وقد استغرقت منها وقتاً لأن
كل كلمة استوقفت نظرها وشغلت فكرها بعض لحظات .. كأن

في كل كلمة رسالة محتجة ..

ثم غابت في عالم أحلامها الفسيح العامر بالآمال الحسان ..
وتنبه شعورها النائم وعادت عاطفتها بعد غيبة كادت تضيع
معها ذكرى — اهاب — وتذكرت الأيام التي مضت وكيف
سعدت بساعات هنيئة في قرب .. ثم استسلمت لخواطر حلوة
أكسبتها بهجة شاع نورها في عينيها فانتعشت وأوشكت أن تنسى
حزنها بحبها وحامت حولها الرغبات .. فتمنت لو تسافر لكي
تراه ، أو تكتب اليه لتبوح له بهواها .. ولكن ثمة بقية من
الحرص لازمتها ففكرت مليا .. ثم أجحمت عن هذا وذاك
وفضلت السكوت .. ثم خافت أن يتألم منها مشفقة عليه ..
وصح عزمها على أن تكتب اليه شاكرة له عطفه ..
— وكتبت — ولما همت بإرسال الرسالة خافت أن تسقط
الرسالة من الخادم أو يبوح بأمرها فيفتضح سرها ، وهي لا
تستطيع مغادرة دارها ..

مزقت الرسالة .. وأسلمت أمرها للقدر

وبعد أيام جاءتها رسالة أخرى ..

أمانى

لست ناقما عليك ، لاني أعرف ظروفك .. ولكن ماضرك

لو بعثت كلمة إلى أختي ، لأطمئن عليك منها ..
لقد صدرت الأوامر .. لكي أسافر إلى ميدان القتال ..
والمعركة هناك كما تسمعون من الأخبار حامية الوطيس .. وقد أعود
وقد لا أعود من يدري ... الحرب لا يخيفني بقدر ما يخيفني حرمانى
منك إذا مت ... أليس حرام أن يموت شاب مثلى لم ينعم بالحياة
بعد ... لا أخفى عنك أننى خائف متردد ... لقد أقسمت اليمين
للقائد الأعلى لكي أصون العرش وأحمى الوطن ... لقد نفذ
القضاء. وقدمت نفسى طائعا قربانا على مذبح الوطن الغالى .. وعزيز
على أن أسافر دون أن أراك أو أودعك أو أقول لك كلمتى
الآخيرة ... أيمكنك أن تتصورى شعور انسان يدخل فى
معركة وهو موقن بأنه هالك لا محالة ...

ولست بناقم فقد قدمت نفسى فداء لوطنى وانتهيت وهو برىء
من تهمة الاعتداء على ، ولكنى ناقم على الذين يدفعون الانسانية
نحو التقاتل والتناحر من أجل مطامع دنيئة ... من يخاص
الشعوب الآمنة من جشع الأمن الطاغية ... سأستبسل فى القتال
لأدافع عن وطنى ... وقد يموت بيدي العشرات قبل أن أموت
ولكن ما ذنب هؤلاء .. أليسوا مثلى .. دفعهم قائدهم إلى التقاتل
أرايت أننا جميعا عبيد روس حاكمة تدفعنا للموت لتغنى هى

الثرثرة ...

ألا يوجد فى الشعب الذى يحكمه دكتاتور محوم بالجلشع
وفى سبيل مآربه يدفع الانسانية إلى الفناء .. فرد واحد عاقل ..
يخلص الشعب والعالم من هذا الفرد المجنون .. أيمكن أن يكون
الشعب كله ضعيفا بقدر قوة قائده .. نحن نحارب من أجل الحق
هكذا يقولون .. وأنا أتساءل أمن أجل وطنى أحارب ؟ أم من
أجل من يعيش له وطنى ..

فى قلبى أشياء كثيرة .. كثيرة جداً تضايقتنى .. أريد أن
أصارع بها .. ولكننى لا أستطيع .. فقد لا أجد من يفهمنى ..
أنا ذاهب إلى الميدان .. فان بلغك خبرى فقولى .. رحمة الله
عليه .. عاش لوطنه ومات فى سبيل حماية وطنه .. ولكن وطنه لم
ينل حريته بعد ؟

لا تصدق أن مصر أصبحت حرة ... قد يكونوا فكوا
قيودها ... ولكن عصابة سوداء ما زالت تحجب ناظرها ...
يوم ترفع العصابة وترى مصر النور وتسير وحدها من غير
مرشداو دليل وتفرض سياستها فرض الحر القادر ... يومئذ
يشعر الناس بحقيقة الحرية ..

أما اليوم فلا بد ان نرضى بذلك القبس الضئيل الذى انتزعناه
بعد جهاد عنيف لنستضىء به ريشما نتمكن من امتلاك حقوقنا
المشروعة ...

أمانى، قلبى يخفق ... خفقة قلب محوم بحب مصر ... واود
لو اضرب بسيفى عنق القدر إذا حاول محاربة مصر ...
ما احببت مصر حبا صحيحا عنيفا قويا جارفا كما احبها الآن ..
وكما تخيلتك ازددت بها ولها .. صدقيني ... اليست مصر امك
الكبرى وهى امى ايضا .. لذلك احبها .. احبها لانها امننا جميعا
فتصورى قدرتها على خلق امرأة مثلك وخلق قلبا كقلبي ... انا
لا اباهى برجولتى ولا كنى اباهى بقلبي ... هو الذى يدفعنى إلى
الميدان محاربا مدافعا عنها ...

أمانى، احب وطنى من اجلك، واحبك لأنك ابنة وطنى ..
فاذا مت ... اذكرى ابن وطنك

وداعا أرجو ان يكون له لقاء

المخلص
اهاب

لو لم تكن أمانى .. وطنية، لهاها ذاك الخطاب .. انها
تحب وطنها فى جنون ولطالما رفعت صوتها لتهدى بالفتيات إلى
التطوع وخدمة الوطن وقامت بعدة اعمال هامة عديدة فى هذا

الشان ...

ما اجوج - اهاب - الى حبها وتشجيعها لكي يسافر وفي
صدره قوة تحميه وتذود عنه ... فكتبت اليه بعنوان اخته تقول ..
اهاب ...

انا لايسعدني حبك بقدر ما يسعدني حبك لوطنك ... لان
الرجل الذي يعرف الاخلاص يخلص في كل علاقة له مع الناس
واعتقد ان المرأة لاتفاخر بالرجل إلا اذا كان شجاعا مقداماً مؤثرا
الحق على نفسه ...

فلا تخف من نيران المدافع او اصوات القنابل او حرارة القتال
فإن قوتك كافية لرد الخوف وتبديد الوهم ...
لاتخف فان وراةك قلوبنا تدعوك بالنصر وتبتهل إلى الله ليحميك
ستموت ، طال الزمن او قصر .. ولكن الموت في سبيل
الدفاع عن وطنك اشرف من الموت وانت قانع بالعبودية رازح
تحت اثقال المظاهر الكاذبة ...

كم اتيه بك كلما تصورتك تدور وتصول كالأسد ليحمي مخبئه
مصر ووطنك الغالي وضعت حياتها بين يديك فحذار ان تتهاون
في حمايته !! ... وانا - سأقوم بدوري بما أستطيع ان اعمله في
سبيل وطني .. لقد صبح عزمنا على ان نغادر القرية باكر - ان

شاء الله - وارجو ان اراك لاودعك ...

أمانى

قالى اللقاء

اختلت امانى فى غرفتها تفكر فى مصيرها لو عاد اليها - اهاب -
يحمل راية النصر وفى مآلها لو ذهب ضحية الوطن ... افكار بيضاء
واخرى سوداء .. وخواطر مفرحة واخرى حزنة ... ظلت
تتنازعها هذه الهواجس وهى لاتدرى من امرها شيئا حتى سمعت
طرقا على باب مخدعها فظنته شقيقها .. فأخفت الرسالة ورحبت
به .. ولـكنها فوجئت بابن عمها (محمد) واضطربت إذ هذه اول
مرة تراه فيها منذ كانت طفلة فى العاشرة من عمرها .. ومر بخيالها
فى سرعة البرق الخاطف .. صورته وهو طفل يوم كان يلعب
معهما فى حديقة الدار واطالما تمتعا بأوقات جميلة لم يعرفا فيها غير
اللعب والمناغاة التى لاتخرج عن حدود تعابير الطفولة البريئة وقد
درجا فى الدار سويا حتى بلغت العاشرة فحرم عليها والدها الاختلاط
به واللعب معه او مقابله ، ظنا منه ان اجتماعهما ينبه احساس
الفتاة ويحرك غريزة الفتى ولم يستطع الصبي ان يخالف امر عمه
لأنه كفله بعد وفاة والده وهو لم يبلغ السنة الاولى من عمره وكان
عوده الخوف منه وطاعته .. وهو الصبي يكبرها ثلاث سنوات

لذا شعر بفطرته بما يحمله تعرف عمه من قسوة وظلم ولكنه خضع
على مضض كاظما غيظه وحنقه مترقبا الوقت الذى يستطيع فيه أن
يعمل كل ما يحلو له دون خوف أو حذر . أما أمانى فلم تقم للأمر
أهمية لأنها لم تفقه فى ذلك الوقت معنى أوضاع الحياة أو قيمتها
بالنسبة للفرد أو المجموع .. وشغلها عن الفكر فى هذا الأمر ..
شواغل الطفولة والأعمال التى تتلهى بها الفتيات فى هذا السن ..
لكن : محمد تحول بتفكيره دون وعى إليها وكثيرا ما كان يترقب
ظهورها من نافذة غرفتها أو خروجها إلى حديقة الدار ليرقبها
من نافذة غرفته محاولا أن يحببها بيده فى حرص مبتسما لها فى حذر
وكانت ترد تحيته فى خوف وأحيانا تختفى لى لا يراها والدها
وهى تنظر إليه فيعذبها وقد أفهمها أنه إذا رآها أو علم بأنها
تحدثه أو تقابله .. سيعاقبها عقابا شديدا وعقاب والدها صارم
لأرحمة فيه .. فقد كان يحبسها فى غرفتها طوال اليوم ويأمر بالادخل
إليها أى أحد حتى والدتها — يجب أن تخاصمها .. وكانت الوالدة
تتالم لذلك العقاب القاسى الذى لا تستحقه ابنتها البريئة وإى
ترضية له وخوفا من تعنيفها وإيلاها تسكت على مضض وتهدى
روعة الصغيرة بكلمات خاطفة

وقد حاول (محمد) أكثر من مرة أن يتغفل عمه ليراها

ويخاطبها فكان يوفق أحيانا — عند عودتها من الخارج مع والدتها
وعندئذ كان يشعر بأنه نال السعادة كلها .. وإذا مضى اليوم كله
ولم يرها ولو من بعيد أحس بألم يحز في نفسه لا يستطيع تفسير ما تاه
ولا يجد مخرجا منه إلا البكاء فاذا سأله أمه ما سبب بكائه .. كذب
قائلا ... اشعر بمغص أو يلفق أى كذوبة تخول له البكاء
وقد علمه شك عمه عدم الثقة فى أى مخلوق ، حتى فى أمه . لذا أخفى
عليها شعوره ظنا منه أن عاطفته جرما .. يجب أن يخفيها لكي
لا يتهم بالوقاحة وسوء الأدب وهامى الفرصة حانت للقاءهما بعد
وفاة — الأسد اليقظ — وبعد أن اكتملت مشاعرهما أوكادت
دخل عليها (محمد) والفرحة المكبوتة تشيع من عينيه رغم
تكلفه الحزن والأسى على وفاة عمه .. (لقد تألم حقا لوفاة)
ولكنه الألم العارض لأن الرجل أقام بينهما حاجزا من
الجفوة لا يمكن اجتيازه وإن نسي ما علق بنفسه من أهانتة وتعذيبه
فانه لا ينسى مطلقا منعه من مخاطبة أمانى أو رؤيتها .. ويشعر الآن
أنه ظفر دنياه كلها أو عاد من المعركة الحربية حاملا لواء النصر
والفخار ...

ولما حيته أمانى فى وقار واحتشام كما تحيى الغريب المجهول ...
واعترأها شبه خوف واضطراب كأنها تخشى والدها .. وهمت أن

تعتذر له السكى تتركه او يخرج ... أسرع قائلاً ... ان مصابى فى
عمى لا يقل عن مصابك هنا ... تذكرت ان والدها مات ... وان
يعنفها أو يضربها .. وأنها أصبحت حرة ... فهدأت وصمتت
مطرقة لتجفف دموعها المنهمرة ..

كان يرتدى زيه العسكرى حيث كان ضابطاً هو الآخر
فتذكرت — أهاب — ومستها لوعة حرى لفراقه فارسم على وجهها
ظل الأسى الأليم وصدق (محمد) فى وجهها فهاله وجومها وحزنها
المروع فقال .. نحن فى الرزم سواء يا أمانى ويجب أن يكون
إيماننا بالله أقوى من جزعنا فلزمت الصمت ولم تتكلم فتكلف البشر
قائلاً ... أخيراً التقينا يا أمانى

فنظرت إليه فى مرارة صامته ولو استطاع أن يتغلغل فى أعماقها
لأدرك أنها مشغولة عنه بالمقارنة بينه وبين — أهاب — أن قوامه
أجمل وأشد ومظهره يحرك القلب النائم وحديثه لطيف ولهجته
ظريفة وأدبه موفور ... أنه أفضل من — أهاب — بكثير ...
ولكن قلبها لا يلتفت إليه أنه يحزن بنواجزه على طيف (أهاب)
ولما طال صمتها فكر فى أن يخرج بها منه فبدأ يذكرها بأيام
الطفولة وراح يسرد عليها حوادث طفولتهما الجميلة ويخاطب بين
الحادث والنادرة وبين الذكرى والفكاهة ليضحكها ويسرى عنها

وقد كان حديثه جديراً بالضحك والسرور ولكنها كانت بعيدة عنه بحسبها على أنها كانت تتكلف الأبتسام من حين إلى حين كأنها مصغية إليه بكل جوارحها إنما يقعد بها الحزن عن مبادلة الضحك والفكاهة

وهكذا ظل يتحدث في أسهاب وصراحة كأنه يخرج من صدره ما أخفاه طوال عمره الماضي سعيد بأن تنصت إليه وتبويه ارتياحها لحديثه معتقداً بأنه لا بد أن يكون عاش في قلبها طوال هذه السنين — كما عاشت هي في قلبه — ذاكراتها عهد الطفولة وما كان فيه من السعادة الأكيدة حيث كان يفرح للبسمة إذا مرت بشفتيها ويطرب للكلمة إذا بلغت مسمعيها مصوراً لها كيف كانت طفلة حلوة — شقية — بريئة ذكية وصمت ملياً لينظر إليها طويلاً في حنان ثم استطرد ولكنها اليوم تغيرت بطبيعة التطور؟ حقاً أصبحت زهرة ناضرة ... ولكنها لن تكوني كما كنت — هذا الوجوم يخيفني .. كم كنت بديعة وأنت صغيرة (حقاً) كنت عنيذة مكابرة لا تترتاحين إلا إذا انتقدت .. وفزت على .. ولطالما تعمدت الضعف والاستسلام لكي أشعرك بذلك .. كنت طفلاً بسيطاً لا أعرف حقوق المرأة ولا حقوق الرجل ... أما اليوم فقد أصبحت رجلاً .. وفهمت واجبي وواجبك وتهد في مرارة ثم قال ... ينخيل إلى أنك تغيرت

كثيرا يا أمانى ... فقاطعته .. وهل تظن أن السنين تمر عبثا ؟
قال .. أنا لا يهمنى تغيير جسمك أو شكلك .. ولكننى أخشى
أن تكون ظواهر الحياة لعبت بقلبك وعقلك ولئن حدث ذلك
فما أشقانى ..

فنظرت إليه متحدية قائلة : ماذا جرى يا ابن العم
قال وقد بدا التألم فى حديثه وعلى وجهه .. لقد كنت أعتقد
أن اليوم الذى أراك فيه بعد هذا الفراق الطويل .. سيكون كليلة
القدر تماما .. وما زلت أشعر أننى بلغتها اليوم .. ولكنك أنت
تحجبين عنى نورها .. أنا لا أشك مطلقا فى عاطفتك فان ذكرى
الطفولة لم تنزل تصور لى حبك العميق الزاخر .. لكن لم هذا الوجوم
لا أحسب حزنك على أبيك يبلغ بك هذا الحد المريع أن أمك
الحزينة قابلتنى كما لو كنت وحيدها وعدت بعد أن يئست من لقائى
فأين بسمتك المشرقة التى كنت تقابلينى بها دائما ...

فقاطعته ؛ يظهر أن الحياة اكسبت تفكيرنا لونا غريبا ...
قالت ذلك وبودها لو يخرج ويتركها . انها لا تبغضه وكذلك
لا تحبه إلا حب الدم للدم وتريد ان تخلو بنفسها لتفكر فى حبيبها الغريب
وعاد يقول ؛ يحتمل ؛ لكنه اللون النقي الذى لا يشوبه طلاء
الرياء او الصناعة

فقط شفيتها وغمغت ... اخشى ان يكون اليم قذفك نحو
هدف الشباب الحديث ... حيث ينادى الشاب بالقوة والرقى ويباهى
بأنه بلغ الذرا ... وهو على حقيقته اشبه بالمرأة البليدة التى لا شأن
لها فى الحياة غير التحدث عن الجمال والمودة لأنها حرمت نعمة الجمال
وأسباب المودة . . . ولكنها لا تعترف بذلك . . . اسمع يا ابن العم
ليس ثمة ما يدعو للارتياح فى فأنا كما عهدتني منذ الطفولة ودعنى
أسألك لم تلف وتدور حول تأثير الحياة الجديدة على ... أرايتنى فتاة
لهر أو لمحت آثار المدنية الزائفة بادية على

نخجل من إثارتها وقال أحسن الظن بى يا أمانى . . . لقد علمت
انك مكثت مدة طويلة فى الأسكندرية وقد اتصلت بعمتى أكثر
من مرة للاستفسار عنك فكانت تجيبني بأنك فى زيارة صديقة
وأنا أعرف مدينة المدن وخصوصاً عاصمة كالاسكندرية . . . وأنا
لا أحب ان احرمك من مباحج الحياة انما اريد ان تحمى عقلك
دائماً مع قلبك

قالت متهمكة ، انك تحكم كما لو كنت تحكم على نفسك ولكن
أذكر أن تحصن الفتاة غير جرأة الفتى

وهنا دخل شقيقها (أمين) فلما رأى ابن عمه فرح وقابله فى
شوق وحنان ولما جلس قال . . . أرايت كيف فعل الحزن بأمانى

منذ مات أبي وهي منزوية في غرفتها وعيشا حاولنا الترفيه عنها مع
أن الطبيب أمرها بتناسي الحزن وأن تبهج نفسها بقدر ما تستطيع
محمد — في الواقع .. صحتها تبدو منحرفة .. وأعتقد أن
الرياضة تفيدها ، خذها يا أخي معك ، واخرج بها إلى الخلاء ..
امين — في هذه القرية .. غدا سنرحل إلى الاسكندرية
إن شاء الله .

محمد — انصفتم .. الحياة هنا خانقة
امين — والله في المدينة ، ميزات ومضار وكذلك في الريف
محمد — حقا

امين — على فكره ، كيف حالك في المنصورة
محمد — الحمد لله .. لا بأس

امين — يقولون انها بلدة جميلة ، تلهم الفنانين روائع الفكر
وتبعث الأنس والبهجة في قلوب ساكنيها

محمد — صحيح ، لكن تفكيرى في الحالة الحاضرة لا يدعنى
انصرف إلى أى ملهى — كنت أتمنى يا أمين — ان اكون فى
طليعة جنود الجيش ... لشد ما اتوق إلى الدفاع عن وطنى ...
اما فى المنصورة او ما يشابهها من البلاد البعيدة عن المواقع
الحرية فالعمل آلى محض ..

امين — اعرف انك تحب الدعة والراحة
محمد — إذا كان وطني آمنا مطمئنا ... اما الآن وهو يصرخ
مستنجدا بأبنائه كيف يطيب لي الهدوء ..
امين — انك تفر من سؤالي .. اتريد ان تقول بأنك لا
تتسلى مطلقا

محمد — ابدا ، ابدا ... صدقني ... لقد اصبحت جامدا
امين — ضاحكا ... انت ... لا يمكن ... انك في نظري ؛
كلوب حساس عصبى .. لا يفتر عن الحركة مطلقا
محمد — أوكد لك .. اننى تغيرت عن قبل تغيرا تاما
لم يعد يجذب بصرى بريق ظواهر الحياة الخلابه ... كيف اهدأ
او انام ... حريق فى السماء وحريق فى الأرض . وحريق حول
مصر ... النار تبعث لهيبها من كل مكان ... ما كانت مصر امى ؛
إن لم اذد عنها ...

امين — رابتسا على كتفه فى اعجاب .. حيي الله الشباب
وبورك فى ابناء مصر البررة .. انا نفور بك يا ابن العم ...
لقد كنت احسبك انك ما زلت كعهدي بك ... تأخذ حظك
من الحياة بقدر ما تستطيع او تذكر عند ما كنت أقول لك ..

لا تسرف في اللهو ، كنت تجيبني ، الانسان غريزة قبل أن
يكون فـكرة

محمد — حقا - كنت أعتقد ذلك ... وصمت ملياً وهو يهز
ساقه اليمنى في حركة عصبية ثم قال ... لقد تحول تفكيرى بتأثير
الظروف الحاضرة .. أصبحت احتقر المادة واعتقد أنها مبعث
الضلال والعداوة .. لم تتحارب الشعوب ، أليس من أجل المادة؟
آه لو كانت مطاعمها روحية .. لقطع العالم شوطا بعيدا نحو
الهدف الاسمى ولأصبح دينه العمل الرحمة والعدل والحب والسلام
لقد ضلت النفوس تحت تأثير المادة .. ما أجمل الحياة لمن يفهمها
بحسه ويتذوقها بروحه .. حاول يا امين .. ان تفهم الحياة
بروحك انك لا تحس بلذة تهبط بك إلى الأوحال ، بل تشعر انك
سموت بانسانيتك وان مسا لطيفا جميلا نورانيا يغمرك وان العالم
بحاسنه ومباهجه يعيش في صدرك ، ويوم يقدر لك ان تكيف
عقلك البشرى بأحاساسك الروحي تكون بلغت اقصى ما يمكن
ان يصله انسان من السمو العاطفي ، حينئذ تقنع بالتطلع الى الوجه
الجميل او الزهر النضير او البدر الساطع او تنشق النسيم العاطر .
على ان تقضى الوقت عاكفا على اللهو والمجون فيما لا طائل تحته
مط امين شفتيه وهز كستفيه مظهر ادهشته لتحول ابن عمه

وقال : انك تستحي ان تقول الحق امام (نيني) اتريد ان تقول
بأنك بعيد كل البعد عن اللهو

وهنا التفتت أمانى اليهما قائلة : يمكن أن أخرج لتأخذا
حريتكما في الحديث

فقاطعهما (محمد) : انك متلهية عنا بالمطالعة ، أليس معنى ذلك
أن نخرج

قالت : لكما حديثكما ولى مطالعتي

محمد — وهل التسلية أحب اليك من مشاركتنا الحديث
أمانى — أنا لا أتسلى بالمطالعة ، بل اعب منها المعرفة التي
أجملها

محمد — هذا جميل — حبذا لو كانت جميع النساء على طرازك
أجل ، لو ان المرأة تقرأ لتفهم ، لعرفت ان لبيتها حرمة
ولأولادها حرمة ولزوجها حرمة ولوطنها حرمة وانها لم تخلق
إلا لصيانة هذه الحرمات ، لكن فتاة هذا العصر لا تعيش إلا
للهمس والعبث

وهنا احتدت أمانى واغتاضت لاهانة جنسها فقاطعته : أنك
تبالغ في اتهام المرأة ، أو لم تسمع وترى ؟ فهز كتفيه مستخفا

قائلا : أقلية لا تذكر ! ونحن نريد أن يكون في كل بيت الأم
الصالحة ، نطمع في المرأة المثقفة تثقيفا روحيا تعرف معه كيف
تهيء أسرة مثالية لتضع نواة طيبة في بناء هيكل الوطن، وبدل أن
تباهى بما أكتسبته من التعليم تباهى بما قدمته لشعبها من فضل
جليل عن طريق زوجها وأولادها ، نحن لا نريد امرأة ذكية
نابهة تشاطرنا العمل في المكتب أو المتجر أو المعهد، تاركة البيت
مظلمًا والأسرة فوضى في حاجة إلى من يسوسها ويرعاها ، تاركة
مسئولية مجد الوطن على عاتق الرجل وحده ، ومصر با بنتها الضعيفة
مشغولة مبتورة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضرا .. ثم اتجه
نحو — أمين — قائلا :

انى أحب جمال المرأة فى ذكاء عقلها المليء بالمعرفة الصحيحة
التي تعاوننا على تكميل منقوصنا وتهون علينا متاعب الحياة
المرأة التي تكون وداعتها ولطفها وثقافتها فى حنان قلبها ونبل
روحها ومثانة خلقها وقوة ارادتها وعظمة حكمتها فى جميع
تصرفاتها ، هذه المرأة هي التي تساعدنا بحق على تأدية رسالتنا
وتدعيم حياة متينة كاملة ..

وهنا دخلت الخادم تعلن مقدم صديق لأمين .. فاستأذن
وخرج لمقابلته ..

ولما خلا المكان بهما ، تنبّهت عاطفة — محمد — وتحفرت
للظهور فأطرق مليا مفكرا فيما عساه أن يقول ثم رفع رأسه
ونظر إلى أمانى فى تهيب وخجل ثم قال بصوت هادى رزين :
جميع حوادث الحياة ، هى مرايا تعكس صور خفايا الوجود أمام
بصيرة العاقل المحقق ... وعليه أن يختار أقوم الطرق التى تلائم
طبيعته ليقضى حياته آمنا مطمئنا بقدر المستطاع ، والآن ، دعينا
نتحدث عن نفسينا ، لقد حان تحديد مصيرنا ؟ وصمت مترقبا
كلامها ، ولكنها أطرقت ساهمة فنظر إليها فى لهفة ، ولما طال
صمتها ، ظنها تفكر فيما يجب أن تقوله وهو على يقين بأنها
تحمل فى قلبها من الجوى مثل ما يحمل لها ، وابتسم لهذا الخاطر
وحول نظره إلى وجهها الوردى المشوب بشحوب بدا كالظل
اللطيف الذى يكسب الوجه رقة ولطفا .. وظل ناظرا فى عينيها
الحالمتين حتى أحس بأنه فقد نفسه فى عمقهما وكأنه غرق فى بحر
لا قرار له ثم خاف أن يفقد صوابه ، فحول نظره إلى شفيتها على
يستطيع أن يدرك منهما ما يحول بصدرها ولكنها لم تدعه
ينسرح فى ذاك التيه الا محدود حيث قامت من مجلسها باحثة عن
شئ فى خزانتها ... وتحرك معنا وجدانه ، ولعلها تعمدت ذلك
لتهرب من الجواب ، ولكنها لم يفهم بل ظل ينظر إليها وهو

يتصور روحها الشفيفة تطل لأمعة معطرة من كل لحظة فيها وأن
شعرها الكث الغزير المسترخى على ظهرها وفوق جبينها وقد
تناثرت بعض شعيراتہ على وجنتيها ... كأن في صدرها عاصفة
بعثت من لديها نسيمًا هادئًا بعد ثورة هائجة .. فتحرك الشعر ثم
استقر ... وخيل إليه أيضًا أن جبريل حرك جناحيه ليرفع ستار
الظلام عن بدر مجهول ... ثم ابتسم للشعور الحلو الذي راود
صدره ولكنه لم يجرؤ أن يقول لها شيئًا ... حقا ، أنه يشتهي
أن يحدثها في هذه اللحظة بمقدار ما يخفق به قلبه وما خفق به في
عمره الماضي وما سيخفق به في عمره المقبل إن كان في أجله بقية
ولكنه أحجم ... لا عن ضعف وبلادة ... ولكن تهيأ منها
واحتراما ... راجيا أن يدور الفلك بأقصى سرعته لكي يجدها
معه في منزل واحد يثبثها لهفة الزوج مع حنين الحبيب وآمال
الزوج مع أحلام الحبيب، ولما لم تلتفت إليه — متعمدة — حمل
رأسه بين يديه وراح يفكر في باعث صمتها ثم رفع بصره إليها
فراها تطل من النافذة نحو الأفق البعيد وقد بدت في وقفها وزياها
الأسود كقديسة عليها وقار الإيمان وجلال الطهر الأكيد .
فقال بصوت خفيض كأنه يخاطب نفسه ، ما أبهاك ... بدر
يحوطه غمام أسود ليظهر روعته وفتنته ...

وكان مشهد انسجام مشاهد الطبيعة ملك حسها فأبكاه ..
ولما لمحا تجفف مدامعها في صمت وحذر ، ريع وتقدم منها وقد
مد يده في لطف وتأدب ليحفف مدامعها بمنديله فاغتصبت بسمه
مريرة وأقصته عندها في كياسة قائلة ... أتحسبني ما زلت طفلة ؟؟

قال : اولم تسمعي قول الشاعر :

لم تزل ليلى بعيني طفلة لم تزد عن أمس إلا اصبعا

فهممت باسمه ، واين نضع ما فات من ارقام السنين ؟

فقال بعد ان رمقها بنظرة باسمه .. ليست الاعوام هي التي
تكيفنا - انما نحن الذين نكيفها ، نحن الذين نضع على جبين
السنين طابع اليقظة والركود .. مع اليقظة يظل الانسان حيا
كالربيع .. ومع الركود يلبسه ثوب الخريف فيعيش رهين الخمود
باليأس يشيب القلب في بداءة عمره الذهبي وبالأمل الباسم يظل
القلب شابا فتيا رغم توالي الاعوام .. بالحب العف البريء نظل
اطفالا سعداء وبالبغض نبليغ من الكبر عتيا ولم نزل في اول عهد
الشباب وتهد في مرارة مردفا ؛ الا تعتقدين معي بأن الطفولة
هي العمر الوحيد الذي نتذوق فيه انقى ما في الحياة من طهر
وصدق وبراءة وحلاوة ، يخيل إلى ان الطفل هو وحده الذي يفهم
الحياة على حقيقتها ولو انه كان يعرف ان يعبر عما يصل الى حسه

من سرائر الوجود لعلمنا حقيقة الفلسفة .. انه فيلسوف ولا كنهه
- ابيكم - ان الطفولة وحدها هي التي تسخر بأباطيل الحياة وتتعالى عن
سفاسف الدنيا لانها لا تعرف غير السباحة والطهر هكذا كنا في
طفولتنا يا امانى - اما الآن بعد ان شينا وتمشت رغبات الحياة
في شراييننا وتحفزت الغرائز لمهاجمتنا تقول طبيعة - الشباب - اريد ،
فيقول المجتمع ، لا اريد .. نضال عنيف بين الشباب والحياة ،
يقضى احدهما على الآخر ... اما ان يسخر الشباب الحياة له خاضعة او
تسخر الحياة الشباب لها خاضعا والنصر للمجد والكرامة والفضيلة
لو انتصر الشباب ...

وتنهذ في مرارة حيث تذكر والدها يوم حكم عليهما بالتفرقة
دون ذنب او جريمة - ثم أعقب - لقد فهمت اخيرا ان الانسان
لا يحارب غيره عن قوة ... بل عن خوف وضعف فقاطعته ..
وكيف يجرؤ الجبان على محاربة غيره ... قال : القوي يكون مطمئنا
دائما إلى قوته فلا يفزع اما الجبان .. خوفه من قوة غيره يدفعه
إلى التحفز لصيانة نفسه والذود عنها وهذا الشعور يدفعه إلى
التفكير والعمل ... وهذان الدافعان يحملانه على الاسترسال في
الاستعداد ... وهنا يكون نضال بين خيال قوة نائمة غافية وحقيقة
ضعف يتقوى ويعمل ... ولا يلبث ان يشتد الضعف ويصبح

قوة تهيب بصاحبها الى الاحتفاظ بها وفرض سلطانها ... وكما تجلب
الخيبة النجاح كذلك يجلب الضعف القوة ...

ولا تظن ان لا مكان للحروب إلا في ميادين القتال وبين
ساسة الشعوب فقط ، بل هناك حروب أخرى .. في صدر كل
انسان مهما كان شأنه ... طعنة من خنجر عدو ...

وقد تكون الطعنة من خنجر نفسه احيانا - وهو لا يدري
في صدر كل انسان ثورة .. الشيخ ، ثائر .. لانه يريد ان يفرض
قريحته على الحياة ... والشاب ثائر .. لانه يريد ان يفرض ربيع
على الحياة ..

وبين الخريف والربيع عراك دائم ...
حرب بين الامم القوية والامم الضعيفة ... من اجل السيطرة
على العالم

حرب بين الرؤساء والمرءوسين ! من اجل العدل
حرب بين المؤمنين والملحدين ! من اجل الدين
حرب بين الثائرين والآمنين ؟ من اجل الحرية
حرب بين الغنى والفقر من اجل ما يسد الرمق
حرب بين الدكتاتورية والديمقراطية .. من اجل المساواة
حرب بين العمال والرأسماليين من اجل المال

حرب بين المرأة والرجل من أجل الحب
حرب بين الرجل والرجل من أجل الأنانية
حرب بين المرأة والمرأة من أجل الجمال
حرب بين عقل الإنسان وقلبه من أجل الواجب
حرب بين الإنسان ونفسه من أجل الفضيلة

نحاول أن نعالج غيرنا ونحن بعلتنا جاهلين وعلى علاجها
غير قادرين ...

كيف يشتد أزرنا وفي قلب كل بشرى أثر خنجر مسموم ..
وهل يمكن أن تظهر جميع النفوس إلى حد تأمن معه الحياة فلا تحارب
لا أظن ، مادام في كل قلب دم الجشع يجرى وفي كل ضمير
حرارة الأنانية تسرى ...

من سخافات الأوضاع يحرم على الفتى مجالسة أو محادثة الفتاة
ظنا منهم أن ذلك من المحسنات الخلقية وفاتهم أن ذلك يدعو إلى
تركيز اللفظة وتنمية الرغبة وتوكيد الحب فقاطعته ... أمانى ..
وهل عرف الرجل كيف يصون المرأة حتى يؤتمن عليها ...
انهم على حق !!!

قال .. لو علموا الطفل صغيرا ، كيف يصونها من نفسه لصانها

من غيره .. ولكنهم يعلوه الخوف من نفسه فينشأ ضعيفا مريض القلب .. لو أنه تعود حديثها ومجالستها وهو طفل برىء .. لما وجد فيه غرابة تحمله على الجرى وراءها وهو كبير

فضحكت أمانى قائلة : غدا تصير أباء .. وسنراك بأذن الله ..

تلقى على أولادك تعاليمك الحديثة .. ولنتظر نتيجتها ..

فأجابها في جد .. أجل .. لن ألقنهم تلك التعاليم الجافة الشعبية التي يلقونها إياها في المدرسة والبيت باسم الواجب ولن أقول لابنتي لا تخالطي هذا أولا بنى لا تجالس تلك .. بل اترك الطبيعة تكيفهم وأرقبهم عن كثب لأوحى إليهم كيف يجعل كل منهم لنفسه حصنا يقيه شر المؤثرات الخارجية ... ستكون بذرة الإيمان أولى البذور التي ألقيا في صدورهم ثم أتعهدا بالرى لتكسب نفوسهم قوة التحصن وقيمة الحياة السامية . فعادت تضحك وهي تقول .. ستكون خلفا لأبيك أو عمك ؟ .. قال : لا تنسى أن أمي كانت حكيمة رحيمة .. وهي وحدها التي تركت في نفسي الأثر الذي يهيئ لي الحياة الرضية .. كانت هي عزائي في وجود أبي وقاندي ومعلمي بعد وفاته .. واعتقد أن قلبك كقلبها .. إذن ستكون أولادنا خير ذخيرة للوطن إن شاء الله

نظرت إليه متباهلة ثم قفزت في خفة قائلة . تعال نخرج إلى

الحديقة ...

فاستوقفها قائلاً .. هنا أهدأ من هناك .. أريد أن أتحدث إليك قليلاً في أمر هام

قالت : أظنك تريد أن تحدثني عن الحرب .. حسناً .. حدثني .. فقال : أمانى .. لا داعي للحذر .. فأنا ابن عمك يهمه سعادتك وهنائك وصيانتك

قالت : أرايتنى غير مصونة ؟

قال : معاذ الله .. انما أريد أن أقول . ثم صمت ونظر إليها عليها تعينه على الكلام بنظرة مشجعة . ولكنها لم تفعل .. بل قالت : أتريد أن تلقى درسا في الوقاية من الغارات ؟ ... لقد درستها ..

فاقترب منها وهو يقول بصوت رصين جاد . أمانى . اسمعى وافهمى لست قتي غاية وقتية جمعتك الصدف بك ولست فتاة لحو حتى أتحبب إليك صناعة فتجاوبيني صناعة أيضاً .. ان دمك هو دمي فليس ثمة داع للمخاتلة ؛ إذ لا يمكن أن أخدعك وأنت نفسى وأنت لاتستطيعين انكار حبي لك هذا الحب الذى ولد معنا وقد شرب وأصبح يافعاً

لم تمالك نفسها فبان الخجل على وجهها والاضطراب في لهجتها
وهي تقول ، أتركت معسكرك لتلقى على مسمعى هذا الحديث
وتنحت عنه مقطبة جبينها ، فاغتاظ لاعراضها وتألم لاهاتته الغير
منتظره ولكنه كظم غيظه قائلاً .. من أجل وطنى أريد أن أركز
حياتى لكى أعمل فى نشاط وقوة .. أنا الآن بغير جناحين فلا أستطيع
التحليق وأريد أن أضمك إلى لأنك جناحى فأعمل لخير بلادى، إن
الرجل واحد من اثنين يا ابنة العم ، إما أن يكون أخا هو يعيش
على هامش الحياة ؛ سيان عنده عاش الوطن أومات . وإما أن
يكون أخا جد وعمل يعيش لبلاده يعطيها من قوته وماله وحياته
بقدر ما يرجو لنفسه من خير وسعادة بل ويزيد ...

ليس عندك ما يمكنك من العيش بجانبى لاستعين بروحك
وحبك على الكفاح والنضال فى سبيل نصره وطننا الحبيب ، لم
يعد فى مقدورى أن أعيش بدونك .. لقد نقلت من المنصورة
إلى الحدود الآن أقضى نهارى بين نار المدافع وقذف البنادق وبين
عينى طيفك يلوح لى يميناه هاتفاً بصوتك الحنون .. تشجع .. تقدم
انى هنا أنتظر وعندما أقضى الليل مستلقياً على الأرض فى الظلام
انتظر الأوامر ؛ أشعر أنك أنت الضوء الذى يشيع فى صدرى
وينير حوالى وقد أكسب الخلاء أنسا والوحشة سحراً والظلمة نوراً

دائما أودى عملي في اخلاص وعزم لكي أثبت لك وجودي
كإنسان قادر على صيانتك والذود عنك فما الذي تنكرينه مني يا أمانى
ثم خاتته قواه لآعن عى وبلادة ، بل عن ثورة نفسية هائلة أخرست
لسانه ونظر إليها كأنه يتمم حديثه بنظراته

لم تشك في صحة اعتزامه ولم ترتب في عاطفته وعادت بها
الذكرى إلى ماضى طفولتهما فتذكرت كيف كان يحرم نفسه من
كل شيء لينجحها كل شيء وكيف كان يقضى الليالى مطالا من نافذته
ليرقبها من بعيد في جنح الليل ، وكيف تحمل أذى والدها واهانتها
من أجل لحظة يختطف فيها نظرة عابرة منها .. ولم تكن تفهم في
ذاك الوقت أن ذلك حبا ... أما الآن فقد فهمت كل شيء .. بعد أن
تنبه قلبها وبدأ يحس بالعاطفة ويقدر قيمة الوجدان ..

وترقبت من قلبها كلمة واحدة تطمئنه ، ولكنه صمت صموت
الأموات .. وهو الذى يخفق كلما ذكرت بينها وبين نفسها (أهاب)
أو تخيلته أو لقيته ..

نضال عنيف ... بين هواها الدفين المجهول ورغبتها فى ان
تمنح ابن عمها ما يرجو ... واطرقت صامته حائرة وهمست نفسها
لم غاب طوال هذه الأعوام .. لقد ظل قلبى يتلفت ويبحث !!
وساءلت نفسها لو انه جاء قبل ان تحب - أهاب - اترأها كانت

تجبه ذاك الحب المشبوب الذى تجبه لأهاب ؟ ولم تسمع لسؤالها
جوابا ؛ فعادت تقول ، اليس المعانى التى احبها فى هذا ؛ موجودة
فى ذاك ؟ إذن ماوجه الاختلاف ؟ فلم تسمع جوابا ايضا... أخيراً
همس قلبها ، كنت جائعاً فشبعتم ... إذن قلبها قانع بعاطفته ؟
وفهمت ان القلب الذى يحب اكثر من واحد ... مصابا بشهوة
الحب . كما تصاب المعدة بشهوة الطعام .. ولم يسؤلها هذا بقدر
ماساءها عجزها عن مبادلة ابن عمها عاطفته ولم تجد مخرجاً غير التسوية
فقالت .. لقد تسرعت يا ابن العم ؛ انسييت اننا فى ماتم ؟؟؟...
فنظر إليها مشفقاً وقد ظن انه هتك حرمة حدادها وقال فى
لطف .. معك الحق ، كان يجب ان ادع هذا الأمر إلى حين
ولكن سفى الى الحدود دفعنى إلى تقرير مصيرى ليهداً بالى ويطمن
قلبى كى أكفح عن وطنى شجاعاً غير هباب ولا اشرك مع قلقى على
بلادى ؛ قلقى عليك ؛ اريد ان استعين باطمئنانى العاطفى على صدأى
خوف او خور ... يتسحبان إلى نفسى ؛ أنت تعرفين ؛ كم أحب بلادى
ومليكى وقد وهبت نفسى لحمايتهما ولكنتى فرد أعزل اريد ان
يكون منى مجموعة تحب البلاد والملك ... لذا أرغب فى ان اضمك
لنخلق ذرية صالحة فنكون بذلك ادينا واجبنا القدسى نحو الله
والملك والوطن ...

وقبض على يدها في تأدب وحنان مردفا في حماسة وصدق
اننى بالسيف اذاع عن بلادى وانت بالحب تدافعين فهل تبخلين؟
لا اظن !!! لأن دم مصر الغالى الذى يسرى فى شرايينى هو الذى
يسرى فى شرايينك لماذا لا تضرب للناس خير مثل للبطولة .. ان
امرأة فاضلة مثلك إذا منحت رجلا شجاعا مثلى حبها وعنايتها استطاع
ان يغير تاريخ العالم ... الا يصح ان اصبح فى الغداة من خير
الرجال العاملين لنصرة الوطن وخدمة بلاده ومليكه ، وتكونين
انت القوة الفعالة الخفية التى تحركنى ، والناس لا يشعرون ... امانى
اريد ان اسمع منك كلمة واحدة تبعث الحياة فى نفسى ... ان املك
وافقت ولكنى اريد ان اطمئن إلى انك راضية عنى مطمئنة إلى
أطرت امانى مليا ... وقد دمعت عيناها دمعة فيها مزيج من حرارة
الحيرة والقلق والأسر والخوف والرجاء وغمغت وقدامتقع وجهها
وبان عليها ظاهرة الحيرة والالام : ليتنى استطيع ... اننى لا افكر فى
الزواج مطلقا الآن . فابحث عن غيرى

ولو ان الارض قد ماتت بما فيها وما عليها أو لو ان السماء قد
انفطرت بأهلها — إن كان فيها اهل — لما اثر ذلك فى نفسه قدر
ما اثرت هذه الكلمات

ضابط تعود مواجهة نار القنابل والغزات الخائقة والحارقة

يصول ويجول في ميدان الحرب بقوة تسخر من الاسد الهصور
تؤثر فيه كلمة فتاة يعتقد انه يحارب القضاء من اجلها ... يا لسخرية
القدر وادركت — أمانى — من امتقاع وجهه وتجهمه مقدار الألم
الذى بلغ نفسه فعطفت عليه وقالت بصوت رقيق فيه لهجة حنان
اكيد انك تذكرنى — بمحمد — الطفل يوم كان يبكى لاتفه
الأسباب انسيت اننى اعيش الان بغير حواس لحزنى على أبى ..
فكيف افكر فى هذا الأمر وانت تعلم مايتطلبه من حكمة وروية
وتفكير ...

هدأت ثورته فى التسو واطمأن لهذه الترضية وانقرجت شفثاه
عن ابتسامة وديعة وهدأ صدره بعد ثورة وقال : معك الحق ..
نبنى معذرة ... وسحب يدها ليقبلها ... وهنادخل امين ... فكف
— محمد — عن تقبيل يدها ونظر إليها متفرسا

بينما قال امين — ضاحكا — علك تجيد الصناعة ايها العراف ؟
فأجابه محمد وهو يحدق فى كفها ... بينا تحاول هى ان تشديدها :
لا لا تفشى سرى

ويضحكون

الفصل الثالث

استقر مقام أسرة — أمانى — فى الإسكندرية وطابت لها الحياة بعد آلام كابدها الأم صابرة على ماضى حيث وقعت فى مشاكل مالية اضطرتها إلى معاداة أهل زوجها ومطالبهم بحقوقها وحقوق ولديها .. وقد أدى حرص الوالد على أن يخفى على زوجته شؤنه المالية الخاصة وعدم مصارحتها بدقائق أموره ظناً منه أنه ليس من حقها أن تعرف دخيلة حياته الخاصة وما عليها إلا أن تأكل وتلبس وتطيعه .. لذا صعب على الزوجة أن تعرف حقيقة أملاكه وأمواله ووقفت كالغريبة تطلب حقوقها فى توسل كأنها تستجدى منحة أو هبة .. وقد سول الشيطان لأخيه استغلال الموقف فلعب دوراً مشيناً ليسد مطامعه المادية الحفيرة وقد أعمى الشيطان بصيرته فلم ير الزوجة الحزينة وولديها اليتيمين وما اعتراهم من بؤس وضنى ونسى دينه بمطامع دنياه المرذولة .. وصبرت الأم على ظلم الرجل الطاغى وانتظرت حكم القضاء فيه بينما كانت أمانى مستسلمة لخواطرها غرامها حائرة مضطربة فهى شغوف باهاب إلى حد الجنون ؛ لكنها حريصة على كبت عواطفها

خوفا على سمعتها وكرامتها التي تعتد بها غير ناسية ابن عمها الذي
صدته في جفوة وابتعدت عنه متعمدة غير آبهة للألم الذي كان
يحز في نفسها كلما تصورت موقفه منها وموقفها منه والفارق الهائل
بين عطفه وجهودها وليس لها حيلة في تصريف عواطفها على
النحو الذي يرضيه ويرضيها وغير قادرة على مبادلتها العاطفة حتى
أثرت هذه الحيرة المشوبة بالقلق والحرمان والمجاعة النفسية في
صحتها فضعف جسمها واصفر وجهها وتلاشت قوتها وأصبحت
أشبه بفتاة معلولة ؛ وقد أفلق مظهرها الحزين السقيم — أمها —
فظنت ابتها مريضة تحت تأثير حزنها على أبيها واسرعت إلى
عرضها على طبيب يكشف عن دائها ليصف لها الدواء ...
قالت ، أمانى للطبيب وهو يحاول كشف علتها ... قلبي
يا دكتور ...

فقال الطبيب ... انها مصابة بالقلب ...
وكتب لها عن الدواء اللازم مع الغذاء الجيد والرياضة
والاستمتاع ؛ بالسرور والبهجة بقدر المستطاع ...
كانت الفتاة تعلم باعث مرضها .. وكانت تعلم أنها لن تشفى
إلا إذا تزوج ابن عمها واطمأنت إلى سعادته ومصيره ولم تفكر
مطلقا في أن تتخلي عن اهاب — من أجله .. ومع أنه مضى على

سجيتها مدة شهرين زارتها عبلة خلالها كثيراً فانها تحاول أن تزور
عبلة إذ باتت تخاف، افتضاح حبها بعد أن شعرت أنها محبوبة بحب
أهاب لتظل بعيدة عن أراجيف السوء .. واطالما توسلت اليها
عبلة .. فكانت تعتذر في لطف دون أن تشعرها بأنها تعتمد
عدم زيارتها من أجل أخيها ، حتى كتب اليها يقول .. أنه مريض
محموم .. ويريد أن يراها قبل أن تواتيه المنية وهو يشعر أنه لم
يبقى عليها غير أيام معدودات وكانت عبلة انقطعت عنها فصدقت
الخبر وقد روعها فأسرعت دون وعي لمعاودته ...

وهناك وجدته بخير وعلى أحسن حال .. ولما عاتبته ... انتهز
الفرصة ... وصور لها هواه وما عاناه من آلام وضنى لفراقها
وحدثها عن غرامه حديثاً مستفاضاً بعث الحمرة في وجهها وأيقظ
ساكن شعورها حتى خجأت منه وقالت .. لا احب ان تنهج
منهج الشباب الذين يجيدون التحدث عن الحب ... وكلمة واحدة
تفهمنى مدى حبك ... وحسبك ...

قال : قلتها من زمن فأين الرد ؟

قالت : إن كنت من طلاب الكلام فلا شئ لك عندي وإن
كنت من طلاب الصدق فدعه يتكلم بغير كلام .. هناك
نظم آخر !!

قال : هذا جميل ولكنى اراك تتجنبينى فى هذه الايام فعلام؟
طلبت لقاءك فى الخارج اكثر من مرة فلماذا رفضت ؟ مع اننى
اترك عملى والفق المعاذير واتهاون فى كل شىء من اجلك ...
قالت : وانا من اجل ذلك ارفض — صدقنى — ارفض
لقاءك لكى ادعك تقوم بواجبك نحو بلادك

قال : ولكننا سنفترق وقد يكون فراقا ابديا ... فلماذا لا
ننعم باللقاء فى هذه الايام

فريعت وغمغمت فى مرارة .. نفترق ... لا ... لن نخلق
القوة التى تفرقنا إلا الموت !..

قال : لا يمكنك ان تتصورى مبلغ فزعى لفراقك .. لقد
صدر امر نقلى الى السلوم ... ولكننى سأعمل المستحيل لكى ابادل
اى ضابط واطل هنا بقربك ..

فاغتصبت بسمة مريرة وقد مر على عاطفتها سحابة سوداء
حجبت عنها بريق هواها المشبوب وقالت ...

اظنك تعتقد ان هذا التصريح يفرحنى — شأن اى فتاة عادية
تفرح لتضحية من يحبها

ولكننى لا احب ان تترك واجبك المقدس من اجلى ...
وحذار ان تجعلنى نقطة سوداء فى كتاب الواجب الوطنى ، لخبر

لى ان تسافر وافقد نفسى من الضنى والآسى لفراقك من ان تظل
بجانبي تمثل الجبن والخيانة ...

فابتسم قائلاً : كم انت عظيمة ... إني فخور بحبك ... على
انه يمكننى ان اقوم بواجبى فى اى مكان ...

قالت : لا ... الدفاع فى الميدان غير الدفاع فى شوارع الأمن
والسلام ، انى احب فيك الشجاعة والاقدام فان فقدتهم فقدت حبي
فضحك طويلاً وقال بلمحة المداعب ... إذن انت لا تخبيننى
اننى ضعيف جبان ...

فضحكت بدورها وهى تتأهب للانصراف قائلة : إذن مات
كل منا فى نفس صاحبه !.

فلزم الجد وقال ... اهكذا يكون الحب ، لا لا يا امانى هناك
قوة خفية تسيرنا نحو هدف الغرام دون وعى او غاية ... والآن
امنحيني — اذن — من نفسك بقدر ما تسمح به الايام الباقية
لى هنا ... حيث اعتزمت ان اسافر ترضية لك

فتهلل وجهها بالبشر قائلة : سأحضر لزيارتك هناكما دعوتنى
لكن لا يمكن ان القاك فى الخارج ... سأرفض دائماً ، كما رفضت
قال : لتكن مشيئتك ... ولكن عندى فكرة اخرى ...
مارا بك فى قضاء يوم معى بمنزلنا فى العزبة ... ليس هناك ما نخافه

قالت : الله فى كل مكان ... سنكون كاللصوص فلا نشعر
بجلال الأمل ولا نظفر بهناء الضمير

قال متجنيا : انت جبانة وتحبين الشجاعة

قالت : لا تخط بين الجبن والحذر ... ولا تنسى ان الناس
مصابون بسوء الظن

فقاطعها صارخا : الناس ، الناس ، وماذا يهمنا من الناس ؟ !
ما دمنا على تفاهم تام

قالت : ولكمنا نعيش مع الناس ولكى نأمن شر انفسنا
على الأقل يجب ان نتحمل الحرمان لنصون حبيبنا كريما بعيدا عن
العيب والهوان

فأجابها محتدا وقد بدا الغيظ فى لهجته : انت فتاة خيالية .. وانا
لا احب الخيال .. نحن الآن نعيش ولا ندرى من امر نفسينا
شيئا .. ما الذى نجنيه إذا قنعنا بالحياة فى ركن مظلم خوفا من ان
نخرج الى النور فيرانا الناس ؟ انا احبك وقد فضلتك على نساء
العالمين فما الذى يخيفك ما دمت تحبيننى وتفضليننى على رجال
العالمين .. اتعرفين رجلا آخر تخافينه ؟

فدمعت عينها ونظرت اليه فى استعطاف وحنان قائلة : لقد
عاهدت الله الا اتخذ بذلك بديلا !

فقال : إذن لا ضير عليك مطلقاً من لقائنا فى أى مكان

نختاره

فقاطعته : اهأب ، استمع إلى .. يجب ألا نخضع لرغباتنا
خضوعاً مطلقاً ولا تكن أقل منى شجاعة واحتمالاً

فى مقدورى أن أحتمل فراقك حتى يقضى الله امرأ كان
مفعولاً ؛ وذلك خير من أن أسف بحبى إلى مساوىء الظنون
(قالت ذلك) وهى تعاني ألماً مبرحاً لأنها كانت تعلم أن فراقه
فوق طاقتها وأن اليوم الذى يمر دون أن تراه هو يوم لا قيمة له
فى تاريخ حياتها وأطرقت مستسلمة لهواجسها المريرة ثم اعقبت
بعينين دامعتين وصوت مخنوق ، آه لو كان الله منحنى من الجرأة
بقدر ما منحنى من الاحساس .. لبدلت النظم اللامشروعة ، لماذا
يكون لك من القوة اضعاف إحساسك ويكون لى من الاحساس
اضعاف قوتى ، لماذا ؟

فكأف التجنى وقال : أنت لا تحبيننى ؟

فأبتسمت متهمكة وقالت : وما دليلك ؟

قال : صد رغبتى العاطفية وعدم تغذية مجاعتى الروحية !!

فأحدثت غاضبة قائلة : خدعك ظنك ، فأنا أخاف منك

لأحفظ نفسى لك وأصد رغبتك اليوم لأتعهد بها بعيداً عن

الضلال فالقائك بحبين مضى وقلب ضاحك !

فهر رأسه ساخراً قائلاً : هذه روحانية لا أفهمها وقد حاولت
أن أفهمها فاستعصى على إدراكها .. حيث لا وجود لها إلا في
ذهنك

هنا احست بيد باردة تقبض على قلبها الحار واندفعت
خواطرها من مرقدتها وقد تنغمت نبراتهما بخلجات عواطفها
الحري وهي تقول : — اهـاب — لقد احببتك بالروح فاذا
استطعت ان تبدل روحانيتي إلى مادة ترضيك فافعل على شريطة
أن تدفع قلبك ثمننا لفنائى

قال فى تأكيد : لقد اكدت لك مراراً اننى سأ تزوجك !
فقاطعته : كل رجل يتحجب إلى امرأة او يحجبها فعلاً يقول
ذلك .. وليست القدرة هى ان تقول ذلك وتقنعنى فأصدقك فأنفذ
رغباتك .. إنما القدرة هى ان نحفظ بطهر الحب حتى يباركنا الله
فابتسم ابتسامة عريضة وقال : وهل تظنين ان الله لم يباركنا
بعد ؟ لقد باركنا منذ تحايينا فاطمثنى يا طفلاتى المحبوبة !!

قالت : انك تبالغ فى تعلقك بالرغبة ! فلو كانت فكرة الله
مطلقة لجاز اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً يشبع عواطفهما ؛ ولكن
الله يعلم ان الرجل غريزة طاغية والمرأة عاطفة مستسلمة .. وانهما

أعجز من أن يصونا عاطفتها من وسوسة الشيطان فأوعز إليهما
بالصلة المقدسة ليكون جبهما في مأمن وعلاقتهما في إسهامتين
لا تزعزع الحوادث ولا تحطمه المخاوف.. أوحى إلينا الله بالتحصن
فلماذا نتخذ التطرف ديناً! وصمتت لتنفس بينا بدأ يقول: لم
أكن أعلم أن حضرتك قديسه:

فنظرت إليه في مرارة قابلة (أهاب) حسبك أن تعرف أنني
أحبك (ولكن) لن أستطيع مطلقاً أن أكون حبيبة غير شريفة
فقاطعها محتداً - لقد أسأت الظن بي!

قالت ... أنت الذي حملتني على ذلك، ولا أكتفك أنني مسيئة
الظن بالرجل ... هكذا علمني أبي وذلك ما استوعبته من تعاليم
المدرسة والمجتمع؛ لقد أقاموا حاجزاً بيني وبينه وأفهموني أن
اجتياز هذا الحاجز معناه الإثم.. لقد صوروا لي الرجل وحشاً
وقد نجم عن هذا التصوير خوفاً لازماً ودرج معي حتى صار شكاً
لا ينزع من صدري إلا يقين رجل قادر، فمكنت ذلك الرجل
حارب الشك في نفسي بإيمانك (يا أهاب) وانزع جرثومته من
صدري بيقينك لأهدأ واستقر

فضحك متهمكاً وربت على كتفها قائلاً.. يا طفاتي الصغيرة ليس
ما تزعجك شكاً أو خوفاً.. إنما هي عاطفتك التي تحاربها بعقلك

فاستسلمى إلى الحب تفهمى حقيقة الحياة وتتذوقى حب الرجل على
أننى أوكد لك أنك لم تحيينى بعد ... فلو أحيتنى حقاً كما تزعمين
اتلاشى خوفك وطار عنك شكك

فنظرت إليه فى حنان وتألم قائلة (أهاب) أرجو أن تسمعنى
بقلبك لتفهمنى .. أننى أحبك بروحى ، وأقسم لك أنه لم يكن لى
هدف حس يوم أحبيتك ولو لم ترغب أنت فى التزوج منى لما
لما فكرت فيه — إذن — أنت الذى خلقت الغاية ، أن حى كان
وما زال كالماء تبخره الحرارة ثم تكشفه البرودة وهو فى الحالين
باق على ميزته محتفظ بوجوده على مر الدهور . وأذكر لك أننى
أحبك كما يحب المؤمن دينه وسواء لى رأيتك أو فارقتك . تزوجتك
أو لم أتزوجك ؛ سعادتى فى حى وحسبى .. آه ؛ لو فهمت ذلك ...
وصمت لحظة ثم غمغمت بصوت خفيض حزين ، أخوف ما أخافه
أن تكون كالآخرين تعيش لتتعم بظواهر الدنيا

فاغتاظ لمهاجمته واحتد قائلاً ! ان المرأة تتكلم بلسانها مستعينة
بأنغام قلبها لتؤثر فى قلب سامعها لامن حيث وجاهة الحاجة وصحتها
بل من حيث هى موسيقى سحرية تنعش القلب وتسره .. أف من
المرأة تنظر إلى الرجل وفى عينيها التماع الأغراء .. تنظر إليه لتقول
له — معنى الحياة هنا ؛ وتبتسم بمعنى — وجمالها هنا — فاذا اقترب
اختفت فى جنب تاركة له وهم اليقظة ..

تُظراتها خلافة ، بسمايتها مغرية ، حركاتها أخاذة ، وهى فى مجموعها
قوة جذب مغطسه تسخرها الطبيعة فى كيان امرأة لتخضع بها الرجل
ثم سكت ليسترد أنفاسه بينما ظلت هى محدقة فيه كأنها تجاوبه بغير
كلام معبرة عما يحيش به صدرها السائر

وتنحت عنه فى جد ورزاة قائلة .. يخیل إلى أننا لن نتفق ..
وظهر على وجهها أثر صدق هذا الزعم .. نخاف أن تتحول عنه
وتهجره فقال متلطفا باسماء ؛ أعوذ بالله من الشيطان .. دعينا من
الرجل والمرأة .. وقولى أنا وأنت

فقال بعد أن هدأت أنفاسها ، معك الحق ، مالنا وغيرنا ..
أأست أنا ممثلة الجنس ، وأنت ممثل الجنس ، فلنكن فى طليعة الشباب
المثوث للطفرة فى سبيل الحب المثالى الرفيع والعمل الجدى الذى
ينفعنا وينفع الوطن فقال وهو ينظر إليها فى توسل ، منى أن
أحظى بك وكفى ، آه لو كان فى قلبك ما فى قلبى من جوى لاستطعت
أن تفهمى هواى فقال : اسكت ، ولا تتكلم عن اللهوى ريثما يتغنى
ملاك الحارس بأناشيد الحقائق الرائعة فى عالمنا المرموق .. حينئذ
وهنا دخلت عبلة وتنقطع عن الحديث لدخول عبلة فتهرع إليها معانقة
عبلة : معذرة يا حبيبتي ، تأخرت عليك .. لم أكن أعلم بمجيئك
الآن .. حيث كنت عند صديقتى سعاد

أمانى : كأنك كنت معنا ، گنا نتحدث عنك ...

عبله : دهشه ، غنى !

أمانى : عن نوادرک فى المدرسة . وکيف تهربین من حصص
اللغة العربية متکلفة المرض ..

أهاب : فى الواقع أنا غير راض عن عبلة مطلقا ، لاتستذكر
العربى أبداً ...

عبله : لأنه ثقيل

أهاب : هذه اهانة لقوميتک

عبله : وما ذنبى إذا کان الأستاذ لا يستطيع أن یحببها إلى .. عندک
مثلا مدرسة الانجلیزى ... مع انها مصریة ولکنها تجعل الدرس
سهلا مستساغا

أهاب : لیس الذنب — إذن — ذنب اللغة — انما ذنب المدرس
الذى یدرس بطريقة عقيمة

أمانى : صحیح ... أنا على عکسها ... أحب العربية جدا وأکره
الانجلیزیه ... منذ طفولتى ... لأنى بدأت تعلیمها على مدرسة لطیفه
حببتها إلى بینا كانت معلمة الانجلیزى بغیضة فکرهت لغتها ...
أهاب ضاحکا ؛ إذن المسألة مسألة حب و بغض أيضا !!!

عبله: طبعاً لا يمكن أن أحب الدرس وأذاكره إلا إذا كنت
 أميل إلى مدرسته
 أمانى : معها حق ... أقوم التعاليم عندنا وأصلحها ما أسس على
 تبادل التفاهم بين المدرسة والتلميذ ؛ على فكره يا عبلة ... خذى حلى
 هذا اللغز ...
 وتعطيها ورقة مكتوب فيها مايلي ...

مكتوبه في بيتي من الجاني
 فتيه في بيتي من الجاني
 ت س ب ج ر م ت
 صديق ثم قالت لي تسلي
 تسلي بمينيا أنهما بمينيا
 تسلي بمينيا أنهما بمينيا

يترك قراءة اللغز لفطنة القاري، ومن يصعب عليه فليسأل

عندما عادت امانى إلى منزلها سمعت خليط أصوات وهى فى طريقها إلى غرفتها فتوقفت لحظة لتسترق السمع حتى أدركت أن — امين — يتحدث إلى بعض رفاقه وقد بان صوتهم مزيج من الثورة والهياج

واختلعت الأفكار وقد ارتفعت الأصوات فى حماس كأن كل شاب زعيم جيله

قال بعضهم ... بارك الله فى الشباب المفكر الوثاب
وقال آخر .. انى استذكر دروسى لأقطع المغارة المخيفة التى
الزمتنا بها تكاليف الحياة لكى اطمئن الى وظيفة تهيب لى حياة
رحبية ويغناظ احدهم فيشور قائلا ، انا على عكسك يا صاحبي ؛ احرق
الدروس بنحورا لاستروح منها عبرا يعيننى على تفهم الحياة المقبلة
تصور اننى اقضى طوال الليل وشطرا من النهار اطالع واكتب
راجيا ان اخرج للعالم فى المستقبل كتابا جديدا

ويضحك بعضهم ساخرا ... وما فائدة كتابك ؟ اراك يا صاحبي
تجربى وراء سراب خادع ... ستكتب وتنشر ثم يطوى البلى
اثرك كما يطوى بك ... ويعقب آخر ؛ اسكتوا ، اسكتوا ليس هناك
افضل من حياة الهدوء ... حسبنا الربح بقدر قوت يومنا ، مالنا

والكفاح المضنى الذى يعجل بحياتنا فيحتد الثائر قائلا هذه حياة
الحيوانات ... يعيشون ليأكلون ... انا على عكسك لا افكر فى
الطعام والربح إلا بقدر حاجتى القصوى واملئ ان اقوم بعمل خطير
يهز كيان العالم لى اكون بطالا وزعيما صادق العقيدة ثابت
اليقين مضجيا فى سبيل عقيدتى بدمى وحياتى آه... كم اتوق إلى المجد
لو تم لى ما اصبو إليه سأفرض على الإنسانية قانون السلم والأخاء
والمساواة والعدل والعمل

يضحك احدهما متخابثا ... احلام شاب مقتون ... ثم يوجه
إليه الحديث — وإذا فشلت ؟

الشاب الثائر ... إذا فشلت مرة فسأنجح مرات ... ومادام
الخير قبلة مجدى فلن يخذلنى الله

الساخر موجه الحديث الى آخره .. هل اعددت نفسك للامتحان

الشاب .. فى هدوء — اجل وعلى الله توكلت

الساخر.. ارجو لك النجاح وان كنت اخشى عليك صعوبة
الامتحان فى هذا العام

الشاب .. لقد تهيأت له

بعضهم يخاطبه اظنك تجد صعوبة جدا فى الدراسة بمنزلك
دون استاذ

الشاب.. ان في قلبي عزيمة تفعل الحديد... من الذى علم الاوائل
خلق الله لكل انسان عقله وما دام العقل موفورا المواهب فلا خوف
على صاحبه من صعوبة دروس الحياة.. ليس المهم هو ان تلقى على
الدروس لأحفظها كالبيغاء.. بل المهم هو ان استوعب الدروس
لأفهمها لأستعين بها على حل مشاكل الحياة.. لقد كان فى مقدورى
ان اعرف كل شىء دون ان انتسب الى اى مدرسة او جامعة ولكننى
مضطر الى اجتياز مراحل التعليم لأحصل على ارقام الشهادات لى
اصل الى اى طريق شئت موفورا الكرامة قدم بطاقة باسمك فقط فلن
يشفع لك فكرك الوجيه ولا خيالك الخصب بقدر ما تشفع به
شهادتك العلمية او ارقام ماتملك من مال وطين وما دمت لا املك
الأرقام الاولى فعلى ان اسعى لامتلاك الثانية لى استعين بها على
تحقيق مثلى العليا.. قلها ارتفع رجلا بمواهبه الى مصاف العظماء فى هذا
البلد إلا بمعجزه..

الساخر ؛ وحضرتك تريد ان تكون عظيما مثل من ؟
النائر : مثل نفسى..

يضحكون .

النائر.. اضحكوا كما شئتم ولكن ثقوا ان العظيم لا يبلغ مرتبة العظمة

إلا إذا كانت نفسه ولدت عظيمة ولاكنها تظل محتفية في صدره
حتى يرفع عنها صدأ الجهالة بيد المعرفة والتجارب .. كالجوهرة
تظل داخل المحار حتى يكشفها الباحث ... وأنا لا أحب أن
أكون عظيما العظمة التي تفهمونها أو يفهمها الناس بل العظمة
التي أفهمها أنا ، فأكون شريفا صادقا أميناً عدلاً مؤثراً الحق على
نفسه خيراً رحيماً ، وأؤكد لكم أنني أرفض بأنفة وكبرياء
العظمة التي تتقدم إلى لا كون لها عبداً بدون ضمير ... هذه العظمة
الكاذبة التي تقام على أعناق الغير .. عظمة يقتل في سبيل ظهورها
نفوس بريئة ويحطم في طريق شهرتها كرامات الملايين من
الأفراد الأمنين الوادعين ، العظمة المأفونة لا يمكن أن أرضاها
لنفسى تاجاً فاذا قدر لي ونلت مجدى عن كفاء وجدارة بعد أن
امنح وطنى من جهدى وإخلاصى وعملى ما يبيح لى عظمتى
الأكيدة فأكون بذلك أعطيته وأخذت فأكون شريفاً ومطمئناً
متسامياً عن اللصوص الذين يأخذون ولا يمنحون ويستحلون
الباطل ولا يخافون الله ...

وهنا يقاطعه بعضهم (برافو) نرجو لك النجاح والتوفيق

يا صديقى

فيردف الثائر : انى أهيب بكم جميعاً ... وأنتم شباب الجيل ،

القوة الفعالة في بناء عصر جديد أن تعملوا لكي تكونوا عظماء
لا لتجلسوا جميعاً على أعلى درجات المناصب الحكومية .. بل
ليشعر كل منكم بأنه أدى واجبه نحو وطنه وأنه يدخر في نفسه
عظمة تفرض وجودها على شعبه كله ...

وبذلك نكون جميعاً أدينا رسالة الكل لكل
بعضهم .. عندي فكرة ، لماذا لا تتعاون جميعاً على تكوين
أسرة جديدة نسميها (شباب الطليعة) ويكون شعارنا
أصوات مختلفة ، العمل ، العدل ، الرحمة ، حماية الفقير العاجز
عن العمل ..

يصفقون جميعاً ... فكرة طيبة ...

بعضهم : ومن الرئيس ؟

الثائر : نعمل عاماً بدون اختيار أى فرد كرئيس .. كلنا
نعمل كأخوان .. أسرة واحدة وبعد انتهاء العام ينتخب أكثرنا
خدمة وتضحية وإخلاصاً رئيساً لنا

الفصل الرابع

اعتكفت أمانى فى غرفتها ولم تعد تبرحها إلا لما ..
محلقة بروحها فى دنيا حبيبها -- اهاب -- راجية أن تمر الأيام
سراعا حتى تحين الساعة التى تراه فيها وبعد ذاك النوى الذى قدر
عليهما وقد ارتضت به لى يؤدى واجبه نحو وطنه بطلا يحمل
لواء النصر لوطنه الغالى

ومع أنه لم يمر على فراقهما غير أسبوع إنما وحشة الفراق
تشعرها بأنها لم تره منذ أعوام . وقد حاولت أن تشغل وقتها
بالقراءة أو التطريز ؛ ولكن تشعب خواطرها فيه كانت تكتسح
وعينا فلا تفهم ما تقرأه .. ولا تجيد ما تطرزه ، شاعرة بسأم
وضجر يلازمانها فلا تدرك حقيقة ما يحوط بها من مظاهر الحياة
متحمسة لحبها كأنها خلقت خاضعة لسلطان معركة نفسية
هائلة .. ولو أنها معركة بدنية لما شعرت بذلك الجهد المضنى
الذى يسيطر على تفكيرها ويقاق مضجعها وقد جفاها النوم إلى
حين تمت معه لو ظلت عقرب الساعة مستقرا على منتصف النهار
فاذا استقر فكرها على رأى ... كرهت عقلمها الطاغى وتألمت

لسيطرته القاسية .. إذ هو الذى دفعها الى رفض لقاء حبيبها فى الخارج - رغم رجائه المملح ثم لا تلبث أن تهدأ مستريحة إلى ضميرها راضية عن تصرفها إذ تتخيل مآسى الفتيات اللاتى يسايرن أهواءهن وينفذن رغباتهن دون حذر وهى فتاة صون .. فيجب ان تظل كذلك .. وهكذا تتعزى بهدى العقل إلى حد ، وإن كان ذلك لا يبدد ما تعانیه من ألم الوحشة ومضاضة الحرمان وهكذا ظلت على هذه الحالة ؛ قلقة متألّمة يمر النهار وفى ذيله الليل ، ثم ينسحب الليل وحينئذ لا يفتر بل يشتد ويقوى حتى يلهب اعصابها كأن سوطاً من نار يحرك عواطفها كلما سكنت تحت برودة عقلها الرصين ... وعند ما يطغى عليها القلق تترك مخدعها الترقب الدنيا النائمة من النافذة سائلة النجم البازغ عما قدر لها فى سجل الغيب المجهول ...

اترى حظها ملتصعاً مثله ، او مظالماً كصفحة الأفق اللامرئى ونخيلت - اهاب - شاحب الوجه سقيم الجسم ، بادی التجهم والضنى ؛ حليف السهاد ؛ قلق الفكر ؛ نائر الوجدان - لفراقها - فيزداد حزنها وألمها وقلقها وتتمنى لو تستطيع لقاءه فى التو لتستغفره .. ولكن هيهات .. انه يحارب فى الميدان كما قال لها آه لو رآته الآن لتسترضيه ... عليها تكفر عن خطيئتها ...

ما كان اجدره بعطفها قبل رحيله ... كم كانت قاسية ظالمة ...
عند ما قال لها : سأسافر بعد الغد إلى الميدان لأحارب ... وقد
اموت ... فامنحني ساعة انعم فيها بسمرك وحدثك على انفراد ...
فأحجمت وابت واعتذرت وتمنت له سفراً سعيداً راجية الله
في إخلاص ان يرعاه ويحميه ...

فهل يدري الآن انها معذبة مهمومة من اجله ؟ ترى كيف
هو الآن ؟ حاولت ان تتصوره على حاله في الميدان ! فلم يسعفها
خيالها الشارد ولم يرشدها قلبها الحزين التائر ...

وهكذا استسلمت لهواجسها الحزينة وقد غامت عيناها
بالدموع حتى اختلطت امامها الاضواء والمناظر ولبثت لاهية
بأحلامها في شبه غفوة حتى لفجها نسيم السحر فأيقظها من
سروحها واخرجها من غفوتها الالمية ولكنها ظلت في فراشها
لأنها عاهدت نفسها ان تحبس نفسها في غرفتها حتى يعود متكلفة
الانحراف امام اهلها وفي الصباح دخلت عليها الخادم لتحمل اليها
جريدة الصباح فأخذتها في لهفة وراحت تطالع اخبار الحرب ..
في شغف حتى اطمأنت لتحسن الحالة على الحسدود وحمدت الله
ثم قامت وصلت لله شكراً راجية ان يحمي الوطن ويحمي حبيبها
وفي الظهر حمل البريد اليها رسالة من عيلة تعبر فيها عن شوقها

وتعتب عليها عدم زيارتها من زمن ثم نوهت لها عن فرحها الشديد لعدم سفر شقيقتهما مع فرقته حيث بادل ضابطاً آخر وافهمتها ان تكتم الخبر لأنه نبه عليها ألا تبوح بذلك الأمر ثم وعدتها بزيارتها في القريب ...

دهشت أمانى لهذا الخبر العجيب ... إذن اهأب لم يسافر وتخلي عن واجبه في الساعة الرهيبة .. لقد كانت تظن أنه عدل عن هذه الفكرة نهائياً كما وعدوها نزولاً على رغبتهما .. وكذب عليها عندما قال أنه سيسرع ويرحل مع أول فرقة تسافر إلى الحدود مادامت ترفض لقياءه لكي لا يتألم من حرمانه منها وهي بالقرب منه وظنت أنه أجل سفره وضحى بواجبه من أجلها ... فارتاحت لقوة عاطفته ولكن سرعان ما طغى شعورها الوطني على شعورها الذاتي وتجسم لها تصرفه مروعاً لا يتفق مع شهامة الرجولة ولا واجب الجندي .. وراودها إحساس مرير لخبية أملها في فضائله المثلى التي كانت تتصورها .. وفكرت في اصلاح الموقف ورأت أن هناك فرصة وواجبها يقضى عليها ألا تقف مكتوفة اليدين بل يجب ان تعمل امضى جهدها لتحمله على السفر لكي يؤدي واجبه ولتفاجيء عيلة كأنها لا تعلم بوجوده

وبعد لحظة كانت في الطريق تفكر فيما يجب ان تقوله

وكيف تؤثر عليه .. وفجأة قابلتها صديقتها — تماضر — وهي
قناة في سنّها بيضاء الوجه ذهبية الشعر تجمع في عينيها أضواء الفجر
واخضرار العشب ذات قوام أشبه بالغصن الأملد ؛ في صوتها
رنة الطبل الأجوف الخالي من نغم الحنان ؛ فإذا تكلمت شعرت
أن بينك وبينها مسافة طويلة لا يمكن اجتيازها وإذا رأيته وهي
صامتة اخذك جمالها الأول وهلة ثم لا تلبث أن تملأها مبتعداً في غير
أسف لفرة طبيعية لا تدرك كنهها وهي مغرورة تياهة بما
اكتسبته من تعليم ؛ تعتقد أنها بلغت تمامه .. إذ حازت شهادة
الجامعة ثم سافرت إلى الخارج وعادت تحمل جواز الغرور
والكبرياء وهي لا تفتر عن المباهاة بثقافتها وشهاداتها في كل مجلس
كأنها فتاة الجيل ، ..

توقفت أمانى عن المسير عندما نادتها — تماضر — وحيثما
في شوق حيث كانت تعرفت عليها في منزل قريبة لها وحدثت
بينهما شبه صداقة ، ولما سألت تماضر — أمانى — عن وجهتها ..
قالت .. خرجت لأتريض قليلاً لأنني تعبنة وكانت — تماضر —
تعرف ، عبلة لقراءة يديهما ، لذا خافت أن تصارحها بأنها ذاهبة
إلى زيارتها فتذهب معها وتفشل خطتها ... وظنت أنه يمكن
التخلص منها بهذا العذر — لكن تماضر طربت قائلة .. حسنا ..

لقد اتفقنا .. أنا الأخرى خرجت لأتريض

قالت أمانى : إلى أين ؟

تماضر : يمكننا أن نذهب فى مكان هادىء لنتنسم هواً لطيفاً ولا أحسبك إلا مثلى فى حاجة إلى جو بديع ينعش روحك ابتسمت أمانى قائلة : لكن لا يمكننى الذهاب بعيداً لأننى مضطرة للعودة إلى منزلى بعد نصف ساعة على الأكثر

تماضر : لا مانع ... انما نقسم الوقت .. لك ربع ساعة أكون فيها تحت تصرفك .. والربع الثانى تكونى أنت تحت تصرفى

أمانى : اتفقنا .. تسير بها فى طريق البحر

تماضر .. تتوقف عن المسير ... تعالى نذهب إلى حدائق الشلالات ... انها قريبة من هنا ... ويمكننا أن نتمتع بجمال الطبيعة ولطف النسيم وهدوء المكان .. بعيداً عن ضجيج المجتمع أمانى : لتكن مشيئتك ثم تتبعها صامتة مفكرة فى عنبر وجيه يبيع لها تركها وقد فسرت تماضر صمتها بأنها أخذت بمفاتيح الطبيعة البادية ولما وصلا إلى حدائق الشلالات وجلسا على العشب قالت تماضر .. كنت أفكر فى زيارة رفيقة لتصبحينى .. توافق غريب .. صدقة جميلة وخصوصاً أنك أحب من يؤنس وحشتى

أمانى : باسمه .. شكراً وان كنت تبالغين ، صحيح أن
الرياضة لا تحلو إلا مع من يؤنس النفس ولكن لست أنا
تماضر : أبدأ أنت خير من يؤنس الوحشة ويبعد الملل
أمانى : تطرق في حياء ... من لطفك

تصمت كل منهما لتفكر في شأنها ... ثم تقول تماضر .. في
الواقع أنا لا أميل كثيراً إلى مصاحبة الفتيات لأننى لا أجد من
توافقنى فى ميولى ..

أمانى : وقلبا تجد الفتاة من يوافقها .. وأنا كذلك ولذلك
أفضل مصاحبة الكتاب .. تنظر تماضر بعيداً فى مرح قائلة :
قوى .. نقطع هذا الشوط .. جرياً .. فلم تمنع أمانى
وبدأ الجرى ولما وجدت -- أمانى أنها قطعت مسافة طويلة وقد
سبقت رفيقتها استلقت على العشب بقرب المياه الجارية من خلف
الصخور لتنظرها متأملة ظلال الأشجار المنعكسة على صفحتها
ولما وصلت -- تماضر -- قامت إليها وتمشياً فى ببطء ليتأملا
المروج الخضراء وفى وسطها مجارى الماء وبالقرب منها الأدغال
والأحراش ثم نظرت -- تماضر -- إلى ساعتها .. وتلفتت
حواليها حتى استقر نظرها على خيمة مخفية خلف أشجار كثيفة
وهمست لأمانى فى جراءة وغير تهيب .. هناك .. فى هذه الخيمة

ينتظرني خطيبي وسأقدمك له .. لأنه معي على موعد .. وقد
اختار هذه الخيلة لهدوئها

فريعت أمانى — وتجهم وجهها وبان في عينيها بريق الخوف
والتردد وتوقفت عن المسير قائلة : ولكنك تعرضين نفسك
للخطر — يا تماضر

فضحكت تماضر متهمكة قائلة .. أى خطر يا عبيطة .. انه
خطيبي ونحن أحرار آه لو ذهبت إلى فرنسا ورأيت بعيني رأسك
كيف تتمتع الفتاة بالحرية هناك !.

فهرت أمانى رأسها فى استنكار قائلة : إن تقاليدنا الشرقية
غير التقاليد الفرنسية .. ثم نظرت لصاحبتها فى شك وقالت :
انك لم تخبرينى بخطوبتك ولم أسمع عنها ، مع أننا التقينا كثيراً
وتحدثنا طويلاً .. وأين خاتم الخطبة ؟ فضحكت تماضر لتخفى
حيرتها ثم قالت فى جرأة : لم ألبسه بعد لظروف خاصة .. ثم
سحبته فى عجالة وهى تقول .. اسرعى .. لاشك أنه فى انتظارى
منذ زمن.

قالت ، أمانى وهى ترمقها ... إلى هذا الحد تحببته ..
تماضر : انه يحبنى أكثر بل ويعبدنى ولعله لم يخلق للحب فى

الحياة سوانا ..

أمانى : فى مرارة .. كل حبيبان يعتقدان ذلك .. وهنا مر
بخاطرهما — طيف اهاب .. فاضطربت وتوقفت عن المسير
إذ خيل اليها أن لقاء رجل غريب جرما لا نهاية لفضاعته فى حق
الحب الذى أولته شرفها وحق اهاب الذى أولته حبها وقبضت
على يد — تماضر — وهى تقول ، أنت وخطيبك ومالى أنا ؟
وتحولت لتعود ولكن تماضر تشبثت بها وجذبتها رغما عنها
وكانا اقتربا من الحميلة فصاحت — تماضر — ها هو ، لم يرني
بعد .. وأنه مشغول بقراءة المجلة .. حسنا .. لكى أفاجئه ..
لقد تأخرت عليه .. يبدو عليه القلق ... انه يقطع ملل
الانتظار بالقراءة .. مع أن ظاهرة التفكير بادية عليه .. سيعتب
على بلا شك — كانت تتحدث وهى ناظرة اليه على أن — أمانى —
لم تحول نظرها اليه حياء وخجلا واعتقاداً منها بأن النظر
اليه أو التحدث معه جناية فى حق حبها — لاهاب — ولم تستطع
التخلص من ذراع — تماضر — التى قبضت عليها وسحبها حتى
بلغته فقالت ، اهاب ، أقدم اليك صديقتى — أمانى — ورفعت
أمانى نظرها فى فزع فوقع بصرها على حبيبها — اهاب ..
وهنا ... تمالك نفسها رغم امتقاع وجهها واعتزاز جسمها

فى شبه عصية كأن حمى أصابتها وتصلبت عضلاتها حتى صعب
عليها الحركة... ولـكنها استجمعت قواها وتنحت عنهما فى
هدوء وتمشت فى تعثر وارتباك وهى تكاد تقع على الأرض...
وضحكت تماضر قائلة... تريد أن تترك لنا مجال الحرية... أنها
طيبة القلب... ونظرت إليه دهشة وقد فسرت وجوده واضطرابه
لمصاحبتها أمانى دون استئذانه فاقتربت منه ملاطفة لتسترضيه
قائلة صديقتى أمانى ؛ سليمة النية ساذجة ، طاهرة النفس ؛ كريمة
الخلق ؛ أثق فى أمانتها ثقة أوفر من ثقتى بأختى... فلم ينظر إليها
وظل نظره عالقا بأمانى وهى تسير كالمحموم ثم قال بصوت تعمد
أن يصل إلى مسمى أمانى التى كانت تسير فى بطاء وتعثر : لقد
تأخرت يا آنسة... أعتذر لأننى على ميعاد مع صديقتى... وتركها
دون تحية وهرب يعدو دون أن يلتفت إلى نداءها...

لم تفهم — تماضر — ما يرمى إليه ؛ واتهمت نفسها بالطيش
لأنها أيقنت أنها أخطأت ولا شك أنه فسر تصرفها بالتهور
والطيش ومعه الحق لأنه تعود أن يلقاها بمفردها ليتحدث إليها
فى حرية كما عودها وحز ذلك فى نفسها وراحت تؤنب نفسها
وهى تسير لتلحق بأمانى وقد أنساها الفكر فى حبيبها الغاضب
ملاحظة صاحبها وهى تسير متشاقة مهمومة وقد سكنت كل

منهما لتفكر في امرها

أما — هو — فقد عجب لهذه المصادفة الغريبة ، أتضامنت
الفتاتان لكشف خيائته — أم القدر يتهكم منه ! ثم استعاذ ذكرى
هذه وتلك فوجد أن صلته بهما لا تسمح لأحدهما أن تشك في حبه أو
ترتاب في إخلاصه أو تعرف عنه ما يريب أو يبعث على الشك وسامل نفسه
أيهما يحب فوجد أنه بقدر ما يحب هذه يحب تلك ، يحب في تماضر
الجرأة والطلاقة والاستسلام ، ويحب في أمانى الخوف والهدوء
والتحصن ، لكنه لا يدري أيهما الأبقى في قلبه على مر الأيام قد
تكون هذه وقد تكون تلك ، لا يدري !! وعندما لاح البدر من وراء
الضباب تنفست — أمانى — كأنها استراحت لمراه وكانت لم
تزل تسير برفقة (تماضر) وغالبت همها وحزنها متصنعة بسمة
لتخفي بها ما يجول بذهنها مخاطبة (تماضر) وهي تحديق وجه القمر
أنظري إلى القمر (يا تماضر) ألا ترى أنه أنقى معدنا وهو بطهره يمثل
صورة الحقيقة الخالدة ... حقيقة الجلال السرمدي .. كم أتمنى .. لو
تتبدل حقيقتي من البشرية الفانية إلى النور الأزلي ثم ابتسمت
ساخرة من هذه الأمنية معقبة .. يقولون أن الإنسان أفضل
مخلوقات الله .. ولعمري فيم الفضل ، أفى خيائته وغدره أم فى قدرته
على الكذب والرياء ثم خافت أن تفضحها عواطفها فغيرت

لهجتها وعادت تقول .. كم يطربنى رؤية القمر إنه يريح أعصابي
تأمل الطبيعة في وجوده .. جميلة رائعة . فأعقبت (تماضر) وقد
تتهت من تفكيرها أخيرا .. لا ريب في أن الإنسان أفضل مخلوقات الله
أمانى : إذا كان خيرا صالحا فاضلا ..

تماضر : نسيت أن تقولى ، محبا ، وهو المهم . وتنهدت ثم
غمغمت بصوت بطيء كأنها تقتطف كلماته من قلبها .. ما أجل الحب
وما أعظم الحب لو أحب كل الناس لما شكوا أحدهم هما .. رغم
الضباب الذى يحجب عنا أحيانا سعادته المرموقة

فنهطت إليها أمانى فى (مراره) قائلة انك تتحدثين عن الحب
بسهولة ولعلك تفهمينه كذلك بسهولة .. أنا على عكسك تماما . أحب
أحد أمرين للناس .. إما أن يتحابوا مخلصين أو يتباغضوا معلنين البغض
ليحذر كل فرد صاحبه .. وصمتت مليا لتخفى ما ألم بها من ضنى ثم
أردفت .. على فكرة ، لماذا عاد خطيبك مسرعا ؟

تماضر : لأنه كان على موعد مع صديق له . قالت ذلك بامهجة
أكيدة وتنهدت وهى تقول ، الذنب ذنبى ، تأخرت عليه . كان
الميعاد السادسة فحضرت السادسة ونصف ، بل لعل ساعتى غير
مضبوطة .

لم تتمالك أمانى نفسها ، حياها هذه الثقة فضحكت بقلب محزون

قائله .. أمره عجيب ؛ مهما كان الأمر ، فما كان أحراك بدقائق على الأقل أيفضل صديقه عليك ..

فاحتدت (تماضر) لتبرىء خطيبتها على حد اعترافها - وقالت أحيانا ترغمنا الظروف على عمل مالا نرجوه ... وأهاب ، غيور جدا لقد خاف أن يلحق به صديقه حيث كان ينتظره بالقرب منا فضحككت أمانى متهمكة قائلة ... كم أنت طيبة يا صديقتى اسمحى لى أن أحتج على تصرفه .. ويجب أن تفكرى فى الأمر ... ولا أكتمك أننى لا افهم معنى الغيرة التى تسمح للرجل أن يقابل حبيبته فى الحدائق العامة على مرأى من الناس معرضا إياها للإفك وسوء الأقاويل ؟ أليست الغيرة هى طابع الحب والحب يتطلب الحرص على الحبيب هذا ما أفهمه !! آه معذرة لقد نسيت .. انه خطيبك وليس حبيبك ...

تماضر ، حبيبي ، خطيبي ، سيان ... لاضير من لقائنا فى أى مكان ... على انه بحسن نية تصرف .. فقد كان فى مقدوره أن يتخلف عن الميعاد ثم يعتذر إلى ... ولكنه لا يحاول أن يغضبني أبداً فقالت (أمانى) متخابثة ... ثقة غالية .. حبذا لو قدرها ولكن ألا يحتمل أن تكون صديقة أخرى ؟

تماضر : فى جد لتنفى زعمها ... محال ، محال ، انه لا يعرف سوى

وشاءت أمانى أن تستدرج صاحبها لتعرف منها كل شيء فقالت
يظهر حقاً أنه يهواك .. لأننى أعرف جميع الضباط الآن فى
شغل شاغل عن نفوسهم ... بعضهم يحارب وبعضهم يحرس ...
فالضابط الذى يترك واجبه من أجل حبيبته يكون أخاهوى
أكيد

تماضر : تصورى يا أمانى . انه تخلف عن فرقته وبادل ضابطا
آخر من أجلى

فنظرت إليها وقد فاض من عينيها شعاع قلبها الملتاع وقالت :
من أجلك أنت ... يالها من تضحية هائلة ...

وهل أنت مسرورة من تصرفه هذا ؟

تماضر : بالتأكيد ، وأى سرور ؟؟؟

أمانى : لو كنت مكانك لما رضيت عنه وشككت فى حبه لأن
الرجل الذى يتخلى عن واجبه المقدس وقت الشدة والحاجة ليس
جدير بأحب امرأة ... وإذا خان وطنه فلا أحسبه يؤتمن على حبيبته !!
تماضر : هذه سفسطة جافة ليذهب العالم كله وليبق لى حبيبي
أمانى : لا أحسبك تجدين يا عزيزتى فرض على الإنسان أن
يكون انسانيا يمنح العالم بقدر ما يريد أن يمنحه إياه على الأقل
ورجل كخطيئك يتخلى عن وطنه الذى يدين له بحياته فلن يتردد

فَ تَرَكَ إِذَا حَوْلَهُ عَنْكَ أَمْرٌ آخَرٌ . . ان المرأة للرجل وطنه الثاني
فاذا هان عليه غدر وطنه الأول فقد هان عليه غدر وطنه الثاني
واقعد أصبحت الخطبة في هذا العصر العوبة كالأعيب الحب تماما
فالرجل عندما يستعصى عليه اغراء فتاة يتقدم إليها باسم الخطبة
لينال منها ما ربه فإذا قضى منها لبائته تنحى عنها في جراءة ونذالة
يدعوى أنها لم توافق ميوله أو أخلاقها لم توافقه وصمتت لتسترد
أنفاسها الحارة ثم أعقبت بصوت تخنقه العبرات عينا الثقة به ثقة
مطلقة فقاطعتها

تأضر : انت قاسية يا أمانى . . . وهل تطيب الحياة العاطفية أو
الزوجية بدون الثقة المشتركة بين الاثنين ؟

أمانى : لا تخلطى بين الحياة العاطفية والحياة الزوجية الأولى
علاقة أشبه بالتعارف الخيالى قابل لكل مؤثر خارجى . . ماذا يكون
نصيبك لو غدرك حبيبك بعد أن أوليته من نفسك حبك وثقتك

تأضر : فى جدوثبات ، محال ان يحب غيرى وهو نبيل طيب القلب
امانى : هي أنه أحب فتاة أخرى واكتشفت انت خيائته

تأضر : ولماذا نفرض المحال . انه يحمل بين جانبيه قلب نبى !

امانى : أوه - أفهمينى يا تأضر . . إذا كان تغير الدين والعقيدة

ليس من المحال ؛ أيمكن استحالة تحول القلب الذى يتأثر بكل جديد

طريف تخيل امرأة اخرى ملكت قلبه (انه مجرد فرض) ماذا تفعلين؟
تجهم وجه تهاضر ودمدمت وتوعدت مغمغمة . اقتله واقتلها
فابتسمت امانى فى مرارة قائله (وما ذنبها) لقد قال لها كل
ماقاله لك وقد يكون اكثر فآمنت المسكينة كما آمنت وثقى ان
المرأة لا تحب الرجل إلا إذا أكد لها أنه لا يحب ولن يحب سواها
وأنها أول حبيبته وآخر حبيبته وقدماكت قلبه ولم تدع لغيرها مكانا
أليست هذه أنشودة الرجل التى يلقيها على مسمع كل امرأة يتحجب
إليها .. إذن هى مثلك . اقسم لها فصدقت واظهر لها الحب الصحيح
فآمنت غرها بريق اللفظ الخلاب وخدعها التماع المنطق الجذاب
لها الله ...

ثم التفتت إليها وقالت بلهجة الناصحة لقد فهمت اخيرا ان
المرأة لا تسلم من الرجل إلا إذا عاشت بعيدا عن دنياه حذرة منه ابدأ
إنما هل يمكن هذا ؟

فقاطعتها .. طبعاً لا يمكن . مطلقاً الا اذا عاشت فى دير ثم
ضحكت فى طلاقة مردفة ليس ثمة ما يدعو للقسوة على الرجل
يا صاحبتى ولا تنسى ان العيوب التى نتهم بها الرجل تصاب بها
المرأة أحيانا

امانى : هو الذى يعلمها ويقودها . مسكينة المرأة وغمغمت بصوت
خفيض حار كأنها تناجى نفسها سوف تظل سفينة المرأة حائرة
وسط بحر الحياة الزاخر يتلاعب بها المد والجزر ولن تنج من
العثرات إلا إذا عرفت كيف تقود بنفسها السفينة نحو شاطئ
السلام او تسبح بمهارة فوق اللجة غير عابئة بالعواصف فى حذر
يقيها شرها . مسكينة المرأة فى الوقت الذى تطمئن فيه إلى الرجل
تنفتح بصيرتها على الحقيقة المرة . لها الله

فاستخفت (تماضر) بها ضاحكة متهمكة قائلة من اين لك هذه
الفلسفة كأنك خريجة الجامعة

تأملت امانى لسخريتها ولكنها كظمت غيظها وقالت وماذا
تجدى الفلسفة التى فى بطون الكتب إذا كانت النفوس ضريرة
لقد ولدتنى ام ذكية حساسة وارضعتنى لبان المعرفة من ثدى
التفكير الحر والاحساس الوفير ولقحتنى بمصل الايمان وعلمتنى
اصول الحق المشروع فأدركت بفطرتى ومواهبى ما لم تدركه
خريجات الجامعة اللاتى يتعلنن من اجل المظهر او ليقفن بجانب
الرجال فى ميدان العمل — اسكتى اسكتى فأنا نائرة على المرأة
بقدر ثورتى على الرجل ويزيد

اغتاظت — تماضر — لهذه الالهانة وبان على وجهها مدى

تأثرها وقالت فى حماسة .. لقد رفعت فتاة الجامعة رأس المرأة
المصرية، على الأقل أثبتت للعالم أنها لا تقل ذكاء وفطنة عن الرجل
فقاطعتها : هناك أعمال أخرى أجل من ذلك ...

تماضر : لقد خرجنا من موضوع إلى موضوع وأخشى
أن تشعب المواضيع ...

ثم تكلفت بسمة ... لتسكت صاحبها حيث كانت تعلم عنها
أنها قوية الحجة مفكرة وأردفت : على كل حال أنا مطمئنة إلى
خطيبي وسوف يسترضيني

فتنفست — أمانى الصعداء وقالت ... طبعاً وهين عليه ذلك
يا عزيزتى (وكادت تقول البلماء ولكنها تداركت وقالت)
الحسنة ... كلمة منه ترضي لأنه يملك مخدر الأغراء العجيب ...
وهنا وصلنا منحرج الطريق الموصل إلى بيت — تماضر —
فافترقتا على موعد وسارت كل منهما فى طريق منزلها

وما كادت أمانى تقطع شوطاً بعيداً فى الطريق حتى فوجئت
— باهاب — يعترض طريقها كأنه كان على موعد معها — ثم
خاطبها فى لهجة رزينة هادئة : اتبعينى إلى منزلنا .. أو اسبقينى ..
عندى ما أقوله لك ..

فما لكت شعورها في جهد وقالت في جد ودهشة كأنها لا
تعرفه .. لقد أخطأت يا سيدي .. لست أنا التي تريدها
قال في حدة : بل انت .. اسرعي إلى منزلنا ... الناس تنظر
وسأضطر إلى ملازمتك ...

فريعت وتنبهت وخافت واضطرت إلى تنفيذ امره لكي لا
تدع مجالا لسوء ظن المارة او تحمله على ملازمتها في الطريق وسارت
وهي تغمغم ارجوك .. كفي ..
فقال بصوت الجاد ... الأمر يهمك جدا ... فاذهي وإلا
لست مسئولا عن النتيجة ...

خافت ان يكون في الأمر سرا فأذعنت مضطرة لتضع حدا
لمهزلاته واخذت طريقها إلى منزله وفي نيتها أن تضع حدا لعلاقتها
ولما بلغت منزله دخلت باحثة عن اخته ... فلم تجد في المنزل
غير الخادم فارتدت بسرعة لتخرج على انه دخل في اثرها
واستوقفها قائلا بلمهة جافة : لماذا تخرجين مع هذه الفتاة ؟
فدهشت لجرأته وتمعنت في اغاظته قائلة في غير اكتراث
بصوت خال من الرقة — انا حرة

قال في غضب : اذن تخدعيني ...
قالت في تهكم وفتور ، انت ممثل بارع

فعاد يقول محتدا.. انسيت انك مقيدة بي امام الله وملائكته
اعنى انك زوجتى
فريعت وزاغ بصرها وقالت فى اضطراب ؛ أتلعب بالشرعية
ايضا ؟

قال .. اليس الزواج قبول الطرفين.. وقد اتفقنا وتعاهدنا ..
فلزمت الجد والوقار قائلة : لقد اصبحت فى حل من هذا العهد
قال فى ثورة .. خائنة ...
قالت : الأمر بسيط .. لقد احببت رجلا صادقا .. وقد مات
ولا استطيع ان احب رجلا خادعا منافقا
ولمح بواذر الألم والغضب ورأى الموقف يحتاج للحكمة فقال
فى لين ودعة وقد التمعت عيناه بهريق غريب .. امانى .. انا سعيد
بغيرتك على .. الآن فهمت أنك تحبيننى .
فقاطعته .. لا .. لا .. لا اثر لهذا فى نفسى مطلقا
فاستطرد.. هي ان الذى قابلها حبسها فكيف يكون موقفك
ساعتئذ ؛ من حسن الحظ ان حبسها ارسلنى اليها
فقاطعته .. ما معنى هذا ؟

فقال بلا تردد.. معناه يا عزيزتى ان هذه الانسة صديقة لصديقى
مدحت وحدث بينهما سوء تفاهم لسبب تافه وقد صحبتنى معه لكى ازيل

سوء تفاهمهما واكون شفيعه لديها... وقضت الحكمة ان اذهب قبله
لأشهد سبيل تفاهمهما

ثم غير لهجته من اللين الى الشدة مردفا... فاذا بي اجد حضرتك
ولشد ما اخشى ان يكون سبق لك مجالسة صديقها من قبل
فقاطعته في غير اكرثا لتغيظه... وما الضرر؟؟
فتظاهر بالغيرة نائرا.. أمانى؛ صارحني
قالت.. كل شيء محتمل

قال — دعى المزاح؛ أيرضيك تشويه كرامتى وكرامتك؟؟
قالت متهمكة — وما صلة كرامتك بكرامتى يا سيدى!
وتنحيت عنه لتخرج مغممة.. كفى.. احمد الله..
فاستوقفها قائلا — ما معنى هذا؟ لا تحاولي التخلص من
الاعتراف بخطئك

فقالت بلهجة متقطعة كأنها تختطف كلماتها من زياط قلبها وقد
أشاحت بوجهها لى لا يقع نظرها عليه... قد انتهى ما كان
بيننا... لست من الغباء بمكان حتى أصدق ما قلت..

قال فى حدة وصرامة.. ما قلته هو الصدق وأقسم لك...
فقاطعته.. لا يمكن أن تكذب الفتاة..

قال.. انك طيبة القلب.. وقد يكون صاحبي أفضى اليها

بحي لك لأنه يعلم أنني راغب في الزواج منك... ولا اكتمك أن
هذه الفتاة حاولت كثيرا ان تجذبني ولكنني لا أميل إلى هذا
النوع من النساء ثم انني وطنت حياتي عليك... والمرأة إذا خابت في
حبها سعت في الانتقام من الرجل... واغلب ظني انها شوهتني
في نظرك لكي يحدث بيننا سوء تفاهم... ولقد نجحت الشيطانة
فقلت في جد كفي ولم اذن تأخرت عن السفر الى الميدان؟

وما الذي ادراها كل ماقلته لها قلته لي اسكت لقد فهمت كل شيء
وشعرت بالدم الحار يغلي في عروقها فقالت في الم لقد كنت احسبك
رجلا شجاعا نبيلًا مخلصًا ولا انكر قد يكون تحولك الى امرأة اخرى
مؤلمًا حقًا ولكنه الم عارض لأنني لم اخسر في حبك غير ثقتي وبمهكن
ان استردها بقليل من الحكمة. اما ان تتسحى عن واجبك من اجل اللهو
والعبث فذلك لا استسيغه من رجل انظر إليه كمثل اعلى لي في الحياة
فقاطعها ان واجبي الوطني أوديه في اى مكان وان شئت سافرت
اليوم الى الميدان لأثبت لك اخلاصى وصدوعى لأمرك لعنة الله على
هذه الفتاة ابسمى واشرقى وقولى انك صدقت

كانت لهجته اللطيفة الوديعه اشبه بتيار كهربائى ايقظ مشاعرهما
ولكنها كتمت عاطفتها قائلة لست نائمة وارجو لك التوفيق مع
من تحب انما اوصيك ان تخلص لها ثم خانتها عاطفتها المكبوتة

فبكت تأثراً بعد ان حولت وجهها بعيداً لتخفى اضطرام مشاعرها
وحاول ان يقول شيئاً ولكن هيثمها الرهيبة ألجأت لسانه فقلعتم
ملياً ثم قال لهم انت تغالطين نفسك ترضية لكبريائك المزدول.. هاهو
الحب يشيع فى عينيك رغمًا عنك فأسببتكما وهى تقول - كذب
قال اصدق ما فيك عيناك.. وانا- انظرى فى عيني ستعرفين من
نورهما مدى عاطفتي الحارة العنيفة

فقاطعته : كفاك .. كفاك .. لست فتاة ساذجة افهم ذلك
جيداً ولتكن كاذباً أو صادقاً - هذا لم يعد يهمنى .. أن استهتارك
بواجبك الوطنى كفيل بقتل أعظم حب فى أى قلب يحب وطنه ..
وهنا ترمى اليهما نشيد الجند فى المذياع ..

فصرخت فى وجهه .. اسمع أيها الضابط .. اسمع صوت
جنودك .. ثم ضحكت فى سرارة قائلة .. الجند تكافح وتقاتل ..
وقائدهم يتغنى بالحب الكاذب ويتسلى باللهو الرخيص دعنى
أسألك ؟ هل لك بين صدرك قلب ابن مصر ؟ هل تجرى فى
شرايينك حزارة مصر ؟ هل أرضعتك أمك لبان النيل ؟ يخيل
إلى أنك لست من أبناء مصر ؟

فقاطعها محتدأً بلمحة المغيظ .. كفاك يا آنسة - لقد بالغت فى
أسأمتى ، مهما كنت .. فلن تقومى بواجبك نحو الوطن كما أقوم ..

أنت امرأة وأنا رجل .

فقلت : وما فائدة الرجولة إذا عجزت عن تأدية مهمتها المرجوة
فعاد إلى تلطفه قائلاً : تحاولين إثارتى يا شقية .. قولى ما شئت
وستجدين فتاك فى الغداة كما تحبين

قالت : أنت .. أنك لم تخلق للعمل الجدى .. وأغلب ظنى
أنك دخلت مدرسة الحربية لتستعين بزيتك وسلاحك اللامع على
فتح قلوب العذارى .. لا لصد العدو أو لفتح بلاده .. واأسفاه ..
على الرجولة المزيفة .. والقوة المخنثة .. والروح السقيم ..



الفصل الخامس

قضت أمانى فى دارها بعض الأيام مرت بها بطيئة متناقلة
مهمومة النفس محزونة الفؤاد مكرومة القلب ساخطة على الحياة
ناقة على اهاب .. برمة ضجرة ولم يراودها أى إحساس يدينها منه
فقد حدث لعاطفتها القوية رد فعل هائل .. وتحطم أملها بعد أن
بذلت فى سبيله إخلاصها الأكيد على أن اعترافه بأن تماضر كانت
تجبه وأنه صدها ترك فى نفسها أثراً ولم يكن لديها وسيلة للترفيه عن
نفسها سوى المطالعة وظنت أنها ربما تعمدت أن تظهره أمامها
مخائناً لكي تتنحى عنه انتقاماً منه لذا بدأت تأمل أن تصلحه عساه
يشوب إلى نفسه ويقوم بواجبه نحو وطنه ويكفر عن خطيئته
فيعود إليها نقي الضمير طاهر القلب .. واستراحت لهذا الخاطر
وحاولت أن تتفاهل بالمستقبل مفكرة فيما عساها أن تفعله من أجله
دخل عليها شقيقها (أمين) عليه سيماء التعب والكد وبعد
أن استراح بجانبها قليلاً راح يطالع جريدة المساء .. ولم يلبث
حتى تأفف ملئاً برماً ورمها فى ضجر بجانبه وهو يقول : كل
يوم نطالع رجاء الكتاب وتوسلاتهم لجمع التبرعات من أجل
الفقراء وكل يوم نقرأ مشروعاً جديداً ونتيجة اكتاب جديد ..

والأيام تمر والشهور تكرر والسنون تتوالى .. وما زالت الشوارع
ملاى بالشحاذين وما زالت الأرض صفة فى الليل مضجعا للبؤساء
والمحرومين ..

مشاريع تولدها الأذهان الخصيبة وتصورها الأقالام الصريحة
وتنظمها الحكومات الرشيدة .. لكن أين تتيجتها .. لا ندرى ...
قضايا تدرس طويلا ويتعب فى سبيل تحقيقها المئات أو يزيد ..
ثم تحفظ .. كما تحفظ أوراق قضية مجهولة .. متى يلزم العزم
تفكيرنا والعمل الجدى محاولتنا .. متى ؟ متى ؟

كان يتحدث فى ثورة نبهت تفكير أخته .. فاعتدلت فى
جلستها ونظرت إليه مشفقة لأنها كانت تعلم أن فى صدره ثورة
محتجزة وقالت : لا يمكن تنفيذ مناهج الإصلاح فى وقت قصير ..
نحن نهىء التربة ونبذر الحب ونتعهد الزرع ليخصد غيرنا ..
— إذن — لابد من زمن طويل نعبد فيه الطريق ونصلح ما
أفسدته النفوس المريضة ليلبغ الشعب الطامح مأربه وتحقق الأمة
النامضة أمنيتها حتى تنال الانسانية حريتها الشاملة
وطمأنينتها الكاملة ..

وعاد ليتمم مطالعة الصحيفة بعد أن هدأ ملياً .. ثم ابتسم
قائلاً .. تصورى ؛ طلبت الحكومة من فلان باشا المليونير

المعروف أن يسمح لبعض المهاجرين بالإقامة في منازل عزبته
الخالية .. فاعتذر الثرى المصرى بأنه لا يوجد عنده غرفة واحدة
مخالفة لأن كثيراً من المهاجرين نزلوا عنده .. وفى ذلك الوقت
يصدر أمره إلى خدمه بوضع الغلال والحبوب والقطن في المنازل
الخالية .. أسمعت عن عقوق كهذا ؟ إن أغنياء إنجلترا وضعوا
أموالهم تحت تصرف الحكومة وقت الحرب وأغنياؤنا يضمنون
بالرحمة ومساعدة غيرهم المحتاجين فى ذلك الوقت العسير مع أن
ذلك لا يكلفهم غير النذر اليسير بل لعله لا يكلفهم أى ملهم ..
ألا يخجل الغنى الجاحد من نفسه عندما يرى غيره يقدم دمه
قربانا لحرية مصر .. بينما يضمن هو بدرهمات معدودة فى سبيل
راحة أبناء وطنه ؟

جماعة تقدم دمها لتحفظ كيان الوطن
وجماعة تشرب هذا الدم لتحفظ كيان نفسها
يا للفارق الهائل ... بين التضحية والأنانية ...

حمل إليها بريد الصباح رسالة من — اهـاب —
عزيزتى أمانى
بعثت الروح القوى فى صدرى منذ رأيته .. لقد كنت

أجرب اخلاصك لوطنك لأطمئن على إخلاصك لى ... والآن
لم يكن لى هدف غير خدمة مصر مرضاة لك ، ولقد كتبت إلى
القيادة العليا لى أسافر إلى الحدود — وقد قبل الطلب ...
أسافر غداً يا أمانى ...

فهل لك أن تحضرى لتمديننى بقبس من نور روحك
— قبل سفرى — لأستعين به على صد هجمات العدو

أمانى ... ومن أجلك أذود عن وطنى ...
فتعالى لأسمع منك كلمة تعيننى على تحمل الصعاب
المخلص

أهاب

ابتسمت أمانى بعد تبهمها وتفاءلت بعد تشاؤمها وهدأ قلبها
الناثر واطمأن روحها الحائر وبدأ الأمل يبدو فى غلالة بيضاء
ناصعة تلوح لها فى أفق نورانى بهيج ؛ ولم يترك قلبها فرصة
لعقلها كى يفكر وسرعان ما ذهبت إليه لتودعه تياهة بتأثيرها عليه
ذهبت دون ان تبعث إليه فلم تجده ووجدت أخته وبعد ان
دار بينهما الحديث فى شئون متنوعة علمت من سياق حديث عبلة
أن أخاها لن يسافر

وهنا شعرت بصدمة عاطفية مرة واستأذنت إذ فكرت فى

الخروج قبل مجيئه وقد شعرت بكرهية له واحتقار مريع ..
وما كادت تدخل دارها حتى وجدت — تماضر — في
انتظارها فلما استقر بهما المقام وتحدثا ملياً ... ناولت تماضر —
رسالة إلى أمانى فى فرح وبشر قائلة ... اقرئى ...

عزيزتى — تماضر —

كان لسهرة الأمس أكبر الأثر فى نفسى ... لم أنم طوال
الليل إذ ظل خيالك الجميل بجانبى يحدثنى بصوتك العذب الرخيم
وفكاهاتك الحلوة .. — وفى الواقع — لم أعد احتمل الحياة
فى بعدك، وانى أفكر تفكيراً جدياً فى تركيز حياتنا تركيزاً
يرضيك ... وفى انتظار الفرصة السانحة لأفاجئك بتحقيق أمنية
طالما تمنيناها سوياً ... ليسعد كل منا بصاحبه ...

انتظرك فى الغداء كما اتفقنا

وإلى اللقاء يا حبيبتي

المخلص

أهاب ..

كانت هذه الرسالة كائية لتوكيد احتقار أمانى وكراهيتها
الشديدة له ... وخانتها دموعها من فرط الاسى وخيبة الأمل ...
ولكنها تكلفت الابتسام وهى تقول : ذكرتني هذه الرسالة

برسائل خطيب لحدى صديقتى ... كان يكتب لها فى حرارة
أحر من هذه .. وأخيراً خانها وأحب غيرها .. على أننى أرجو
ألا يكون نصيبك كنصيبها ... وأن تأخذى حذرک من الرجل
أبدأ ...

فقلت — تماضر — وهى تتأمل الرسالة فى سرور وغبطة
تختلف الرجال كاختلاف أصابع اليد .. ان اهاب أطهر من
الطهر وأصدق من الصدق

فقلت — أمانى — جميل ان تظنى ذلك ولكن الأجل
ان تثبت لك الايام صحة ذلك

فضحكت — تماضر — فى استنكاف قائلة — انت يا صديقتى
متشائمة وانا متفائلة ونصيب الانسان من دنياه وليد شعوره
فصمتت — أمانى — مليا تفكر فيما عسى ان تفعله لتنقذ
صاحبته من مخالب هذا الذئب .. ورأت المهمة عسيرة .. وأخيراً
قالت فى يأس : عسير على ان افهم معنى العاطفة التى تجعل المرأة
عبدة لمن تحب بينما يكون الرجل سيداً بهذه العاطفة .. المرأة
تمنح قلبها وعقلها وحياتها للرجل الذى تحبه دون أن تشرك معه
سواه .. مقدمة كل ما تملك قرباناً على مذبح رضاه وهو لا يستحي
ولا يحاول الحرص على حب المرأة التى تهواه .. ولو أنها أحبته

دون أن يشعرها بحبه لها ان الامر .. بل هو البادى وهو الذى
يعلمها كيف تحبه وأخيراً لا يتعفف ويحب مشى وثلاث ورباع
بل قد يكون له فى كل يوم اثنين من الحبيبات .. دام يجب ان
يتطهر منه الرجل

وشعرت ان قلبها يرفرف محاولا الخروج من مكانه نخافت
وقبضت عليه بيدها كأنها تعاني ضيقاً فى التنفس وغمغمت ..
ويل للمرأة من قلبها انه سبب عذابها

واندفعت — تماضر — تدافع عن الرجل فى حرارة وحمية
قائلة : لا تنسى ان المرأة تحب وتغدر وتخون أيضاً

فقاطعتها .. ان المرأة لا تغدر ولا تخون إلا إذا أحسنت بحاجتها
القصوى إلى الحب ومحال أن تحب المرأة وتبحث عن الحب بدليل
أن المرأة قد تترك زوجها وأولادها وقصرها وخدمها .. لتذهب
مع رجل فقير حقير .. وهنا لا أعصم المرأة من الطيش والجنون
ولاكن جوهر الحب الذى ملكها يثبت سلطة الحب عليها وقناعتها
به .. والمرأة التى تظهر الحب لعدة رجال .. تكون خالية القلب من
الحب .. تأه كدى .. إذ لو عمر قلبها بالحب .. لما فكرت فى غير من
تحب مطلقاً .. مطلقاً .. أنت تحبين خطيئك ! أتفكرين فى غيره
تماضر : طبعاً لا .. ولا يمكن ذلك أبداً

أمانى : أما هو فأؤكد لك أنه يفكر فى غيرك وفى غيرها
تماضر فى حدة : أبداً .. أبداً ..

ليس جرماً أن تحب المرأة ثم تبغض وتحب وكذلك الرجل
أنا لا أعيب عليه أن يحب ويبغض ثم يحب .. ولكننى أعيب عليه
أن يجمع بين عدة حسيات ولو أنه أحب فى كل واحدة فضيلة أو
ميزة مثلاً ليكون من مجموعهن واحدة مصارحاً كل واحدة بأنه
لا يحب سواها لغير الميزة التى يحبها فيها لكان الأمر .. ولكننى
أخذ عليه خداع المرأة وأيهامها أنها حبيبته الوحيدة ليجعل نفسه قبلة
تفكيرها ومحط حبها .. بينا هو يعبت بذاك الحب كما يعبت لسواه
- إذن - ليس الجرم فى الحب والبغض فلكل منهما باعته وغايته
وزمنه ولكن الجرم هو تسمية اللهو حبا والعبت وجداً والتسلية غراماً
لم تشأ - تماضر - أن يظل الحديث فى هذا الشأن لى لا تخرج
كرامة - أهاب - فى غيبته وهى موقنة بطهره وصدقته فانتقلت
بالحديث إلى السينما واختيار أزياء الصيف

ولما انصرفت كانت عاطفة أمانى أشبه باللهب المستعر فارتمت
فى مخدعها باكية من تأثير عاطفتها الجائرة راجية أن تسلوه أنها
تحتقره وتمقته .. ولكنه لم يزل يقبع فى ركن قلبها يلوح لها من
وراء خيالها بين الطيفة والأخرى .. ولشد ما يؤلمها ذلك ..

تريد أن تشل حركة تفكيرها لكي لا تفكر فيه وأن توقف
خفقات قلبها لكي لا تشعر به .. وقامت إلى صوانها مشاقلة وأخرجت
منه غلافا استخرجت منه صورة له ومجموعة رسائله ... طالعها
وهي باكية ... أشعلت فيها النار وهي تغغم .. في ذمة الشيطان
إلى النار ... إلى جهنم

ولما هدأت ساءلت نفسها ... أهى قادرة حقاً على مقتته ..
ولما فكرت بحكمة ... أدركت أنها كانت تحب فيه الشجاعة والشهامة
والنبيل والشرف والقوة ... تحب فيه كل ما ينقص المرأة وما تتطلبه
في الرجل القوى العارم ولا اعتقادها أنه مثلها الأعلى ونصفها المتم
لم تتردد في حبه إجابة لهواه - أما وقد خلع عنه مسوح الرجولة
وبانت حقيقته البغيضة فما أحراه بالمقت والأزدراء

لقد كانت أوشكت أن تبغضه عندما كشفت خيائته الأولى
فلما عاد ليثبت لها رجولته .. تعلق بأذيال الأمل وحاولت أن تنسى
الأساءة .. أما الآن وقد ثبتت لها خيائته وضعة نفسه فقد خبا ما كان
في نفسها باقيا من الأمل وتلاشى ما كان في قلبها من هوى ... ومن
أسوأ حالات الفتيات في سنهن المبكر .. تعلقن بالحب في مبالغة
بقدر ما تجسمه الأحلام والآمال اللامحدودة وتهاكمن على تعزيز
هذا الحب بخيالهن البديع فاذا تضاءلت الأحلام السارة المنعشة

وتوارت خلف ضباب الحقيقة أصيب القلب بجرح لا يندمل
وأمانى : عذراء حاملة قبل أن تكون إرادة قادرة وقلب خفاق
أكثر من عقل رشيد لذا صعب عليها أن تفهم حقيقة قلب الرجل
قبل أن تجاوبه هو وهى ولها العذر لأنها لا تعرف عن الرجل أكثر
مما تعرفه عن أبيها القوي النزيه الصادق وشقيقها النبيل الشريف
المضحى الوفى وهل يمكن أن تفهم الفتاة مهما أوتيت من الحصافة
ودقة الفهم وحسن الطوية ودهاء التفكير حقيقة قلب الرجل
لا يعلم السرائر غير الله علام الغيوب ... إذن لم يكن بعجيب ...
أن تصدق حبه وأن تحبه ... ثم تكشف أمره فتكرهه ... ولم
يكن فى قدرتها أيضاً أن تفعل غير ذلك فلتكن هذه تجربة تعلمها
كيف تتقى الذئاب البشرية ...

ورغم اطمئنانها إلى أنها لم تخسر فى ذاك الحب أدنى شئ فقد لازمها
المملح عنيف يقطع نياط قلبها فى غير رحمة حتى أسلمها إلى الضعف
والهزال وعافت أسباب المرح ولم تعد تتناول من الطعام غير ما تسمح
به الضرورة القصوى - مرضاة لوالدتها - وقد استعصى داؤها على
الاطباء وهى وحدها بعلمها عليمة ... وبموتها البطيء شاعرة تتجرع
مرارة الألم الدفين فى يأس : صابا وعلقما .. وأصبح طيف أهاب
يتراءى لها فى إطار أسود تشيع الظلمة فى لمحاته وقسماته وأصبح

المنزل لمرضها كقفر موحش ..

ولطالما بكت شبابها الداوي وجمالها الراحل عاجزة عن مقاومة
ألمها لرد شبابها وحفظ جمالها ... وكلما رأت وجهها في المرأة زاد
حزنها حيث أصبحت كهيكل عظمي لا أثر للأنوثة الحلوة المحببة فيه
لقد مات حب - أهاب - في قلبها . هكذا تشعر .. لكن ذاك الموت
استنفد كل حرارتها ودمائها .. فليس من الهين على فتاة مثاتها
حساسية إلى أقصى حد متحصنة شريفة تحب وتفنى .. ثم يصدمها
المحب صدمة هائلة تدك ضلوعها وتفقد لها رشدها

وهاهي تتمنى لو يأخذها الله إليه لتستريح من ذاك الضنى المأفون
والداء الدفين - ولكن الحياة تأتي إلا أن تتركها وتتعلق بها
لتصهر روحها في بوتقة العذاب ملقحة إنسانيتها بمصل الألم - لتكون
أخيراً كما تشتهي الفضيلة أن تكون امرأة، في هذا الوقت تشعر بكرامية
عميقة للرجال جميعاً ويصح عزمها ألا تتزوج بابن عمها (محمد)
لأنه كضابط لا بد أنه مصاب بداء أهاب إذ لا شك أن هناك سرا
خفياً يدفع الضباط إلى الغرور والتلاعب بقلوب العذارى أو لم
يتوه أمين له عند ما كان في زيارتهم عن بعض حوادث غرامياته
إذن فليذهب هو الآخر إلى الجحيم .. لشد ما تكره هذا الصنف
من الرجال

وهنا دخل عليها شقيقها - أمين - فى المساء محزوناً مهموماً
يلهث من فرط الأعياء محاولاً أن يكتّم عنها أمراً
ولكنها بذكائها واحساسها فهمت أن فى صدره سرا فسألته
بالحاح وأخيراً لم يجد بداً من الإفشاء لها فقال - لقد أصيب ابن
عمك (محمد) برصاصة فى ساقه جاءتته اثناء قيامه بواجبه فى الميدان
وقد نقل على أثرها إلى مستشفى الجيش

روعت أمانى للخبر فصرخت دون وعى وهى تهض فى فراشها
ان عمى .. وكأن الداء زال فى التو وعادتها قوتها فقالت لأخيها
وهى ترتدى ثيابها

- لازم أذهب إليه حالا ...

فقال وهو يحاول أن يلطف من حرارة صوته .. لقد عدته الآن ..
انه يبسم بسمة البطل الظافر .. ويردد .. دى وحياتى فداء وطنى ..
فلنمت جميعاً ولنحيا مصر .. ثم غلبه ألمه فبكى وهو يقول .. وليست
المصيبة عند ذلك فحسب ولكن الأطباء قرروا بتر ساقه .. آه
يا ابن عمى .. وبكى كالاطفال .. رافقت شقيقها وهى تبكى فى مرارة
ولوعة بعد أن استأجرت سيارة لتسافر بهما إلى القاهرة ... ولما دخلت
عاليه .. وكان فى شبه غفوة يتأوه من شدة الألم .. راعها صورته

الآلئمة فصرخت .. ابن عمى ...

وفتح عينيه فرآها .. ابتسم فى هدوء .. وترك دموعه تعب
عن مبلغ تأثره ... مزيج عجيب من السرور والألم واليأس والأمل
وقفت أمامه كالعابدة تنظر إليه فى خشوع حتى مد يده ليجلسها
بجانبيه وهى ساكتة لاتقوى على النطق ولا تقدر على الكلام غير
أن دموعها انهمرت غزيرة حارة ..

ونظر الى دموعها دامعا وقال بصوت متهدج حزين - امائى ..
لا يحزننى بترى ساقى لأنه قربان رخيص فى سبيل الوطن الغالى .. انما
يحزننى اننى لم اعد كفا لك .. واغمض عينيه ليبكى فى صمت ومرارة ..
تأثر قلبها وبكا فمدت يدها فى حنان نزيه لتمسح جبينه وتلطف من
حرارة نفسه ناظرة اليه نظرة عميقة صافية حارة لم تنظرها اليه من قبل
نظرة اكبار واجلال .. نظرة تسبيح بحمد الشجاعة المجسمة فى هيكله
الجريح نظرة اعتراف بالنبل المرتسم على لمحاته ؛ نظرة خضوع
للحب الذى يشيع من عينيه نظرة تبجيل للأخلاص الذى يتجلى
على وجهه . ثم قبضت على يده فى حنان أكيد وحب قوى قائلة ..
بالعكس يا محمد .. أن تضحيتك .. هى التى قربت روحك من روحى ..
أنا لك .. وأشهد الله وأخى .. وكانت لهجتها حارة صادقة فتأثر

شقيقها وقبل ابن عمه ثم قبلها وابتسم قائلاً.. أتمنى - يا محمد - أن يصيبني
ما أصابك ؛ لأنال قلب المرأة

فانطلق وجه المريض وقد أحس بأن صحته موفورة وأن حيوية
الخلود واثته فقبض على يدها قائلاً.. لقد كنت أحسب أنني بذلت
بعض الشيء في سبيل وطني ، ولكنني الآن أشعر أنني لم ابذل أي
شيء مطلقاً، وأنني اخذت ولم امنح.. فكيف السبيل إلى رد هذا الجميل
إلى الوطن الحبيب

أريد أن أعود إلى الميدان لأقاتل من جديد فاذا جاءني الخطب..
فتحت له ذراعي قائلاً.. خذ فقد نعمت بالخلود ..
حسبي يا أمانى.. حبك أعيش به ما تبقى لي من أيام ان كان في
الاجل بقية

لقد كنت آمل ان اشهد الاحتفال بتحرير وطني العزيز وان
أكون من الجنود الذين رفعوا العلم الأخضر الى النهاية.. لكي اشبع
التيه فيك.. وكان هذا الامل وحده باعث شجاعتى و يقينى.. أما وقد قعدت
عن اتمام رسالتى فما الفائدة من الحياة.. لم أعد اطمع فى البقاء.. فلشد
ما يروعننى.. ان اسمع نذير الخطب ولا تمتد يدي لدفعه بعيدا عن
بلادى وانت بكل خير خليفة - يا أمانى - ومن الظلم ان تتقيدى

بجسم ميت .. ولك من شبابك اعذب ما عرف الشباب من جمال
وجلال .. فدعيني اصلي فيما تبقى من عمري لوطنى ولك ..

لا .. لا .. لا .. انى احلك من عهدك .. حرام ان اقيدك بى وانا واثق
من موتى بعد ايام أو ساعات أو لحظات .. لم يعد فى الامل بقية ترتجى
يا أمانى .. انما أذكرى دائما اننى عشت بقلب يخفق بحبك ويخلص
لوطنه ثم خانه النطق وبكى .. وهو يغتم .. كنت أشتى .. أن
أشهد ثمرة حبي ليكون ذكرى خالدة فى تاريخ مجد مصر الجديد ..
وغلبه الألم فسكت عن لوعة حرى ودموع غزيرة ...

وهنا دخل الطبيب ليعاوده . فملكه شعور الرهبة حيال ملاك
الحب الذى ضمهما تحت جناحيه باعثا من لدنه نسيمًا معطرًا بشذى
الهدوء والرجاء ولم تكذب أمانى تراه .. حتى تقدمت منه قائلة ...
دكتور علام عولتم .. فتألم لالتياحها البادى وجهها الصارخ وقال ..
لم نبت فى الأمر بعد يا آنسة .. وغدا يكشف عليه بالأشعة لتقرير
الأمر النهائى ..

فقالت وهى تكاد ترقع تحت قدميه — دكتور استحلفك
باسم الرحمة والمروءة ألا تتسرعوا فى بتر ساقه .. ثم لزمت الجد
وقد خامرتها فكرة جديدة مرذقة .. لماذا لا نأخذه فى داره .. انه
على بذل مصاريف العلاج قادر .. ليكون تحت عنايتنا الخاصة ..

والتفتت إلى شقيقها قائلة .. أمين .. سيساعدك الدكتور لأنه رجل
نبيل ويقدر شعور عائلته .. لكي يخرج .. الآن .. حالا .. فقاطعتها
الطبيب — أظن ذلك غير ميسور الآن يا آنسة .. ان من واجبنا
مراعاة وعمل كل شيء في سبيل معافاته وراحته .. .

فعدت تقول بصوت مخنوق من شدة البكاء .. أرجو
يادكتور .. اننا لانستطيع أن نفارقه لحظة واحدة .. سنعمل
المستحيل بأذن الله فأرجو معونتك .. ثم أن شعوره بأنه بجانب
أهله وتحت عنايتهم وحبهم ينسيه آلامه ويبعث التفاؤل في صدره
تأثر الطبيب برجاؤها والراحها وبكائها فوعدها بتحقيق رغبتها
وكان لها ما أرادت بعد عناء شديد ومحاولات عديدة ..

حيأت له في المنزل غرفة صحية وقامت على تمريضه بنفسها محاولة
جهدها أن توفر له أسباب الراحة والطمأنينة باعثة في صدره بقدر
المستطاع المسرة والبهجة والأشراح

في هذا الوقت تقدم لخطبتها رجل من سراة الأسكندرية تتمنى
كل فتاة أن يكون لها بعلا... وفرحت الأم لحظ ابنتها السعيد
واعتقدت أن نجمها التمتع بعد طول أفول ولكن الآنسة خبت
ظنها ورفضت التزوج منه .. وحدث حوار بين أمانى وأما حتى
غضبت الأم بعد أن صارحتها ابنتها بأنها لن تتزوج غير ابن عمها

(محمد) وثارت قائلة — أتزوجين برجل نصف حي .. قرر
الأطباء بتر ساقه

قالت أماني ، في جرأة وشهامة ؛ أنا لا يهمني في الرجل غير
قلبه وروحنه وهما ذخيرتي وزادى .. الجسم يا أماء .. ثوب بالي
ولا علاقة له بالسعادة والخلود

فاحتدت الأم في غضب قائله .. هذا جنون .. انك امرأة لك
غرائزك الطبيعية أنا لا أوافق مطلقاً على زواجك منه .. وانتهى
الحوار بمشادة عنيفة أبكت أماني وأصرت الأم على تزويجها من
الوجيه الغني وأفهمتها أنها اتفقت معه نهائياً وسيكون عقد القران
في نهاية الأسبوع رضيت أو لم ترض ..

وسكتت (أماني) لاعن رضا ، لكن لتفكر في الأمور وعادت
للعناية بالمريض وقد كتمت الأمر عنه حرصاً على راحة باله
وطمأنينة قلبه .. وفي المساء حضر الطبيب لعيادته وصارحهم
بضرورة بتر ساقه حرصاً على سلامة باقي الأعضاء وحدد لهم
ميعاد نقل المريض إلى المستشفى لأجراء العملية ..

كانت الصدمة هائلة .. ولكن الفتاة تقبلتها في جلد ولم تشأ أن
تخبر ابن عمها لكي لا تقلق باله ريثما يحن الوقت المعين للعملية
ورأحت تفكر فيما عسى أن تفعله لتزوج بابن عمها

وما يجب أن تفعله لترفض الرجل الذي ارتضت به أمها وكيف
تهون عليه مصاب بتر ساقه ولما اختلى بها شقيقها علمت منه أن
أمها أرسلت لعمها لكي تستدعيه لحضور القران وهنا استفزت
شهامة ومروءته وواجهه نحو ابن عمه الذي ضحى بحياته في سبيل
وطنه وأفهمته أنها شغوفة بالتضحية في سبيل الوطن ولما كانت فتاة
لا تستطيع الخروج إلى الميدان فانها ترغب في بذل التضحية عن أى
طريق وليس أحب لديها من أن تقدم حياتها لابن عمها لتعوضه
خيرا وتهون عليه الأمر ولكنه لم يشأ أن يكون أقل منها شهامة
وشجاعة فأكد لها أنه لن يدخر وسعا في مساعدتها ولما كشفت
له خبيثة صدرها وشرحت له الخطة التي رسمتها لاتباعها بادها ففكر
بفكر واتفقا أخيرا على تنفيذ الخطة مهما كلفهما الأمر .. وكان
الشاب بطبيعته ميالا لابن عمه محبا للفضيلة مؤثرا للشهامة والشجاعة
على مظاهر الحياة المألوفة ..

ولما اختلى بأمه حاول أن يقنعها بصحة نظرية أخته وألح عليها
لكي ترفض الخطيب ولكنها وقفت في وجهه وأبت التفاهم
معه في هذا الشأن وأكدت له تصميمها النهائي .. وأدرك أخيرا
أنه لا فائدة مطلقا من تحويل فكرها .. ووجد أنه لا سبيل إلى
تحقيق أمنية أخته إلا باتباع الخطة التي رسمتها له .. وأخيرا طلب

من أمه أن تسافر إلى عمه لكي تستعين به على إخضاع أماني باللين
واللطف لأنها عنيدة ولا يمكن أن ترضخ غضبا ورضيت الام بذلك
وظنت ولدها اقتنع بصحة نظريتها .. فسافرت في التو وبعد أن
تأكد من سفرها .. استدعى المأذون مع صديقين له وعقد
قران أخته على ابن عمه وقد حاول أمين أن يشعر — محمد — بأنه
مرغوب فيه وتمنى لها حياة سعيدة موفقة

جلست أماني بجانب فراش زوجها تتأمل وجهه الشاحب من
أثر ما يعانى مأخوذة بسحر عاطفته التي اكتسبته لو نامن الجمال البديع
الذى يفيض قوة روحية رغم ضعف بدنه ففكرت فيما يجب أن
تفعله لتخفف من وطأة ألمه عندما يعرف ما يخبئه له الغد وكيف
تصارحه بأن الاطباء أجمعت على بتر ساقه ونظرت إلى ساقه الجريحة
في تحسر وقلة اجفل قلبها من هول تصور ساقه المبتورة وافزعها
الخيال عندما يحمل نفسه على ساق خشبية أو عصا .. حز ذلك
في نفسها وقطع نياط قلبها فبككت من فرط اللوعة ورفعت
وجهها إلى السماء بعينين دامعتين وخافت أن تفضحها دموعها فهرعت
إلى غرفتها لتبكي وحدها ولما شعرت بأنها استراحت بعض الشيء
تنفست الصعداء واستروحت الهواء المنعش من النافذة ثم تكلفت
بسمه ودخلت عليه ... ومالت على صدره لتشعر بدفء عواطفها

ولتبثه حرارة قلبها المحب الواله .. ولكن ما كاد قلبها يستقر على
قلبه حتى خفق خفق فوق الالم المكبوت وغلبه الاسى ... فأبكاه
تحرك الزوج ونظر في عينيها بعينييه الدامعتين وغمغم ... أمانى
إذا كان لابد للسعادة من ضباب يحجب عنها الهناء الكامل ... فهل
كنت أتمنى غير مانالى .. احمد الله ... قلت لك لا تضحى من
أجلى لكى لا أشعر بوخزة الالم الممض دائما ... لأنك منحت كل
شئ دون أن تأخذى أى شئ ؟؟.. كنت هناك سعيدا بالجهاد فى
سبيل وطنى شقيا لبعادك عنى واليوم قد تبدلت صورة السعادة
والشقاء .. إذن لابد من هذا وذاك . فلا تتألمى من أجلى يا حبيبتي
وإذا كان لابد من الالم فتألمى للوطن الذى خسريدا لا يعطش سهرها
فى وقت هى فى اشد الحاجة إليه .. وأغمض عينييه لشعوره بألم الجرح
الدامى وهو يغمغم ... يجب أن أتعذب لكى لا أغبط نفسى على
سعادتي الكاملة فقدت أمانى شجاعتها فأجهشت فى البكاء ثم رفعت
بصرها إلى السماء قائلة بشفتين مرتعشتين وقد تبلل بدموعها فبان
شفتاها كزهر أرجوانى غسله الندى وقت السحر .. آه لو استطعت
أن أفدى الملك بدمى .. فمد ذراعه وجذبها إلى صدره وضمها فى
شغف وحنان وترك دموعها لتغسل وجهه وهو يشعر براحة نفسية
كأن هاته الدموع خلاصة الشفاء الذى يبعث فى صدره الراحة

والرضا ونام على حرارة أنفاسها فتخلصت من ذراعته في لين
ورفق وحذر لكي لا توقظه وجلست بجواره ترقبه وبودها لو
تضمه إلى صدرها ضمة لا يفرقها غير قوة الموت ومر بخاطرهما
طيف أهاب من وراء سحيف الذكرى فاهتزت جوانحها في نفور
ونقمت على يد الدهر الجائر الذى يصب سهامه لأصحاب القلوب
الكبيرة الخيرة بينا يترك أصحاب النفوس المريضة اللاهين والعابثين
على أحسن حال !!! وتهدت في مرارة وبودها لو تتحدى القدر
الذى لم يصب أهاب إصابة ترديه ولما تحرك المريض ناظرا إليها
متعمداً ألا يرى مما حوالية سواها. قال: هل قرأت أخبار المساء؟
فابتسمت لتشعره بالبشر والطمأنينة وتناولت الجريدة
وراحت تسمعه أهم الأخبار الحربية واستوقف نظرها عنوانا
بارزاً — المؤتمر الطبي يعقد في القاهرة — هنا أحست بضوء ينير
جنبات صدرها فأقبلت على الموضوع تقرأه في شغف وقد تحرك
قلبها من موضعه قافزا كأنه ينبه جوانحها .. رغبة في استجلاء شيء
جديد مرغوب فيه .. وما كادت تنتهى من قراءة المقال حتى مالت
على وجهه تقبله في حنان وبودها لو تقول له أشياء طرأت على ذهنها
ولكنها صمتت قانعة بتقبيله وسأل الزوج ما الخبر
قالت والسرور يغمر ألفاظها .. انى متفائلة .. متفائلة إلى أقصى

حد فدعني أقبلك مرة أخرى ثم انتصبت وقد انطلق وجهها عن
بشر أكيد قائلة . كأن يد الآلوهة امتدت من وراء الغيب لتمسح
عنك ما نزل بك .. جاء فرج الله فألف حمد له ..

فعاد الزوج يقول ما الخبر أفصحى

قالت وهي من فرط الفرح تكاد تطير دون أن تدرك كنه
شعورها الخفي لقد حضر إلى مصر أشهر أطباء الجراحة في إنجلترا
لحضور المؤتمر الطبي وتركته قبل أن يتكلم وقد هم أن يقول لها
شيئا ولكنها فلتت من يديه بسرعة وذهبت إلى أخيها لتفضي إليه
بما يحول في صدرها ولم يكده شقيقها يسمع حديثها ورجاءها حتى
خرج مسرعا وخاطب صديقا له في القاهرة وأفهمه ما أراد أن يفهمه
إياه وعلى أثر هذه المخاطبة أسرع الصديق لمقابلة الطبيب الانجليزي
ولما قابله طلب منه في الحاح ورجاء أن يتكرم بالكشف على
ضابط جريح وبعد أن فهم الطبيب علة الضابط ورأى الأطباء
فيه عز عليه أن يخيب رجاء المريض فيه ووجدها فرصة طيبة لإظهار
شعوره الطيب نحو المصريين وإثبات إخلاصه كإنجليزي إنساني
يعمل لخير العالم والإنجليزي بفطرته يميل إلى تدعيم مركزه
وتركيز الثقة فيه مهما كلفه الأمر

ولما صارحت أمانى زوجها بتصرفها وأبلغته أن الطبيب

الانجليزى فى طريقه اليهم .. اظهر لها عدم ارتياحه وافهمها أنها
خاطرت فى هذا التصرف فلم تدعه يتم كلامه لأنها كانت تعرف
ما يفكر فيه ويخافه وقالت وهى تعانقه : اطمئن يا حبيبى لدينا
من المال ما يكفى لدفع تكاليف انتقاله ويزيد .. والآن أرجو
ألا تفكر فى أى شىء مطلقاً ودعنى أغيب عنك لحظة لأهين له
لوازم الكشف عليك .. وخطفت منه قبلة وهرولت تعدو ..
لم تجد أمانى أى مشقة فى أخذ ما يعوزها من المال من أخيها
لأن زوجها كان صاحب الفضل عليه فى تكوينه عند ما كان
طالباً فى الجامعة بعد وفاة أبيه ..

وبعد أن حضر الطبيب الانجليزى وأجرى الكشف على
المريض قرر أنه لا ضرورة مطلقاً لبتز ساقه وأنه يمكنه حقن
الساق بمصل خاص ثم اجراء عملية جراحية -- تعهد أن يقوم
بعملها ثانى يوم فى المستشفى دون مقابل .. واكد لهم ان الساق
بعد هذه العملية ستعود حالتها الأولى من حيث القوة والمتانة
أى فرحة ملكت قلب أمانى. شعرت أن الطبيب منحها
حياتها ومسراتها فمالت على يده تلثمها بدموعها ولكنه أجفل
احتراما لها وشعر انه لأول مرة فى حياته يقوم بعمل فيه مسرة
روحية مع انه كثيراً ما انقذ حياة المرضى ولما عرضت عليه

اجره .. أبى الطبيب فى شهامة قائلا : إن الرجل الذى يضحى بحياته
من أجل وطنه يجب أن يأخذ حقه من كل فرد ينتمى لوطنه.. ولما
كنا جميعا نعمل فى سبيل قضية السلام والعدالة ونسعى نحو
هدف واحد .. فواجبى أن أقوم بنصيبى فى الجهاد كما يقوم كل
رجل شريف مخلص لوطنه ومليكته وإنى لسعيد إذ أقوم ببذل
بعض الدين الذى طوق به عنق بلادنا المشتركة زوجك
العظيم ..



الفصل السادس

بعد أن تماثل — محمد — إلى الشفاء وعادت إليه عافيته كاملة غير منقوصة بفضل رعاية أمانى وسهرها عليه رأى انه لابد من العودة إلى الميدان لاتمام رسالته الدفاعية حيث أشدت أزمة الحرب وأصبحت مصر مهددة من كل جانب وبات الناس يترقبون مهاجمتها من البر والبحر والجو ونذير الغارات في كل بلد — حتى البلاد البعيدة عن الخطر يهدد القلوب الآمنة ويبعث الهلع من مكانه وينبه الفزع في النفوس المطمئنة وأصبح حديث الناس في المقاهى والمنتديات والمتاجر والمكاتب وفي البيوت والمعاهد حول الحرب التي أوشكت أن تندلع في مصر

أى قلب لا يتحرك من موضعه إزاء هذه العاصفة ؟ وأى انسان لا يفكر فيما تعانيه بلاده من أزمة مريعة وما ينتظره الوطن من مصاعب وأهوال وكوارث ومحن .. فى كل بيت جماعة أو مآتم أو كارثة وفى كل قلب خوف رهيب لمستقبل مخيف تسبقه أخيلة مفزعة

كان المقرر أن يعود محمد إلى عمله بعد شفاؤه على أن يكون

بعيداً عن ميدان القتال بعد الذى أصابه ولكنه ألح فى الرجاء
لكى يعود إلى الميدان وتم له ما يريد وتقرر إعادته إلى مرسى مجروح
وقبل أن يسافر دخل على زوجته محاولاً أن يلفظ من هول
الفراق المرتقب فخاطبها .. نينى ليس أحب إلى من الحياة بجانبك
ولكن سعادتنا المشتركة فى خدمة وطننا العريق — وها أنت ترين
الخطر المحدق بها — إذن لا مناص من الذود عنها ولما كنت
خلقت لهذه الغاية فيجب أن أذود عنها ما دام قلبى يخفق .. كلانا
محب وطنه ويعتقد أن هذا الحب قبس من نور الإيمان الذى
نعيش به ، ويقينى أن الله مدنى بروح من عنده من أجل
بلادى .. وعانقها فى حرارة ناظراً فى عينيها ليهيب بها إلى مكالمته
ليطمئن إلى أن سفره لن يؤثر عليها تأثيراً يبعث القلق فى نفسه
وهو بعيد عنها .. ولما لزم الصمت عاد يقول ، أمانى لا تجزعى
ولا تكونى جبانة كنساء عامة الشعب ، أنا مطمئن إلى أن النصر
سيكون حليفنا بإذن الله .. وسأغدو بعد حين البطل الذى يحق
لك المباهاة به .. وستكون قوتى فى هذه المرة أضعاف قوتى
قبل زواجى ... كنت قبلاً أذافع بقوة رجل يعيش وحده
ورجاءه من حبك شبه مفقود بعد الذى لقيته منك فى آخر مرة ..
أما الآن فسأعمل بروحين وأدفع الغر بقلبين وأذود عن الوطن

بجهادين — لأنك مصدر قوتي ونشاطي وعزمي وحياتي وحلمي
وأملى ولا أخالك إلا مقدره واجبي المقدس بما طبعت عليه
من وطنية صادقة وأعتقد أن حبك لزوج يبذل قصارى جهده في
سبيل حرية بلاده أعمق من شعورك نحو زوج يعيش للذاته ومتعته
كالجمار المترف، أليس كذلك يا حبيبتي؟

وظلت ساهمة كالحاملة تنظر اليه بعينين دامعتين وقد ارتعشت
شفقتها من تأثير عواطفها القوية وتمنت لو استطاعت أن ترحل
معه لتقف بجانبه كي تقاسمه العذاب والحرمان والألم... ولماطغت
عليها عواطفها لم تستطع رد رغبتها فقالت ألا يمكن أن أصحبك..
فابتسم في لطف وهو يقبلها قائلاً.. لو كان.. لما تقهقر
في الميدان جنديا... يكفي أن يشعر الجندي بأنفاس المرأة التي
يحبها قريبة منه... إن هذه الحرارة تحركه كما لو كان فيه ألف مدفع
يتحرك.. ثم عاد يعانقها في حرارة وهو يقول.. حسبي
يا حبيبتي أن تمنحني حنانك وحبك وإخلاصك ورضاك.. إن
ذلك معين قوتي استمد منه شجاعتى كلها أعوزتنى الحماسة في الميدان
فوضعت رأسها على صدره في وله وحنان قائلة بدموعها —
هل أنخر بحبك أم ببسالتك يا حبيبي كلما جلت بعيني في نفسك
أو تاريخ حياتك لم أجد إلا أجمل الفضائل وأحسن الأثر، كم أنا

تياهة بك . ثم اعتدلت لتطوقه بذراعيها مردفة . . . سافر يا حبيبي
والله كفيل برعايتك وحمايتك وسوف أصلي من أجلك دائماً
ومن أجل نصرة الوطن . . . وبقدر عذابي لفراقك وحرمانى منك
سأدعو الله مخلصاً أن يردك إلى آمناً سالماً حاملاً راية النصر
والحرية . . . ثم سكنت لتجفف مدامعها حيث فاض التياح قلبها
ولما خافت أن يخونها الحب فتظهر له الضعف وقد يفسره بالجنون
تركتته وهرعت إلى مخدعه لتخفي حزنها ولكنه تبعها وقد فهم
ما يجول فى صدرها وجذبها إلى صدره فى رفق وحنان وهو
يقول . . . إن عزائى الوحيد فى غربتى بسمتك المشرقة . . . فكيف
أتعزى إذن ولا زاد معى غير دموعك . . . فقالت بصوت مخنوق
ذابت حروفه فى حلقها من فرط اللوعة — كيف تنام فى ذاك
البرد القارس ؟ تقضى الليل والنهار فى نضال دائم لا تحفه الراحة
ولا الاستجمام . . . فضحك فى طلاقة ليرفه عنها قائلاً . . . أوه . . .
من أجل هذا تحزننى . . . وهذا أبسط ما يعانى به الإنسان فى حياته
فى سبيل تحقيق غايته . . . فما بالك إذن بمن يفترش الأرض ويلتحف
السماء محروماً ويعيش لغير غاية . . . إذن كيف يتحمل الفقير
البائس حياته وهى على هذا النمط أبداً . . .

ان نومي فى الخلاء مع شعورى بأننى أقوم بحراسة وطنى

يشعرنى بالأنس والراحة ووحشة الصحراء لا أثر لها فى نفسى
لأنك ملأت خاطرى بهجة وسعادة .. أما الطعام فحسبى أى قدر
لأن روحى قادرة على تكيف جسمى وإمداده بقوة هى فوق
ذخيرة أشهى الأطعمة وأنت تفهمين أن كسرة خبز يأكلها
الإنسان وهو مطمئن القلب مرتاح الضمير هادى النفس أصلح
وأفضل من أطيب الأطعمة مع القلق والاضطراب والذل
والهانة ...

وصمت ليقبلها ثم أردف — ان جميع أسباب راحتى وسعادتى
موجودة هنا — وأشار إلى قلبه فلا يعنينى إذن أكلت أو جعت
أو تمتعت أو حرمت ما دمت أعيش وبين جوانجى قلبى الخفاق
وروحى انطائر وسأفرض سعادتى الروحية على كل ما يحوط بى
لأرى كل شىء بساماً يبشر بأمل مشرق بهيج .. ووصيتى إليك ،
فكرى دائماً أنى سعيد موفق بفضل الله .. ثم فكرى فى الضيف
الجديد ... حديثه دائماً عنى وعن وطنه وعرفيه اننى أقاتل من
أجله لى أعيش حراً وحاولى أن تعلميه كيف يحبنى ويحب وطنه
والقى على مسمعيه أناشيد الحماسة الرائعة وحذار ان تستغلى غيبتى
وتمنحينه كل حبك ... سأكرهه إذا اخذك منى — وضحك —
فضحككت هى الأخرى قائلة — أتغار من ولدك ؟

قال : ومن النسيم الذى تتشققينه باسمه .. أحب أن أشعر بأننى
وحدى أملاً قلبك وأشمل وجودك

فابتسمت قائلة : ان حبي لك أوفر من حبك لى .. لأنك
تشعر معى حب واحدة أخرى .. وانى أتغافل مرضاة لك
فدهش قائلاً : هذا محال

قالت وهى تنكف الغيرة — أقسم لك وأنا بذلك السر
عليمة قبل زواجنا وما زلت متصلاً بها
فقاطعها : يا لها من تهمة ؟ وددت لو اتهمتنى بحب أمانى
وضحك طويلاً

قالت : أقسم لك أنك تحب أخرى
قال : لهجتك تخيفنى .. فافصحى .. انى لأرتاب فى نفسى لأنى
وائق من قلبى .. لكننى أحب أن أعرف باعث هذه الدعابة
قالت : أقسمت لك وما زلت أؤكد

قال أمانى : لا تقلقى بالى بدون سبب .. ونظر فى عينيها
محدقا عاتبا .. فطوقته لتقبله قائلة .. مصر ألا تحبها أكثر منى ؟؟
فضحك طويلاً وهو يعانقها قائلاً : أوه .. معك الحق ..
صحيح أحبها جداً .. ولكنى أحبها من أجلك لأنها أمانة
ولولاها لما كان أحداً للآخر .. واخلاصى لك هو الذى يفرض

على اخلاصى لها

فَعَمَّالَت : إِذْن لَا تَكْرَهُ وَلَدُكَ إِذَا أَحْبَبْتَهُ لِأَنَّهُ وَلَدَ الرَّجُلِ الَّذِي
أَحْبَبَهُ .. وَابْتَسَمَتْ مَتَخَابِثَةً مَرْدَقَهُ وَلَا كُنْ لِمَاذَا تَمْنَيْتِ الْوَلَدَ دُونَ الْبَنْتِ
قَالَ : لِأَنَّ الْوَلَدَ الَّذِي يَحْمِلُ قَلْبَكَ وَقَلْبِي بِمَا فِيهِمَا مِنْ عَوَاطِفٍ
وَشَمَائِلٍ سَيَكُونُ رَجُلَ جِيلِهِ وَزَعِيمَ أُمَّتِهِ

قَالَتْ : وَهَبَهَا أَنْثَى

قَالَ : لَنْ تَهَيَّءَ لَهَا الدُّنْيَا حَيَاةً تَكْفُلُ لَهَا أَمَانِيهَا الْعَالِيَةَ الَّتِي
وَرَّثَهَا عَنَّا

قَالَتْ : وَلَا كُنْتِي أُشْتَهِي أَنْ تَكُونَ أَنْثَى لِتُسَعِدَ زَوْجَهَا وَتَخْلُقَ
أَبْنَاءَهَا فَتَكُونَ ضَاعِفَتْ مِنْ مَجْهُودِ الذَّكَرِ الَّذِي تَرْتَجِيهِ
فَضَمَمَهَا إِلَى صَدْرِهِ فِي حَنَانٍ وَهُوَ يَقُولُ : لَتَكُنْ أَنْثَى أَوْ ذَكَرًا
كُلَّ مَا تَلِدُهُ زَوْجَتِي الْحَبِيبَةِ حَبِيبٌ إِلَى ..

وَهُنَا نَظَرَ إِلَى سَاعَتِهِ ثُمَّ قَالَ .. عِنْدِي مِيعَادٌ مَعَ قَائِدِي فَأَعِدْ
حَاجِيَاتِي رِيثَمَا أَعُودُ وَخَضَعْتُ لِمَشِيَّتِهِ تَحْتَ وَابِلٍ مِنْ دُمُوعِهَا الْحَرَّى

هَلْ هُنَاكَ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ قُوَّةٌ تَمَازِلُ قُوَّةَ الْحُبِّ الصَّحِيحِ النَّقِيِّ الطَّاهِرِ ؟
إِنَّ الْمَرْأَةَ بِعَاطِفَتِهَا النَّبِيلَةِ أَشْرَفَ مِنْ مَفَاخِرِ الْوُجُودِ وَأَبْهَى

من آياته الرائعات والرجل بعاطفته الصادقة الجليلة أعز على المرأة
من حياتها وأسمى من وجودها فاذا اجتمع سمو المرأة ونبل الرجل
في قلبين متحابين ليكونا عائلة فهل يمكن أن تكون غير السعادة
في أبهى صورها والطمأنينة في أنقى نواحيها ..

أليس الحب الصحيح أبقى على الزمان رغم صدمات الحياة
وكوارث الزمان من الحب المصطنع مهما ابتدع أصحابه من
أفانين التجميل والكياسة ؟

لقد أحبت أماني — أهاب — أو هكذا ظنت لأنها كانت
في بدامة شبابها نزاعة إلى الحب فلما طلع عليها الحب لأول مرة
يطال من عيني — أهاب — وينساق في رفق مع تيار ألفاظه
الخلابة — ظنته قى أحلامها وركزت عليه حلو أمانيها وتخيلته
مثلاً الأعلى .. وأيقنت أنها به سعيدة موفقة — وهامى اليوم بعد
أن أحبت زوجها ذاك الحب الذى دك ضلوعها وملا فراغ قلبها
رأت أن عاطفتها كانت وهما من الأوهام الخاطئة ولده حلم الشباب
الباكر ومحته اليقظة الصائبة وخلال حياتها تلك — يتتابها كثير
من الألم الدفين الذى يبعث في نفسها شبه مس من الشعور الحزين
لحب منحته في غفلة من ادراكها الناضج لرجل غير جدير بالحب
ثم لا تلبث أن تسترد طمأنينتها ويهون عليها تبكيت ضميرها

أنها لم تكن أخت رغبة جامحة أو هوى عارض أو نزعة طائشة
بعد خروج زوجها حمل إليها البريد رسالة على غير ارتقاب
أمانى

قتلتينى ياقاتله ... أريد أن ألقاك فتى ؟ وأين ؟
الامر يهملك ! يتعلق بحياتك !

الذاكر لك

.....

أدركت فى التو مبعث ذكرى الماضى التى رقت عليها فجأة فى
هذه الساعة وفهمت أن هناك صلة بين القلب وعالم الغيب لا يدرك
الإنسان كنهها ولا مأتاها .. وراودها احساس مخيف أزعج
طما أنيتها وشوه تفكيرها ونبه دفين خواطرها فاختلت بهواجسها
مفكرة فيما عساها أن تفعله لتقضى على هذا الخائن ، أتصارح
زوجها بما كان بينها وبين أهاب وهل تراه يفهم حقيقتها يوم كانت
— عفة بريئة — ولا كنهه زوج محب ولطالما صارحها بأنه لم يتعلق
بها من قبل ويفضلها على نساء العالمين إلا لاعتقاده بأنها لم تكن
كفتيات العصر الحديث اللاتى يتعرفن إلى الشباب فى كل مجمع ونادى
وزيارة ، إذن لن يبرئها من هذه العلاقة وإن يعتقد بصحة عفتها

وطهرها ولو فرض وتسامح لشقته فيها فلن يغفر لأهاب زلته وسوء تصرفه وسينتقم منه وقد يضطر الآخر إلى رد الانتقام بأن يقطع منه قسيء إلى زوجها من حيث لا تدري

إذن من الخير ألا تخبره وارتاحت لهذا العزم ... ثم خامرها الشك في سوء نية أهاب وخافت أن يعود إلى مراسلتها وقد تقع رسالة في يد زوجها فيسيء الظن بها وإن يغفر لها جريمتها وتجسم هذا الخاطر حتى أزعجها نخافت وأجفلت من تصور غضب زوجها عندما يظن بها الظنون وصح عزمها أخيرا على أن تخبره بالواقع مهما كلفها الأمر .. ولما حضر لتوديعها قبل رحيله تأهبت لمخاطبته ولكنها تهيت وترددت ثم احتجمت وحدثته في شأن رحيله وفراقه وهي تجاهد نفسها لأخفاء اضطرابها حتى ودعها زوجها فودعته باكية ولم يكذب يرحل عنها حتى ارتمت على أريكته تبكي عليها تستريح

تلاهث بشواغل الدار متناسية رسالة أهاب محاولة جهدا أن تشغل نفسها بذكرى زوجها ومهام منزلها لكي لا تدع لخاطرها فرصة للسروح في أي عالم آخر

ومرت بعض الأيام وهي لاهية عن دنياها بما شغلت نفسها

به من اعداد ملابس لطفها الذي راحت تترقبه في شغف ولهفه
وبعد أيام أخر جاءت بها رسالة أخرى
أمانى :

ان كنت تحسبن أن السلوى هينة .. فوهم ماظننت !!..
انك تزوجت .. عندما ظننت أننى خنتك .. ولوانتظرت لعلمت
مدى حبي الأكيد .. لقد نجحت غريمتك فى الوشاية وخسرت
انتم قلبا لن يعوض

لاتحاولى قتل قلبك بيديك الصغيرتين الناعمتين مرضاة لتقاليد
الزواج المزعوم

آه كلما تصورت أن هناك فى دنياك رجالا غيرى .. اكاد أجن
قلبي أوشك ان يشور وعقلي ضاع صوابه فحاذرى ثورتى وجنونى
ولا تدفعينى للجريمة
وقولى متى اراك

المخلص

بعثت الرسالة فى نفسها كراهية له اشد واعمق وايقنت انه
يحاول ان يدينها منه ايتقم لغرامه الضائع لأنه لم يتعود ان يخذل

في أى معركة غرامية وألف ان يكون السيد الفائز القاهر بيناتكون
المرأة عبدة ذليلة مقهورة

وخيل اليها ان في تفكيرها به خيانة لزوجها وخافت ان يكون
في قراءتها لخواطره جنائية عاطفية فاحرقت الرسالة في عجلة واسرعت
إلى صورة زوجها تقبلها :. ثم جلست حيث كان يجلس معها في
غرفته وراحت تتأمل الأفق البعيد لتتخيله هاربة من اخيلة الماضي
متعلقة بأطياف الحاضر مناجية زوجها وهى تغنى بصوت عذب
شجي كأن الطير يترنم في صوتها بأعذب الأغنيات

يا حبيبي	يا هنأى	يا منأى	يا رجأى
أنت لى	سلوأى	ان	عز الوفى
فيك أحيأ	وانسى	كل	حى
منك للقلب	أنس	وحنان	
عنك لى	شاع الرضا	شاع الحنان	
أشرققت	دنيأى	يا نعم	الشروق
بعد ليل	كاد	ينسينى	الطريق
وصفا لى	الدهر	من	بعد
واطمأن	القلب	فى	ظل
حننا	خالد	الأثر	
ذكرنا	ليس	يشدر	

يا حبيبي خذ فؤادي لفؤادك
وأدعني أضمم جهادي لجهادك
فإذا الحب وفانا بالأمانى ورعانا
فوداعا أنت يا أرض الشقاء
ودواما أنت يا ملك السماء

وانساب من وراء الأفق شعاع الأصيل المذهب ثم توارى
خلف حجب الغيب وبان لون السماء الرمادي ليكسب الوجود
ظل الأحلام والذكريات العابرة .. فحن قلبها لزوجها في قوة كادت
تفقدتها وعيها لولا أنها هرعت إلى غرقها لتصلي ..

ولما انتهت من الصلاة شعرت بالطمأنينة تعاودها وهدوء
الروح يلزمها ولكن شبه مس من الشوق الدفين ظل يحركها
فلم تجد مخرجاً من ذاك الشوق اللافت عن الكتابة إليه فراحت تكتب
زوجي الحبيب

أيمكن أن تسمع نداء روحى وهتاف قلبى !! ..
روحى تناديك وقلبي يهتف باسمك كأنك تعويذة من تعاويذ
الصلاة كلما رددتها أشعر بالدفء والحرارة
هب الناس ارتفعوا بنفوسهم إلى مصافنا أيمكن أن يبلغوا
من ذروة الحب ما بلغنا ؟ لا أظن !!!

لأن الله استودع قلوبنا خلاصة الحب الجليل الهائل أنا وأنت
خفقة ستظل تحرك قلب الوجود لتعلن في غير ضجة لتحفظ
جلال الخلود

ما أنا وأنت .. إلا قبس من نور الألوهة جمعنا الله في كلمة
ووضعنا الحياة في جسمين لتعلم الناس كيف يكون التوافق والتمازج!!
لقد سألت ربي في غير تحد ، لماذا لم يجعلك نبيا ، أنك تحمل
قلب نبي ؟ ولماذا لم يجعلك رسولا ولك في روحك قوة تسخر من
قوى البشر لو تجمعت في روح ...

وعندما أختتم صلاتي أحس أنك تحملني في خفقة على جناحين
من النور إلى السماء فأحمد الله الذي جعلك قرة لعيني ونورا لقلبي
ومناط تفكيرى وباعث حنيني ، فيك أحياء ومن أجلك أعيش!!
أتمنى لو استطعت أن أمنح جميع النساء حرارة من حبي لتحب
كل زوجة زوجها كما أحبك .. وان كنت أنتحدى أى امرأة تحب
زوجها كما أحبك ..

لطالما قالوا أن الحب وهم أو حلم وأن الزواج يقظة تبدد
ذاك الوهم أو هذا الحلم. وإنى أكذب بكل قواى — هذا الادعاء
فها هو زواجنا وطد دعائم حبنا وزاد من قوة إيماننا وعزز

شعورنا .. فهندياً لنا يهتظتنا الحلوة الخالدة .. وليذهب الناس جميعاً
بأوهامهم إلى الجحيم .. ولنخلد بحبنا في ذاك النعيم !!

ان حب الناس نوع من الهوس أو الرياء أو التسلية .. أما
حبنا .. فهو تبطل وخشوع وإيمان

لا أشعر بوحشة النوى وضمنى الفراق لأن جلال حبي يحملي
الدنيا في عيني ويكمل منقوص حياتي ويشعرنى بأنك تسيطر على
وجودي كله باعثاً في حيوية هادئة لطيفة منعشة معطرة بشذى
البنفسج ..

أنت معي دائماً — دائماً — لا أستطيع أن أشك في ذلك !!
ودائماً يلوح لي طيفك باسم .. وضاء الجبين تفيح أنفاسه
بأرج عواطفه الحرى فأنخل عن دنياى بما فيها من بهجة وأنسى
وجودى شاعرة بأن سعادتي وهنائى فى التطلع لوجهك الضحك
وتحرك الباسم وحديثك العذب الرقراق الذى ينساب من قلبك
ليتدفق حلواً صافياً مفعماً بالنقاوة فى قلبي !!

أنظر إلى الأفق .. ستطالعك الزهرة بجانب القمر .. صورتنا
المنعكسة على صفحة السماء ... أنظر إليها ... لترانى حيث أنت
كما أراك حيث أنا ... مجتمعين أبداً رغم حواجز المادة الكشيفة
أسمع همساتى فى الفجر الرطيب ... أتلهج طيفى من وراء

الآفق البعيد

آه ماذا أقول لك أيها الزوج الحبيب
أريد أن أقول لك أشياء كثيرة .. ولكنك تأبى أن تتحول
عن حقيقتك المجسمة أمامي إلى خيال بعيد يمكن مناجاته
ولقد عودتك أن أناجيك بغير صوت وأناجيك بغير كلفة
فكيف أناجيك بالقلم الآن . كيف؟؟
كيف أناجى النور الذى يسرى فى روجى وهو أجل من تعبيرى؟
وكيف أعانق الحرارة التى تسرى فى جنبات نفسى وهى
أعمق من خفقات قلبى ؟

يا هنائى النورانى ويا زوجى الوفى
لا تستسلم لهمسات الوحشة العابرة فعندى لك ذخيرة هائلة
من الحب والشوق والحنين لن أسلبها لك إلا إذا جئتني حاملا
لواء النصر القريب ..

ان الرصاصة التى تمخر بها عباب بحر الخائنين وتجتاز بها جو
الكائدين كلمة الخلود التى تطبعها على جبين الزمن .. فلا تحدثنى
عن الشوق والقبل ولا كن حدثنى عن أهدافك ومراميك
زوجى الحبيب

انى أتعلم منك الشجاعة والاحتمال ... وبودى لو أضمت إلى

جهادى العائلى جهادى الوطنى لى-كون نصيبى من الجهاد أضعاف
تصديك فأعيش سعيدة واموت راضية

ردد دائماً .. الله .. الله .. وتوكل على الله دائماً ..

والله كفيل بنصرة الوطن وحماية أبنائه المخلصين

زوجتك المحبة

أمانى

مثلت أمانى ... الاخلاص الاكيد سرأ وعلانية نحو زوجها
الحبيب حيث سهرت على العناية بشئون منزلها حريصة على كرامته
وشرفه بعيدة عما يشوه حياتهما حريصة على الا تدخر وسعاً
لإسعاده فى غيابه كما كانت تسعى لسعادته فى حضوره محتملة آلام
الوحدة والوحشة فى صبر وجهد شاعرة بأنها مع هذه الآلام
اعظم من اى امرأة تعيش كمجرد انثى تأخذ من الحياة ولا تدع
يعود اهاب ويسكتب اليها

امانى العزيزة

انت تعرفين ان المدينة تعج عجيجاً بالحسان الفاتنات وتعلمين
انى لست عاجزاً عن الاتصال بعشرات منهن لو شئت !!
ولو شئت ايضاً ان امتع نفسى بأجمل النساء ليل نهار وصباح
مساء لما اعيانى هذا ولما اعجزنى ..

واكن قلبي يا بى ان يتخذ بذلك بديلا وطيفك اراه مرتسما
على صفحة كل مشهد يبدو امامى وصوتك اسمعه فى كل نغم يترامى
إلى مسمعى

امانى ... سائلى قلبك !

اسدت المسالك دونى وطردتنى ملايين النساء من حظائرهن
فجئت اتودد إلى امرأة متزوجة بعيدة عنى ؟
اتسلمين بهذا المنطق ؟

قد تكونين فاتنة ناهية مدهشة ساحرة ولكنك لست حواء
النساء على اى حال .. ولم تعدم الاسكندرية او القاهرة العامرة
بالجملات من الجميلات الفاتنات اللائى تفخر بهن بلاد النور
والجمال ...

إذن علام تعلقى بك ؟ وما مبعثه ؟

انه الحب يا امانى

فكـرى ... ولا تدفعى بى إلى الجنون فينتقم حبى لنفسه

اهاب

لم يكن نصيب هذه الرسالة اكثر من نصيب سابقاتها ... بل
زادت احتقارها وكرهيتها له ولم تعد تذكر إلا انها دفنت ذكراه

فى بؤرة عميقة واهالت عليها التراب

ان حبها لزوجها لم يدع فى نفسها اى مجال لذكرى الماضى لذا
كانت تشعر بأن محاولة اهاب تزيدها تعلقا فى زوجها وبغضاله
وكليهما وسوس لها الشيطان لى يكتب اليه كلمة رجاء لى يمتنع
عن مراسلتها ويقطع تفكيره بها للأبد استبدلت الرغبة بالكتابة
إلى زوجها متمسكة بأهداب صيانة حبه وكرامته دائبة على الكتابة
إليه لتبث فى اوصاله روح القوة والنشاط والامل والكفاح
مازجة بين هواها وهوى الوطن الغالى

وهكذا راحت تمر بها الأيام — اهاب يكتب لها فى جنون
وثورة وهى لاهية عنه بحبها لزوجها وكتابتها له .. حتى مرت
الشهور وهى صابرة على مضض فى جلد حتى بعث اليها زوجها
رسالة تلغرافية محمدا ميعاد مقدمه ..

كل الوان الحياة تحولت الى انس وبهجة وكل شىء بدا فى ناظرها
باسما مشرقا وهى من فرط الفرح لا تعرف ماذا تصنع لاستقباله
ولا كيف تنهى الملاقاته .. متصورة ان الدنيا ضاقت بفرحتها وسعادتها
هذه هى لحظة السعادة المرتقبة منذ من مر كأنه اعوام بوحشتها
طويلة كأن جبال الأحلام الطويلة المظلمة ...

كان قلبها يشترك مع صغير القطار .. انما صغير القلب كان

تهاليل عواطف المسرة والابتهاج والأنس والغبطة والأمل والرجاء
كل جانحة فيها تهتز طرباً كأنها تحكى نشيداً منغماً عذبا فيه حلاوة
وفيه نقاء

لم يتحول بصرها عن طريق القطار قبل ان يظهر وما كاد القطار
يستقر حتى زاغ بصرها في لطفه باحثا عن الزوج الحبيب .. ولم
يكن بصرها وحده هو الذى يبحث بل كل لحظة فيها تتحرك كأنها
عين ناظره وعاطفة يقظة ورغبة جامحة .. وما كاد يطالعها وجهه
حتى همت بالصعود اليه ولكنه كان اسبق منها فنزل اليها وعانقها
طويلا .. وهنا لم تتمالك نفسها فارتمت على صدره وقد غلبها الحب
والحنين فكادت تبكى وقد استسلمت لدفع طالما حنت اليه وتمنته
ولكنها تنبت عندما سمعته يقول ... هل انت متعبة ..

فاعتدلت وتكلفت بسمه حلوة وهى تقول .. أبداً .. انما
الفرحة طغت على فأنستنى وجودى .. وقبضت على ذراعته لتسير
على انه نظر اليها فى تألم لأن الفرح لم يستطع فى لحظة ان يكسح الألم
الممض الذى عانته لفراقه طوال الشهور التى مرت .. ولكنه اخفى
ما ألم بنفسه واغتصب بسمه مردفاً .. أخشى أن تكونى مرضت
وكنمت عنى الأمر ...

فابتسمت قائلة .. في الواقع فرائدك وحده يكفى لمرضى ...
ولكننى قاومت مقاومة الأبطال اتظن الحرب فى الميدان اكثـر
صعوبة وخطورة من الحرب بين الرغبات المتناقضة فتصورنى احن
اليك واشتاق لك واهفو الى طلعتك واتمنى لو اطير اليك ثم يقعد
بى الواجب فأحارب هذه الرغبات بالصبر والاحتمال والجلد
لقد كنت انت تدافع عن وطننا المشترك وانا ادافع عن وطنك
الذى اوليتنى عليه واجلستنى على عرشه وارجو ان يكون توفيقك
فى جهادك كتوفيقى فى جهادى

وهنا بلغا الدار فدخلا الى غرفتهما وغابا فى عناق طويل ودموع

حره

المشعر

بعد أيام سافر الزوج بالراحة والحيوية بفضل رعاية زوجه
وحنانها وقد نسى بجوارها ما كابده فى ايام القتال من جهد ونصب
وعناء وعقب عودته من الخارج ذات مساء اخبر زوجه ان زوجة
زميل له ستحضر لزيارتها فى الغداة فرحبت امانى بها كما كانت ترحب
دائما بزوجات زملائه واصدقائه .

وفى الميعاد تهيأت لاستقبال الزائرة ... فلما حضرت دخلت

عليها بلطفها المعهود ووداعتها الأصيلة ... ولكنها لم تكمد تدخل
الصالة حتى لمحت بجانب الزائرة ... اهـاب ... إذن هي زوج
اهـاب ..

آية سخرية تطلقها الأقدار حينما تجدد نفسها مضطرة للقاء
اهـاب في بيتها وتناست وجوده مستجمعة كل قواها واراقتها
مغالبة اضطرابها متكلفة البشر والسرور للقاء السيدة

على أن ذهنها كان ينسرح رغماً عنها مفكرة في باعث الزيارة
وقد تعددت أمامها الأسباب حتى خافت أن يكون اهـاب صرح
زوجه بعلاقتهم الماضية وبدأ الماضي يصحو رافعاً عن رأسه
الغلائل منفصلاً عن وجهه التراب ليناوئها واتسعت آفاق ذكريات
الماضي امام ناظرها وانبعث مع هذه الذكريات جحفل من الهم
والخوف وقام صراع بين حاضر زاهر وماض مآفون ..
واستطاعت بعد عناء ان تطرد ذاك الخيال المناوش مستعينة
عليه بكبرياتها وقوتها ..

آه ليتها علمت ان الزائرة زوج اهـاب .. لو عرفت لرفضت
لقيائها من اجله في لباقة ولكن للقدر حكمه فليكن ... وبعد
لحظات دار الحديث خلالها تافهاً بين الجميع وقد انست امانى إلى
رقة السيدة وسرعان ما زال عنها قلقها كأن مساً هيناً مسح عن

صدرها تحوقها فارتاحت واطمأنت تحت تأثير شعور هين ناعم
ولم تشعر بأى غيرة أو حقد عليها .. مع أن الزوجة حلوة جذابة
إلا أن سذاجتها جعلتها أقرب إلى طبيعة الأطفال مع صفاء النية
وسلامة الضمير .. وفهمت من حديثها أنها لم تنل من التعليم نصيباً
موفوراً وأن بساطة تفكيرها أفسدت عليها تذوق معانى الحياة
الأصيلة وتفهم حقائقها اللامدركة هنا شعرت بالفارق الهائل بين
تفكيرهما واحساسهما .. السيدة تفكر وتحس لتعيش كما تعيش
أنثى الحيوان وهى تفكر وتحس لتؤدى رسالة السمو والكمال حيال
هذا التفاوت .. شعرت أمانى بأنها أسمى منها ..

وشعور المرأة بأنها أسمى من امرأة احتلت قلب رجل كان
يحبها أغلى عليها من كنوز الحياة لو قدمت لها هذه الكنوز بدل
تنازلها عن ذاك السمو أن مجرد الشعور بارتفاع قيمتها عن قيمة
غريمتها يورثها التيه والزهو والسعادة

ومن ذلك تنشأ الغيرة فى النفوس فالإنسان لا يغار من الآخر
إلا إذا أدرك أنه أقل منه قيمة فنحن لانرى الغنى مثلاً يغار من
الفقير بينما يغار الفقير من الغنى ويحقد عليه أبداً .. وهو فى الواقع
لا يغار من شخصه أو اسمه إنما المجاعة التى يعانىها الفقير هى التى
تحقد على المتع التى يتذوقها الغنى ..

حاولت أمانى أن تشعر — أهاب — بأنها سعيدة في زواجها
وأنها تحب زوجها الحب كله وتحرص على راحته وهنائه باذلة في
سبيله كل ما تملك من جهد وحب وسعادة مظهرة شغفها به في كل
فرصة وغالبت اضطرام مشاعرها بالتحدث إلى السيدة (سمية) في
لطف ولباقة .. وأهاب صامت ينظر إليها من تحت جفونه محاولاً
أن يخفي مشاعره الدفينة منتهزاً كل فرصة تواتى ليتحدث إليها
أو ليلفت نظرها إليه ولكنها تعمدت أن تتجاهله وألا تدع له
فرصة للتدخل في حديثهما .. وزوجها عاكف على الترحيب بهم
في لطف وبشاشة يتحدث إلى صديقه عن الحرب آناً وإلى زوجته
عما يسر النساء في هذا المقام أحياناً بالنوادر والفكاهات وظل
الجميع يتسامرون حتى ترامى إليهم صوت موسيقى في الشارع فجرت
— سمية — لتطل من النافذة ثم عادت إليهم مقطبة الجبين مغممة
أوه — رواية الأمس، (الانتقام العادل) مأساة مريضة، مريضة جداً
وظفرت منها دمة .. فمسحتها وهي تبسم قائلة .. كلما تذكرتها
روعتني مشاهدتها فلا أملك دموعي، فتأثرت أمانى وقالت .. إلى
هذا الحد .. إذن .. قصيها علينا — ثم ضحكت مردفة .. لنوفر ثمن
التذاكر .. وبادلتهما — سمية — الضحك ثم لزمت الجمد وقالت .

خلاصتها أن شابا أحب فتاة وعاهدها على الزواج فبادلته حبا
بحب وعهداً بعهد ثم اتضح لها أنه خائن خادع ، وهنا قاطعها أهاب
في حده - سمية ، لضرورة لسرد المأسى في وقت السمر ..

فأعقبت - أمانى - أتمنى ، ان حقائق الحياة تلبس مسوح
المأسى دائما ويظهر أن - أهاب - افندى ينجل من كشف
مساوىء جنسه .. ثم اغتصبت ضحكة ناعمة

وتابعت - - سمية - حديثها

فنظر إليها زوجها بمانعاً في حدة .. فسكتت قائلة .. اعفني من
سردها كلها تصورت أنه قتلها .. بكى قلبي ولا أملك رد دموعي
وقف أهاب يتأمل الصور المعلقة ليخفي شعوره وكان محمد
خرج لشأن له .. قالت - أمانى - ولم قتلها

فقالت : سمية .. انقلب حبه إلى حقد عندما تزوجت غيره
فانتقم منها . وغمغم - أهاب - معه الحق مادامت خائنة ... يجب
أن يموتاً معاً فريعت - أمانى - وقالت ... مسكينة لها
الله .. ماتت ضحية نذالة الرجل وهنا دخل زوجها وكان سمع الكلمة
الآخيرة فقال - ما الخبر ... فأعادت عليه ما سمعته ... وقبل أن
يتكلم أعقب - أهاب - كان يحسن بالمؤلف أن يختم القصة

بتوطيد علاقتهما على الصداقة البريئة فأجابه محمد — خير للزوجة
أن تقتل من أن تكون قاتلة !!

فاحتج أهاب — أنا لا أدعوها إلى القتل يا صديقي

فقال محمد في رزاة — الزوجة التي تصادق غير زوجها تقتل
قلب زوجها من حيث لا تدري . ان الصداقة كالحب تماماً
بل تكون أقوى وأمتن أحياناً ... علاقة المرأة برجل غريب غير
مرغوب فيها مهما كانت العلاقة عفة بريئة ... فهي ان خلت من
سوء تفكيرهما فلن تخل من سوء تفكير الناس

ثم أى رجل عاقل وقور يسمح لزوجته أن تصادق رجلاً غيره
أوه هذا لا يطاق هذه بدعة اكتسبتها المدنية الحديثة من الغرب
وأسمتها رقياً وكياسة مع انها فى الحق أباحية لا تتفق وكرامتنا
الشرقية المصرية العربية ..

كان أهاب يستمع خافض البصر فى هدوء ... ولما جاء دوره
فى الكلام قال ... صحيح ... إنما أين المرأة التى تفهم ذلك ؟
محمد : إذا كان الزوج عفاً شريفاً مؤثراً زوجته على غيرها يمنحها
من نفسه كل ما ترجو .. فنعنت به . ان الإنسان يا صديقى لا يشتهى الشئ
إلا إذا أحس بالرغبة فيه والرغبة يولدها الحرمان . فهو لا ينشد

الحب إلا اذا كان قلبه خاويا ؛ ما دمت تشعر بجانب زوجك بالحنان
والدفء والعناية والحب . لا يمكن أن تحس بفراغ يدنحك الى
البحث عن امرأة تستمد منها ما ينقصك !!!

فمن الجهل أن تقول.. رجل خائن أو امرأة خائنة .. وعلينا أن
نبحث عن أسباب النقص الذي يشعر الرجل به ليكملة. وكذلك
المرأة ومتى اكمل منهما منقوصه لا يمكن أن يشعر بمجاعة روحية أو
بدنية أبداً على أن تثقى بالمرأة أوفر من تثقى بالرجل ..

أهاب : مقاطعا . أنت تبالغ في ثقتك بها يا صديقي

محمد : انها جديرة بكل اعتبار . ولا أقول ذلك اعتباطا فان
زوجتي أرنتى المرأة الفاضلة المضحية الكريمة فى أجمل صورة
لا تنظر إلى الآن وأنا بخير وعافية .. انما انظر إلى يوم كنت ..
وهنا عانقته زوجه فى حنان والدموع تطفرف من عينيها قائلة ..
اسكت يا عزيزى اتسكرف على الله فضله عندما ابتلاك ليخبر ايمانك
ويعزز قوتك ..

وأعقب - أهاب - أنك بكل خير خليف يا صاحبي وأردف
(محمد) لو أننى جمعت خيرات العالم وقدمتها لها ... لما خفف ذلك
وطأة الدين الذى فى عنقى لها ..

فتنه (أهاب) مغنماً .. هنيئاً لها هذه الثقة الغالية .

فعاد (محمد يقول) ان زوجتي ضحت بكل شيء من أجل ومن
اجل وطنها واقول لك ذلك لكي تعرف أن في مصر نساء كاملات
فلا تجحديا صاحبي المرأة وثق أن الشعب لا يبلغ أمله الرفيع إلا إذا
كانت نساء تدفع رجاله بعواطفهن الكريمة القوية إلى العمل وإلى
الأتاج ...

أهاب : وأين هذه النساء .. امرأة واحدة لا تكفي لسد ثغرة
هائلة أنسيت أن النساء جميعاً لا يعشن إلا لأنفسهن

أمانى : محتدة : ظلمتهن ياسيدى .. وهل عاشت الرجال لغير نفوسهم
لاتسل المرأة عما تجنى وإمكن سل الرجل لأنه قائدها
سميه : الحق فيما قالت أمانى هانم .. دائماً أهاب ينقم على المرأة
مسكينة انها مظلومة

أهاب : مثلاً زوجتي ترفض مساعدة الهلال الأحمر بدريهمات
بيناً تبذل في سبيل زينتها وحاجاتها الكمالية المئات .. اليست هذه
أنانية فظيعة ؟

سميه : وحضرتك . ماذا بذلت في سبيلهم .. مع أنك تصرف
في الملاهي وعلى موائد التسلية مرتبك ويزيد : انا اوفر واحرم

نفسى من الشئ الكثير ، وحضرتك تسرف وتمتع بنفسك بكل
شئ غير عابىء بتقلبات الأحوال وصروف الزمان

أهاب : اسكتى من فضلك .. بدأت تتعللى كيف تتكلمى

محمد : ينظر إليه عاتباً . كيف تطيب الحياة الزوجية إذا أقام

الرجل من نفسه (عداداً) لأخطاء المرأة

سميه : وينسى أخطاه .. حضرتته يسهر خارج المنزل إلى منتصف

الليل وأنا وحدى فى المنزل فهل فكر كيف أقضى هذه الساعات ؟

تنتابنى وحشة الليل وهو اجس الوحدة المخيفة .. يحرم على الرياضة

والزيارة ويقضى وقته هو كما يشاء .. يحرم على كل شئ ويحلل لنفسه

كل شئ ناسياً أننى بالفطرة أحتاج لما يحتاج إليه من انشراح وترويح

أنا أعمل جهدى لعمل ما يرضيه وتوفير أسباب الراحة والسرور

له مضحية براحتى وسرورى فى سبيل مرضاته وهو لا يفكر إلا فى

نفسه ثم خانها النطق فبكت بصوت مخنوق ..

مالت عليها أمانى حانية مرفهة وهى تنظر إليه فى اشمئزاز وكرهية

واغتاظ (أهاب) قائلاً .. هل صحبتك معى لتعكير صفونا

فقلت : من زمن أبحث عن صديق لك أشكوك إليه .. لقد

ضقت بك ذرعاً ولم يعد فى مقدورى أن احتمل أكثر مما

احتملت لقد سعيت إلى هذه الزيارة لأشكوك الى صديقك فصرخ

في وجهها ... كفى .. هيا عودي الى الدار

فنظر اليه (محمد) في خشونه ونظر الى المرأة عاطفا قائلاً . ان
أهاب رجل طيب وأعتقد أن الظروف الحاضرة هي التي غيرت
طباعه ، لقد أورثتنا جميعاً عصبية فظيعة فتحمليه وأنا شفيعه اليك
ثم سحبه من يده وخرج به الى خارج الغرفة ليلومه على سوء معاملة
زوجيه وينصحه في رفق ولين . بينما ظلت زوجته تبكي في مرارة ولما
قالت لها أمانى .. ألم تتفاهما قبل زواجهما قالت : كان يحبني الحب
كله ولطالما قضى الليالي ساهراً بقرب نافذتي ولما وثقت من حبه
بادلته الحب بحب وعندما تقدم لطلب يدي أبي والدي وقد كان مريضاً
إذ كان يرغب في أن يزوجني من ابن أخيه ليقيمه وصياً على أملاكنا
حيث لم يكن له ولد .. ولكني لم أذعن لمشية الوالد وليت نداء
أهاب وتبعته في غير خوف دون ان احفل بشخص والدي .. حتى
امى رفضت ان تزوجني منه بدعوى انه فقير لا يملك اى شىء عدا
مرتبه وابنة الباشا في عرفهم يجب ان تزوج برجل غنى وجيه لم اقم
وزنا لهذه التقاليد وتركتهم وذهبت معه عندما حرضنى على الفرار
وخرجت عن دين غرورهم ونزقهم وتزوجت به بعيداً عنهم في غير
حضورهم ، وقلت حسبي هو من الحياة وفضلت المعيشة معه على ابسط
صورة في غير ملل او ضجر ، واقسم لك اننى لم افكر مطلقاً

فى مدى هذه التضحية بل أقدمت عليها مؤمنة بأننى أقوم بواجب
من أقدس الواجبات من أجل الرجل الذى أحببته وأحببته
تبرأ والذى منى وتناستنى أمى فلم أحفل بذلك لأننى شغلت
حياتى كلها به وبعد مضى بضعة شهور من زواجى مات والذى
فقمتم بالواجب على الابنة البارة نحو أبيها وبعد انتهاء أيام
الحداد حرصنى على المطالبة بحقى فيما تركه والذى ، ولسوء حظى
وجدت أنه أوقف كل ممتلكاته على الأعمال الخيرية ولكنه أوصى
أن يخصص لى نصف الأيراد فى حالة حاجتى الملحة أى إذا مات
زوجى أو طلقت منه ...

لم أحزن لتصرفه إذ كنت تعودت الحياة المتواضعة وحسبه
أنه ضمن لى الحياة الرضية عند ما أحتاج لمن يعولنى ..
لكن زوجى لم يعجبه ذلك ، غضب ثائراً وحرصنى على اتهامه
بالخبل قبل وفاته فلم أخضع وأبيت وصعب على أن أتهم والذى
وهو برىء .. غضب على وخاصمنى وهددنى بالطلاق فلم أحفل به
ولم أشأ أن أكون مجرمة فى حق أبى .. وأن أكفر بنعمته فى
حياته وبعد مماته ، قد يغفر لى الله عدم طاعتى إليه فى حياته لأننى
خرجت على رغبته بحسن نية ومن أجل رجل أحببته من أجل
الله .. لكن ما عذرى فى اتهامه وهو برىء بعد مماته ، والخير

فيما يريد الله .. وعبتاً حاولت ترضيته فلم تهدأ ثأرتة لأنه رجل
أناني لا يفكر إلا في مصلحة نفسه وما يعود عليه بربح مادي أو
متعة ترضيه وحده

وعبتاً حاولت اقناعه بأنني راضية عن حياتنا المتواضعة
وأخذت على نفسي عهداً ألا أطالبه بالمزيد ولكنه تجنبني وهجرني
دون أن أقترف أي ذنب ، أخيراً فهمت ، أنه تزوجني طمعاً في
الثروة لاعتقاده ان والدي المريض على حافة القبر وكان يظن
انني وريثته الوحيدة

وهنا دخل - محمد - يتبعه - اهاب - ..

فاقترب منها - محمد - قائلاً .. سيكون اهاب منذ اليوم كما

تشائين ..

فنظرت اليه سمية في مرارة مغممة : هو .. لا يمكن .. إن
الشيء إذا زاد وفاض لا يمكن احتماله .. إنه لا يخاطبني في لطف
إلا إذا كان يطمع في شيء مني ونظرت اليه في غيظ واحتقار ..
فقال .. - محمد - إنك ملكة .. وهو ملك

قالت .. آه .. كنت دائماً امنحه كل شيء .. ليكني الآن

استحي من نفسي كلها لاحظت انه لا يحبني انما تزوجني من اجل
ثروتي وكرهني من اجل حرمانى من هذه الثروة ...

فقطاعها - محمد - لا .. انت مخطئة .. انه عاقل ونزيه .. وتلك
أوهام ولدها سوء التفاهم .. ثم التفت لصاحبه قائلاً : دافع عن
نفسك واكدها براءتك !!

فقط شفتيه وهز كتفيه قائلاً - دعها تهذي ... انها امرأة
مجنونة ولقد سئمت عشرة المجانين

فتألمت أمانى لها وقالت ، إن حبها العميق هو الذى يدفعها
للشك فأعد إلى قلبها الطمأنينة وإلى نفسها الانشراح
فوقف متأففاً قائلاً ... كلانا سئم الآخر ..

فبكت الزوجة فى حرارة قائلة ، سئمتنى عند ما ايقنت اننى
اصبحت فقيرة

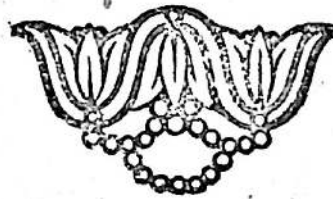
الم اكن انا قبلة احلامك ؟ الم تقضى الليل باكياً راجياً
رضائى ؟ الم تهيم على سبيل الفرار لأنك لا تستطيع الحياة لحظة
واحدة بدونى بعد رفض والدى يدك قائلاً لأمى انك غير جدير
بابنة نديم باشا ، الم تقل لى انك إذا نلتنى غنمت الدنيا والآخرة
وحسبك ذلك من الدنيا

ثم غلبها الأسى فأخرسها وظلت تبكى بحرقة
فعطفت عليها - امانى - باكية مرفهة عنها قائلة : غمامة صيف
يا عزيزتى سوف تنقشع .. سوف يسترضيك ويكون لك الزوج

الحبيب ونظرت اليه في توسل قائلة : اهاب افندى .. قدر عواطف
الزوجه المحبة .. ليس لها في الوجود سواك ، فكن لها الراعى
المخلص الأمين ابرعك الله .. امرأتك طيبة القلب إلى اقصى حد
فامنحها من نفسك عطفك وحنانك

واعقب محمد - انا واثق من ان اهاب منذ هذه اللحظة سيكون
لها كما تحب .. اطمئن .. وانسى مافات وافرضي انكما تزوجتما
الليلة فقط ... وضحك في طلاقة ليضحكها ..

امانى ، ضاحكة .. وانا مستعدة ان اقيم لكما عرساً جديداً ..
على حسابي وتكلفت الضحك لتضحكها



الفصل السابع

ذهبت أماني بصحبة زوجها لزيارة زوجة اهاب ولللاطمثان
عليها ...

وبعد أن استقر بهما المقام وتحدث اليهما — اهاب —
حديثاً مبعثراً حاول خلاله أن يخفي عواطفه المضطربة .. أخبرهما
ان زوجته سافرت عند صديقة لها لتغيير الهواء .. واعقب أنه
لم يمانعها لكي تسترد هدوء نفسها وطمأنينة قلبها ...

ولم تشأ — أماني — ان تمكث بعد ذلك رغم رغبة زوجها
في الجلوس وخرجت بعد أن حملته أطيب التحيات لها ..

وبعد يوم حمل اليها البريد رسالة

اماني العزيزة

حاولت ان انساك بالزواج فزادني تعلقاً بك ... كل محاولة
في سبيل نسيانك فاشلة ، انت السبب في شقاء المرأة .. لقد
طلقتها ... وكتمت عنك الحقيقة عند زيارتك .. لكي لا افضح
عواطفى امام زوجك !! انت التى اقمى حازراً لا يمكن اجتيازها
بينى وبينها ... كلما رايتها لاح طينك امامها فأنكرها وأتعلق بك

العابد لك
اهاب

اتقى الله في وكوني رحيمة على

روعها الأمر .. وثار همها من مكنه حتى خيل اليها ان في
عينها حكاية قلبها فحاولت جهدها الا تنظر إلى زوجها طويلا
خوفا من ان يطالع هواجس نفسها حيث كان يفهم دائما ما
يجول في صدرها من مرآة عينها وقد عانت في سبيل هذا التحسن
آلاماً جسيمة على ان زوجها لاحظ شحوب وجهها وشرود فكرها
نخاف ان تكون علة نزلت بها ولما سألتها عن سبب انحرافها
قالت له ان صحتها بخير انما بنفسها الم جديد إذ اتصلت بها إحدى
صديقاتها واسرت اليها ان (اهاب طلق) السيدة سميه - ولكنه
كتم عنا الأمر خوفا من معاتبته او لومه وطلبت منه ان يستدرجه
في الحديث حتى يعلم منه صحة الخبر فاذا كان حقاً فليعمل كل ما في
وسعه لإعادتها اليه لأن السيدة فاضلة كريمة لا تستحق هذا الغدر!!
وأفهمته أن هذا الرجل غير جدير بقلبها وأنه سيكون باعث شقاقها
وعذابها لأنها يتيمة ولا عائل لها ثم أوصته خيراً بها ؛ فوعدها
زوجها بتنفيذ رغبتها بعد عودته في الغد حيث أنه مضطر للسفر
بعد ساعة لقضاء مهمة عسكرية .. وسافر زوجها على هذا الوعد
وتركها فريسة خواطر حزينة وهواجس مخيفة وأشد ما يروعها

أن تكون السيدة سمية فهمت باعث زيارته وحدثت بينهما مشادة أدت إلى هذا الانفصال ..

وهكذا استسلمت لهذه الأفكار المخيفة حتى مر ليلاً وهي لا تدري تائهة في بيداء أحاسيسها المفزعة حتى طالع النهار فتنبه فكرها الغافى وراحت تفكر فيما عساها ان تفعله من أجل هذه السيدة ولم يكدها النهار يستقر حتى دخلت عليها الخادم تعلن مقدم - اهاب -

دهشت أمانى ؛ وتوجست خيفة ومليكة الاضطراب والكنها تظاهرت بعدم الاكتراث أمام الخادم وقالت : اولم تقولى له أن سيدك غير موجود ؟
فقالت الخادم - لا يا سيدتى

أمانى - إذن قولى له البك فى الخارج ، ثم راحت تتمشى فى أرجاء الغرفة مرعدة الفرائص محاولة ان تتمالك شعورها لى لا تلاحظ الخادم ما الم بها وقد ساورتها هواجس مخيفة حتى عادت الخادم تقول : انه يعلم ان البك غير موجود
فاحتدت امانى قائلة بلهجة جافة حاسمة
فقاطعتها الخادم : انه يريد مقابلتك
فصرخت فى وجهها : قولى له لا يمكننى مقابلته فى غياب زوجى

وخرجت الخادم وقد تركتها تناوش مخاوفها ولما عادت
قالت ، انه موفد من قبل البك لأمر هام
ونظرت اليها أمانى فى سروح وقد طاف بها من الظن طائف
مريع وقد ترآى لها زوجها واهوال الحرب وبعد تردد قالت :
دعيه يدخل ..

فلما دخلت عليه وكان قد سبقها إلى الصلاة ابتسم ابتسامة
صفراء ووقف فى تأدب مصطنع ونظر اليها فى تدله وقد شاع من
عينيه بريق ثورة مكبوتة ! ولكنها لم تدعه يغيب فى هذا
الشعور فقالت - وهى تخطو نحوه فى وقار واحتشام : ماذا حدث ؟
قال بصوت خفيض بطىء وهو لا يزال يبتسم - ليس ثمة
ما يدعو للفرع

قالت فى جد بلهجة خاطفة : ما وراء زوجى ؟
فظل ثابتا وهو يقول بصوت هادىء : الا تسمحين لى
بالجلوس اولا - اننى متعب

قالت - أنك تفزعنى يا سيدى .. فما الخبر ؟
فابتسم فى خبث وهو يحرق فيها بعينين عميقتين قائلا : إلى
هذا الحد تحبين زوجك - يا هناء - ونظر اليها فى مرارة مردفا -
اطمئنى . سيغيب الليلة وقد يمتد غيابه الى أسبوع .. لأنه فى مهمة

عسكرية فهل أنت في حاجة إلى أى خدمة ؟
فتنفست الصعداء وقد ارتدت إليها طمأنينتها بعض الشئ قائلة
وهى ترمقه شذرا أعرف ذلك. شكرا .. وتحولت عنه لتخرج فوقف
في طريقها وقد أغاظه اعراضها قائلا .. ماهذا الجفاء ، فى الواقع
جئت لأراك ..

فتارت كرامتها وقالت بلمهجة جافة وهى تتحداه بخطواتها ناظرة
إليه شذرا .. لست فى حاجة إليك ياسيدى
فاعترضها ضاحكا ضحكة فيها حشرة المذبوح وقال متهمكا فى
غيظ ؛ أطر دنى أمانى من بيتها .. لا .. لا يمكن أن أصدق ذلك ..
هذا شيطانها بلا مرا .. أمانى الوديعه اللطيفه .. لا أنها لا يمكن أن
تكون إلا لطفا ودعه ..

هنا شعرت أمانى ان الحى تسرى فى شرايينها وأن أعصابها تهتز
حتى أوشكت أن تقع على الأرض من فرط الأعياء والقشعريرة
ولكنها تمالكت نفسها وهى تقول : جرأتك فظيعة فاخرج من
فضلك حالا والا كشفت أمرك لزوجى

فغالب غيظه وكظم حنقه قائلا فى برود .. زوجك .. زوجك
كريم وهو الذى أرسلنى لكى أراك فى غيبته
فاشتد هلعها وحقد هافصرخت بصوت خافت .. زوجى يظنك

رجلاً شريفاً .. أنا لست في حاجة أى مخلوق .. زوجى معى .. معى دائماً . مهما فرقت بين جسمينا الأيام

فتكلف البشر وقال بصوت فيه ضراعة وحنين .. أتذكرينى يا أمانى .. أين حبك وعهدك .. ألسنت أنا أهاب حبيبك الغالى ؟ فقاطعته فى قسوة وقد بانث كراهيتها تتدفق كالسيل طى ألفاظها بأى حق تبسح لنفسك هذا العدوان الصارخ أخرج جالا وإلا انتقمتم لزوجى الذى تخونه ولكرامتى التى تحاول أن تمسها فقاطعها وهو يقترب منها فى خشوع قائلاً .. بحق الحب الذى تعهدناه سوياً حتى ترعرع وشب وصار يافعا لقد وهبتنى قلبك قبل أن تمنحنى زوجك جسمك وفى ثورة جنونية صفعته على خده قائلة بصوت جاف .. أيها النذل لا تحاول أن تدنس حرمة الزواج بذلك الهذيان الجنونى

وأحس أن عقرباً لدغته وتمشى سم الحنق فى جسمه فصاح فى شبه غضب .. فكرى ليس الحب عبثاً .. والحب القوى الضارم الذى أشعر به نحوك لا تؤثر فيه صفعه من يد صغيرة لطيفة .. أتفهمين ؟ ولم تدعه يتم كلامه لأنها نادى الخادم وهى تغمغم .. نذل جبان ولما حضرت الخادم خاطبتها فى جد قائلة .. اصحبى سيدك حتى الباب وتركته مسرعة قبل انصراف الخادم وقبل أن يتحرك ..

وتنفس ليخفي اضطرامه ثم قال للخادم .. كوب من الماء من فضلك
ولما تأكد من خلو الغرفة .. أخذ صورة أمانى الموضوع مع الصور
داخل غلاف وضع على نضد وخبأها فى محفظته ولما شرب الماء
خرج يجر ساقه فى خيبة وعلى وجهه علامة الكمد ومرارة الفشل
وعندما خلت أمانى إلى نفسها ارتمت على سريرها باكية
وقد نازعتها خواطر مروعة وصح عزمها على أن تخبر زوجها
بكل ما حدث وأن تقص عليه حكاية حبها القديم لى يتجنب
هذا الرجل ويحذر منه حتى لا ينجم عن مخالطته مالا تحمد عقباه
واحتاطت لنفسها لى لاتدع أى فرصة للقائه

ثم مرت الساعات وهى تحت تأثير أفكارها المتراعى الأبعاد
وتناوشها هواجس تحمل معها مآسى الحياة — حتى عاد الزوج فى
الميعاد الذى ذكره لها قبل سفره ولشدهما كانت دهشته حينما وجدها
على غير ما كان يرجو لا يفتر ثغرها إلا عن ابتسامة خاطفة ولكنه
فسر ذلك لقلقها عليه وبعده عنها وخوفها من حوادث الحرب
المريعة ، وحاول أن يرفه عنها وينسيها ما ألم بها فى غيابيه ويسرد
عليها بعض حوادث الحرب الهينة محاولاً أن يخلط بين الجد والدعابة
ليرفه عنها حتى أوشك همها الدفين أن يتلاشى وبدأت تهلل وتحسن
بالمسرة تسيطر عليها ولم تشأ أن تخبر زوجها حتى تحين فرصة تليق

بالمصارحة إذ لاحظت أن أعماله الشاقة التي يقوم بها لا تساعد
على التفاهم في شأن عائلي خطير

وهكذا مرت الأيام تباعا وهي كالنسيمة تحاورها الأمواج
هابطة صاعدة هادئة ثائرة حتى دخل عليها زوجها يوما في غير
ميعاده مقطب الوجه منتفخ الأوداج كأنه أصيب بحمى طاغية
وخاطبها بلهجة جافة لم تعهد لها منه منذ تزوجا
أين صور عرسنا : هاتنيها

درجعت أمانى لهذا السؤال الغريب وهالها وجهه الممتقع واضطرابه
الظاهر وشرر الغضب المتطاير كاللهب من عينيه
فلزمت الهدوء وقالت : أنت تعرف أين وزعت الصور ولم
يبق عندنا غير صورة واحدة في الصالون — وخرجت مسرعة
لكي تحضرها إليه .

وراعها عدم وجود الصورة في مكانها وطال بحثها وهي تسأل
الخدم في صراخ وذعر .. أين الصورة .. كانت هنا
ووقف الزوج أمامها ينظر إليها وهو يلهث من فرط الغضب
ويزفر كأنه يخرج آخر أنفاسه .. أما هي فقد نظرت إليه في هلع وهي
لا تدري ماذا تقول ولا تفهم باعث سؤاله وارتباطه بهذه الصورة
وارتمى الزوج على المقعد وهو يضغط يده على جبينه مغمغما

رباه أيمكن هذا . أيمكن أن تكون خادعة خائنة ثم هاجمته
خواطير الغيرة في جنون فردد بصوت مخنوق انت خائنة ! يا للشيطان
واقتربت الزوجة في تهيب وتوسل قائلة بصوت خال من
المكر والدهاء .. ما الخبر ؟

فنظر إليها في جنون قائلاً بصوت يحمل خفقات قلبه
التائر .. صورتك .. صورتك أيتها الزوجة الشريفة ، صورتك التي
أرسلتها لعشيقك ، ثم ضرب جبينه بيده في عنف ومال على المقعد
يهذى كالمحموم

فمالت عليه حانية راجية أن يصرحها بحولية الأمر فقبض
على ذراعها في قسوة ورماها على الأرض في حركة وحشية صارخا
في هياج ، متى تعرفت إلى هذا الرجل ومن هو ؟ طبعاً أثناء غيابي
قولي الحق فقد أعفو عن خطيئتك ولاكني لن أغفر لك كذبك
وحاول أن يلفظ من لهجته الأخيرة ليستدرجها ويغرر بها لتصارح به
ولكنها نظرت إليه في كبرياء واعتداد وهي تحس بأن
الأرض تدور بها وقدم بذهنها تهديد (أهاب) الأخير .. وتأهب
لمصارحته فتستجمع قواها .. ولكن يرتد عزمها عندما تدرك أنها
لم ترسل إلى أهاب صورتها طوال حياتها ويطوف بذهنها كل شك
إلا سرقة أهاب لصورتها

ولم يدعها الزوج تسترسل في تفكيرها حيث بلغ به الألم
منتهاه فراح يلقي عليها أسئلة عديدة مترادفة وهي لا تحير جواباً وظلت
صامته في حيرة وارتابك تنظر إليه في براءة الأطفال وأخيراً تمت
تحت قدميه باكية قائلة . اقسم لك اننى بريئة ... فخبرنى عن
قصة هذه الصورة .. لقد فقدت بلا ريب ولا كنى لا أدرى كيف؟
قد تكون أخذتها إحدى صديقاتي الخبيثات

فقاطعها صارخاً وقد فقد صبره أما زلت مصرة على خداعي
قولى الحق وإلا غسلت جريمتهك بالدم .. ونظر إليها نظرة تهديد
وهو ينتفض كأن في صدره مرجل يغلى

فاتسعت حدقتها وارتعشت شفاتها بينما ثبت جسمها في
موقفه كأنه دمية لا روح فيها إنما تهتز بتأثير محرك ميكانيكى وفى
جهد قالت بصوت متقطع الألفاظ كأنه آت من وراء الأبعاد
السحيقة حمله هواء البحار فبان كصدى الأنفاس المضطربة ...
استحلفك بخالقك أن تصارحنى بحقيقة الأمر فقد أفهم ما غاب عني
فرمقها شذراً وهو ينتفض ثائراً وقال .. عثرت عليها زوج
عشيقك فى محفظته فأرسلتها إلى وصرخ .. كنت أعمى ...
كنت غيباً الآن فهمت سبب سرورك وذهولك ثم ضحك فى
هستيريا كأن الخبل أصابه بينما تمالكت هى نفسها بقدر ما تستطيع

وقالت .. ومن هذه المرأة؟؟

فأجابها .. لم تكتب اسمها ولا اسم زوجها - عشيقك -
ولاكنها تعرفك لأنك كنت زميلة لها في المدرسة

نظرت اليه بعينين دامعتين وغمغمت بلهجة تلازمها الدموع :
في الأمر سر يصعب على تعرفه ثم تشجعت واقتربت منه مغالبة
أساها قائلة .. كيف أثبت لك براءتي .. أقسم لك أنني بريئة
وقضيت عمري حريصة على شرفي وشرفك ثم خانها الوعي فبكت
وارتمت على المقعد تصرخ بغیر صوت كأن في صدرها مناحة ثم
غمغمت اهدأ وأنا أصارحك بكل شيء ...

هنا جن جنونه وفقد وعيه فركلها بقدمه صارخا - إن هناك
خيانة من زمن بعيد وأنا أبله ضير لا أفقه ولا أبصر
فقامت اليه متعثرة وارتمت تحت أقدامه باكية قائلة والله ما
خنتك ولم أتصل بأى رجل منذ تزوجتك

فلم يدعها تتم كلامها ولم يحاول أن يصغى اليها وظل يقول :
الآن رفع الحجاب عن بصيرتي ورأيتك على حقيقتك أيتها الحية
الرقطاء .. كلبة واحدة ربطتني بك وكلبة واحدة تفصلني عنك ..
لقد عشت طوال عمري أذود عن حماية شرف وطني باذلا دمي
في سبيله وما أحراني بحماية شرفي ... فاذهبي إلى الشيطان ...

وتركها ليذهب إلى مخدعه لكي يبكي ...

ظلت ساهمة في موقفها لا تدري ماذا تفعل . متمنية لو هدا
بعض لحظات لكي تقص عليه تاريخ قصة اهاب .. وتندم على
اخفاء الأمر عنه فلو أنها صارحته منذ تزوجت لفهم الآن مصدر
النكاية وسوف يأخذ عليها اخفاء الأمر من قبل ولن يصدقها
حيث فات الوقت ... ولم تجد منفذاً للخلاص من هذه الدسيسة
إلا الموت .. وتراعى لها بحر الحياة يسهل عبوره .. وأن
الهروب من هذه التهمة بالموت على أى صورة أفضل من الحياة
التي يلزمها الشك والارتياب ... وفكرت طويلاً وكثيراً في
طريق التخلص فلم تجد أمامها بصيصاً من الأمل يعينها على التفاهم
مع زوجها واقناعه ببراءتها

يا لله كيف ينفجر صدر الحليم الرزين عن هذا البركان المحرق
وطافت بذهنها شتى الهواجس حتى صبح عزمها على أن تتوسل
إليه حتى يهدأ عنه يستمع إلى تصريحها ...

وعندما دخلت عليه غرفته .. قذفها بأشنع الشتائم في جنون
من طاش عقله وأخرجها بالعنف وقد أغلق عليه باب الغرفة
وهو يهذى صاخباً ..

وارتمت على مقعد بقرب الباب حيث لم تعد تملك من القوة

ما يساعدها على السير خطوة واحدة .. وفكرت في الأمر من جديد ..

لقد مات حبها في قلبه بلا ريب لاعتقاده بأنها خائنة أثيمة ..
وبعد تفكير طويل تحاملت على نفسها وذهبت إلى غرفتها ..
وراحت تكتب له القصة متهمه إهاب بأنه صاحب هذه
السيسة ثم انتقلت إلى تصوير هواها وما عانت في سبيله وودعته
وداعا لا لقاء بعده وتركت الرسالة على النضد وقامت متشاقلة في
يأس وقنوط وقد فقدت عقلها وتسلفت في حذر إلى المطبخ ...
وكانت الطاهية مشغولة بإعداد الطعام ولحمت النار من الموقد
فابتسمت ابتسامة المجنون وأخرجت الطاهية لتقضاء حاجة لها من
الخارج ليخلو لها المطبخ .. وقد مدت يدها على مستودع الغاز
ورفعت يدها لتصبه على رأسها وقبل أن تشعل النار دخلت
الخادم .. وهنا ترمى إلى الزوج صوت صراخ واستغاثة



جلست الأم بجانب فراش ابنتها تتأوه في مرارة قائلة ..
هذا جزاء من تخرج على رغبة أهلها .. إنه كائمه تماما .. لطالما
أحسننت لها وهددت لها أسباب السعادة ولكنها كانت تغار مني

وتعمل كل ما فيه مضايقتي وإيلامي .. هل نسي تضحيتك عندما
تزوجته وهو قعيد وأنت على يقين من أنه رجل مبتور مشوه ..
وغمغمت أمانى فى جهد .. وهل فعل غير ما يفعله كل محب
غير .. انه زوج محب يا أماء .. ولقد كان ينظر إلى كما ينظر
إلى الإله .. وتهدت والدموع تنهال على خديها فى حرارة مردقة
فتردف الأم .. ولكن الزوج العاقل يا ابنتى يترى
ويحقق فى الأمر حتى يهتدى ثم يقضى بأمره .. ولكنه أثبت أنه
مجنون خائن .. لو كان يحبك حقاً لترك لك فرصة للتفاهم معه فإذا
ثبت له ذنبك تخلى عنك

وراحت أمانى تهذى فى شدة الحمى ..

محمد ... أحبك ... أنا بريئة ... اهأب ... ستعرف بعد
موتى ... أوه عبور هذا البحر وعر .. ما أروع هاته الحقائق ..
ذاك هو البنفسج الذى أحبه ... ما أجمل القمر وهو يلقي ضوءه
الفضى على صفحة الماء ... محمد ... تعال نعيش بعيداً عن أضاليل
الحياة ... كذب .. لا .. أقسم لك .. اهأب .. نذل .. وتضحك
بصوت ضعيف ناعم .. ما أجمل الحياة هنا .. لا أرى أحداً .. إلا
أنا وأنت .. ثم تبكى فى مرارة .. ولدى ... ولدى ... سيعيش
وحده ... سيكون يتيماً ... مسكين ... ما أجمله ... أنه يشبهك ..

أُمى ... أُنخى ... آه ... وتغفو إغفاءة المحموم ...
تبكى الأم فى التبايع مرءة ... ابنتى ، حببى ... أمانى ...
أمانى ... ثم تسرع ملطفة الحرارة بالكمدات ...
ويدخل الطبيب برفقة شقيقها .. فتوسل الى الأم أن
يطمئنها ... فيبتسم الطبيب بعد الكشف قائلاً فى اطمئنان : قد
زال الخطر والحمد لله ... صحيح الحرارة مرتفعة
فقاطعت الأم : انها تهذى يا دكتور ... فيطمئنها . لا ضير ،
وغدا أو بعد غد على الأكثر تستقبلوا الضيف الجديد ... تبكى
الأم قائلة : يكفينى سلامة ابنتى وليكن الوليد فداءها ...
الطبيب — سيكون باعث شفاءها الأكيد إن شاء الله ويخرج
بعد أن يلقي أوامره بشأن الاستعداد لاستقبال الوليد ..
وهكذا تقضى الزوجة الليل مابين غافية وهاذية والأم بجانبها
يتلاعب بها اليأس أنا والأمل أحياناً حتى طلع الفجر هادئاً يحمل
تباشير صبح جديد وما كادت الشمس تعانق الكون بضوئها
الذهبي الواضح حتى بدأت أمانى تشعر بألم جديد لا عهد لها به .
قال البعض من تأثير الحبى وقال نفر آخر أعراض الوضع
وسرعان ما علا صراخ أمانى وما هى إلا لحظات حتى طلع
عليها وجه وليدها ...

ولأول مرة منذ تركت زوجها ... تبتسم في بشر أكيد
وتنسى ما ألم بها وما تشعر به من التوجع والألم وتلفت إلى
الوجه الملائكي تتأمله في لهفة وشغف ...

إحساس جديد لا عهد لها به ... يفوق جميع العواطف
الإنسانية التي تذوقتها وكانت تتصورها فوق الاحتمال ... كل
جانحة فيها تحولت إلى عاطفة حب وحنان وعطف وتسامح، لقد تناسلت
وجودها وآلامها وهمومها بصغيرها ولم يعد لها مطمع غير مناجاته
ورعايته كان لا يفارق نظرها وجهه شاعرة بأنه لم يعد لها هدف
في الحياة غير تربيته وحبه والعناية به ليصير خير مثل للطفولة
السليمة القوية النابهة حتى ينشأ رجلاً قوياً شهماً ...

وتنبت من نومها صباح يوم على حركته فلما احتضنته
وتأملته احسست بشعور غريب يرتاد صدرها لأول مرة بعد
ولادته . وحدثت في الطفل طويلاً وهو ينظر إليها باسما ومع أن
نظرته كانت كافية لأن تفتح لها آفاق التفاؤل والبشر وبسمته البريئة
الطاهرة تحكى بغير نغم أناشيد الملائكة تناسب من فمه الصغير في نور
يكفي لبعث الحياة في كل قلب ميت .. وظلمت تنظر إليه دون أن
تجاوب بسمته أو ترد نظراته بقبالاتها العميقة الحارة .. ولأول مرة
تذكر زوجها.. لقد بدأ وجه الصغير وتظهر لمحاته وقسماته واضحة

حماية وبدأ وجه أبيه مجسماً في وجهه ولم تكذب تبين وجهه على حقيقته
لأول مرة وتقارن بينه وبين أبيه فلا تجد إلا صورة مطابقة
للأصل — ولأول مرة تبكي في حرقة ومرارة ويهزها الوجد
فتنبه للحقيقة المرة التي غابت عنها لكم كانت تتوق إلى أن يكون
وجه أبيه أول وجه يفتح نظره عليه يوم خرج من عالم الغيب إلى
ذاك العالم وبكت في هذه اللحظة بكاء مرأً أخاف أمها وحملها على
مواساتها والترفيه عنها خوفاً من انتكاسها إلا أن حنين الزوجة
إلى زوجها ملأ حواسها إلى حد باتت تشعر معه أنها بدأت تحب
من جديد حباً قوياً غنياً مشبواً ولد مع ولادة طفلها وتحول
فكرها فجأة إلى مصير ولدها وكيف ينشأ بعيداً عن رعاية والده قد
تكون حكيمة قوية نابهة ولكن ماعساها تجيب ولدها يوم يسأل
عن أبيه آه لو كان ميتاً لكان الأمر وكأنها كانت في غفوة طال
أمدّها ولم تنتبه إلا في هذه الساعة حيث استعادت ممرها وراحت
تفسر مأساتها وجفوة زوجها وتنكره لها بعد حب متين شملها
به وكان المفروض أن يحضر بعد أن علم بمولد ولده من شقيق أمانى
إذن قد صح عزمه على مقاطعتها للأبد ولا شك أنه كرها
يا لله .. أبهذه السرعة يتحول قلب الزوج المحب .. وهبها أخطأت
أليس في قلب الزوج مجالاً للتسامح والغفران بعد المعاشرة الطويلة

السعيدة التي أنالته خلا لها كل ما يرجو من حب وحنان وهناء.. لشد ما يؤلمها أن تكون بريئة ولا يترك لها مجالا لاثبات براعتها وان يتحول عنها بهذه السرعة وتلك السهولة ولما شعرت بأن الألم بلغ من نفسها مناله خافت أن تفسد لبنها فيمرض طفلها وطنت النفس على أن تتعزى بحب الصغير متناسية به والده الذي نسيها



هناك في الميدان كان يحارب (محمد) في طليعة المقاتلين وقد جمع القدر العجيب بينه وبين أهاب في صف واحد ووقفاجنبا إلى جنب وجلسا على روبة عالية تحت نور القمر الفضى البديع وانسرح كل منهما بخياله في آفاق دنياه المترامية الأبعاد ولم يدرك كل منهما أنهما اتحدا من حيث لا يشعران في التفكير وتطلعا نحو هدف واحد ..

محمد .. يفكر بلا شك في زوجه أمانى وهل في حياته سواها لقد أحبها الحب كله ولقد كانت إمامة الحب في ناظره .. ويعجب لخيانتها وما الذى حول صفاء نيتها إلى كذب ورياء ؟ وأى قوة حولت قلبها عنه وقد كان يظن أنها خلقت قلباً خفاقاً وفيماً أيباً ؟ وأى باعث دفعها إلى حب غيره مع أنه لم يتهاون فى اسعادها أو حبها ؟؟ ويحلل فسيولوجية الحب والتغير والملل والجفاء .. ويظن

أن بعباده الطويل عنها باعث تعلقها بغيره .. ويتجسم هذا الخاطر
حتى يصير حقيقة أكيدة فيحز في نفسه ويشعر بسكين حاد يخترق
قلبه .. وتبدو أمامه صورتها مكتتفة بالظلام الحالك فلا يتبين
جمالها ولا يفقه معانيها التي كانت تتجلى أبداً مرسومة على كل لمحة
من قسماتها الساحرة وتحولت من امرأة جميلة محبوبة إلى حية
رقطاء مخيفة .. ألم تخنه ؟ ألم تكذب عليه ؟ ألم تغرر به ؟ ألم
تهتك شرفه ؟

وأطرق مهموماً يفكر فيما يجب أن يفعله للتخلص منها
والانتقام لشرفه الذي عبثت به راضية !!

كان يفكر في ذلك بينا راح اهاب يرمقه من طرف خفي
ويحسده على السعادة التي ينعم بها والقلب الذي غنمه انه يكرهه
ويحقد عليه ويتمنى لو استطاع أن يحول بينه وبين أمانى لتكون
له وحده ويعجب لهذه الظاهرة العجيبة .. انه لم يكن احب أمانى
ذاك الحب الصحيح الصارخ يوم عرفها وكانت عاطفته سطحية
ترمى إلى التسلية واللهو .. فما باله اليوم يحن اليها ويتمناها زوجة
حبيبة ولو تطلب الأمر جهداً فوق مقدور الرجال .. آه لو كان في
مقدوره أن يختطفها ويعيش معها بعيداً عن هذا العالم .. وينظر
إلى زوجها من جديد فيلح بعض قطرات من الدمع تنهال على

خده في سكون فيشتد غيظه وحقده إذ يظن أن هذه الدموع دموع
الحنين والشوق والحب وأنه ولا شك يتصورها الآن بجانبه
تمنحه قبلا لها وتشعره بحبها .. انه الآن يتذوق من هذه الذكريات
حلاوة لا يمكنه هو أن يتصورها أو ينعم بها .. لأنه لم يتذوقها
ويرى عن بعد جنديا يمتطي جوادا يقترب منهما في عجمالة
فينبه صاحبه بصوت يشبه رنين الجرس الأجوف هذه رسالة لنا
بلا ريب

فينظر محمد إلى الجندي الذي اقترب منهما ويقول : ما وراءك؟
يناوله الجندي تلغرافا

على أثر قراءته يمتطي صهوة الجواد مخاطبا اهاب : يتحتم أن
أسافر الآن حالا لرسالة سرية فيبتسم — اهاب — ابتسامة
صفراء قائلا : الثقة بك موفورة .. خذني معك وسأجلس خلفك
لأنني شبه متعب وأحب ان أستريح قليلا قبل ميعاد المناورة فلم
يمنع محمد إلا أن الجندي اعترض قائلا : : إن هذا الحصان
جموح وخصوصا إذا ركبه اثنان والضابط اهاب يعرف ذلك
فقاطعه اهاب : سأعرف كيف أسوسه فدع قيادته لي ..
ولما ركبا شعر محمد في التو أن الحصان سيجمع بهما فقال :
يبدو أن زعم الجندي صحيح ..

فأنكر أهاب ذلك وسار به بهواده في بداءة الطريق ليطمئن
صاحبه ولحق محمد أن صديقه يسير في طريق وعر وأن هناك
ربوة عالية تستعرضهما فلفت نظر صاحبه وأشار عليه بتغيير الطريق
ولكنه لم يهتم وأكد له أنه سار في هذا الطريق أكثر من مرة
فقاطعه.. ولكن الطريق من هنا طويل وليس لدى وقت!!!
قال.. أبداً.. أطمئن.. وفجأة.. بالقرب من الربوة جمع بهما
الحصان، وسقط محمد على بعد أمتار بينما ظل أهاب ملتصقا بظهر
الجواد محاولاً تهدئته حتى هدأ وأنذر

وبعد لحظات كان جمع من الجنود والضباط يحملون جثة محمد
وأهاب بجانبه شاحب الوجه مرتبكاً يكاد يفقد وعيه

قال أركان حرب الفرقة مخاطباً أهاب — خير لك أن تستريح
الآن حتى تسترد طبيعتك وصحبه أحد رفقاءه إلى المعسكر

بحث أهاب عن محفظته فلم يجدها فارتعد وخامرتة وساوس
مخيفة لأنها تحمل بعض أسرار لواء كشفت كانت العاقبة وخيمة
تحامل على نفسه وركب صهوة جواده وأسرع يجتاز الطريق
الذي قطعه من قبل... وزاح يبحث في المكان الذي جمع فيه
الحصان فلم يعثر على أى أثر لها.. وبعد أن أوشك النهار أن
يتصرم أيقن أن بعض المارة عثر عليها وصح عزمه على أن يعلن

عن فقدھا مقررأ جائزة مالية مغرية لمن يقدمها له .. وكان التعب أخذ منه مأخذه فأن أعصابه تحطمت .. وأعماء صداع رأسه عن تبين الطريق السهل فسار وهو لا يدري في الطريق الوعر وكان الحصان متعبا من قبل فجمع به وانفقدته قواه لم يستطع مقاومة جموحه فسقط في عين ماء عميقة كانت محفورة للتزود من مائها عند الحاجة وقت المناورات الحربية

قال الضابط النوباتجي بعدمروره على المعسكر .. الضابط أهاب غير موجود .. وبعد البحث والاستقصاء .. قال أحد الجنود لقد أحضرت له الحصان في الصباح حيث خرج إلى الخلاء قال بعضهم .. لقد كان يشكو من صداع شديد وأخشى أن تكون صدمة الضابط محمد أثرت على أعصابه فخرج هاربا .. لأنه بطبيعة ملول مضطرب وقال آخر .. قد يكون في المستشفى عند المريض وقال ثالث .. فليذهب بعض الجنود للبحث عنه فإنه ليس من المعقول أن يهرب

وتفرق بعض الجنود باحثين عنه في الصحراء .. بعد مرور يومين من حادث محمد تنبه في فراشه بعد إجراء عملية جراحية في ذراعه وتنفس الطبيب الصعداء وقد بدأ يطمئن على نجاح العملية ثم قال .. الحمد لله .. الصدمة بسيطة جدا .. فاغتصب

محمد بسمة مريرة وغمغم .. الحمد لله .. الإنسان يموت في حياته عدة
مرات وهو عاجز عن تفهم فلسفة الموت والحياة .. وتهد ثم صمت ..
قال الطبيب للمريض أعطه منعشا بارداً ثم خرج
وهنا دخل أحد الجنود مخاطباً المريض .. إذا كانت حالة
الضابط تسمح له بقراءة رسالة حملها إليه البريد .. سلمها له وأبقيا
ريثما يستعيد قواه . .

فلم يمانع المريض وسلمه الرسالة
وعلى أثر قراءتها أغمض عينيه ليفكر .. ثم فتحها وعاد يقرأ
عزيزى محمد افندى

بعد التحية

مر على سفرك سبعة شهور لم تكتب إلينا خلاها كلمة واحدة
وقد أخبرتك بميلاد ولدك فلم تأبه الأمر ولما كان من العسير التفاهم
معك على حل مرضى أرى أن تطلق أختى بناء على رغبتها لتنسى
ما ألم بها بسببك ولتسترد هدوء بالها وطمأنينة نفسها ولا أحب أن
يتدخل بيننا وبينك القانون لذا أرجوك بمجرد وصول هذا أن
ترسل إليها ورقة الطلاق أو تكتب إلينا برغبتك أما ولدك فهو لنا ولك
ولك تحياتى
أخيك — أمين

وفكر محمد من جديد .. أيقبل عودتها إليه بعد أن هتكت
شرفه أم يطلقها ... ألا مناص من هذا أو ذاك ... أنه يحتقرها
فلو طلقها ستذهب لتزوج عشيقها بينما يعيش هو على اكتاف
هذه المهانة للأبد ... آه .. ليته مات واستراح .. ولو أعادها
إلى كنفه فلن ينسى زلتها وسيرها أبداً مشوهة غير جذيرة بحبه
وحمل اسمه .

وقام نضال عنيف بين الحب والشك وبين الواجب والشرف
حبه يريد أن يستبقيها وشكه يدفعه لتركها وواجبه يحتم عليه
أن يربي ولده لينشأ في كنفه قوياً شهماً حتى يصير بطلاً أو عظيماً
وشرفه يهون عليه ذلك ويسهل له ما يصعب عليه القيام به

وهكذا قضى يومه وليله تناوشه الخواطر وتلاعب به الهواجس
حتى رجحت كفة الشرف وتلاشى الحب وراء ضباب الشك والأوهام
ولم يكديطلع صباح اليوم التالي ... حتى كتب إلى أخيها يعتذر
له عن جفوته التي أضطر إليها تحت تأثير ما يعانيه من آلام
مبرحة بسبب تصرف أخته ويعترف له في صراحة أنه طلقها منذ
هذا التاريخ ويستطيع أن يعتبر هذا التصريح كطلاق فعلي ريثما
يحضر ويرسل لها ورقتها .. ثم يشرح له الضرورة الملحة التي حملته
إلى هذا التصرف راجياً أن تعنى بولده ريثما يعود ويأخذ على عاتقه

رعايته وتربيته

الحزن

وبعد أن أرسل لها الخلاف .. انتابته حمى من فرط ما عاناه
كأن أعصابه احترقت من تأثير تفكيره المبرح
وظل تحت وطأة الحمى بعض أسابيع حتى خاف عليه الأطباء
وأمروا بنقله إلى مستشفى الجيش في بلده حتى يكون قريبا من أهله
إذا مات



هل كان في وسع أماني أن تخرج على رغبة أمها .. لقد خرجت
على إرادتها يوم منعتها من الزواج بمحمد .. وهما هي العاقبة وخيمة
وكأن القدر وقف بجانب أمها .. فكان جزاء التضحية عقوبا
وجحودا ... قد منحته نفسها وحياتها وما لها فهل قدر هذا البذل
وحفظ جمياها؟! لقد تزوجته وهو لا يملك من حياته غير أنفاسه
واليوم يطلقها بعد أن أصبح يملك كل شيء؟؟
حز ذلك في نفسها فبكّت طويلا وكثيرا وراحت تفكر في
مصير ابنها بعد هذا الطلاق فروعها المستقبل الغامض ثم استسلمت
لخاوف القدر الجائر

هاهو ابنها بين يديها يجاوبها الأسى ببيكائه والفرحة ببسمته
ولا يدري ماذا يخبئه له القوي

مسكينة الأم هي وحدها التي تتحمل مسئولية أبنائها منذ ولادتهم
وحظها من الحياة كحظ الزهر في يوم عبوس ماطر
إنها لا تملك غير عواطفها ويالها من كنز عزيز ثمين ولكنها
لا تجرى فتىلاً في هذه الحياة المليئة بالمطامع
أيمكن أن تكفي عواطفها لسد مطالب ولدها واشباعه ووريه؟
أيمكن أن يقنع بها من دون الرغبات والمطامع؟ سيغدو بعد
حين شاباً يافعاً يرجو ويطمع أبداً ..

وأخرجها الطفل من تفكيرها ببسمته ونغخته مشيراً بيده على
نديها لكي يرضع ..

اليوم يقنع بقليل من اللبن .. وغداً يتطلب ما يغذى الشباب
والقوة فما عساها تفعل وقت ذاك ... وقد صرفت كل ماتملكه
في سبيل والده يوم مرض لكي يعيش ... وهاهو عاش ... وقد
تنحى عن واجبه فيأله من جزاء !!



استعاد (محمد) عافيته واستطاع أن يتحرك في نشاط
وقوة .. وتقرر خروجه من المستشفى .. فلما حانت ساعة ترك
المستشفى سلمه الممرض ملابسه الخاصة ومحفظته ..
الملابس له .. والمحفظة ليست له .. ولكن الممرض يقول له
أنها وجدت ملقاة في الطريق يوم الحادث ..

فلما اختلى بنفسه فتحها ليعرف من بعض أوراقها من صاحبها
الأكيد لكي يسلمها إليه ورأى ذلك أفضل من ردها
ولشد ما كانت دهشته عندما وجد بها صورة لأمانى أخذت لها
وهى سائرة فى الطريق وقد فهم من اتجاه الصورة انها اخذت فى
غفلتها ودون عليها .. ثم مسودة رسالة موجهة إلى امانى .. اغلب
الظن انه كتبها ولم يرسلها بعد وقد جاء فيها
أمانى :

أعرفت كيف ينتقم الحب المقهور لنفسه ؟ . اما زلت مصرعة
على الهجر ؟ .. انى انتحرت فى بطن ..
لن يهدأ بالى حتى انالك وتكونى لى وحدى لم اعد اطبق رؤية
زوجك غريمى .. ان وجهه يحرك جنونى وقد يدفعنى للجريمة من
حيث لا ادرى

والذى اعجب له انه لم يعديقبل اى اجازة تمنح له .. لقد كرمك
وملك ولا شك انه تركك على اثر حادث انتقامى واغلب ظنى انه
تحول عنك فطالما رأيت يقرأ رسائل غرامية مكتوبة بخط نسوى
وقد تحريرت حتى عرفت انه يحب امرأة اخرى من الرسائل التى يعثرها
مسكينة انت .. تعذبى نفسك وتصدى من يحبك من أجل زوج
خائن ..

طوى الرسالة فى بطنه ووضعها فى محفظته وقد انتابته شتى
الهواجس وراح يغمغم كالجنون ... امانى .. امانى
وخرج مسرعا دون ان يترك فرصة لتهنئة اى كائن وبوده
لو استطاع ان يطير فى طائرة او على جناحى طائر
وعلى غير ارتقاب طرق باب منزل امانى .
وصعقت امانى اذ رآته امامها

اطرقت لتخفى اضطرابها بينما تقدم هو فى لهفة ليختطف ابنه
من بين يديها فى لهفه وقد راح يقبله فى جنون كانه ينفس عن
اساه بوساطة قبلاته واخيرا جلس قبالتها ونظر إليها طويلا ثم
قال : طبعاً علمت بحادث صديقى — اهاب — لقد كان المفروض
ان اموت .. ولكن الله غير مجرى الحوادث ... اى ابقى فى اجلى
بقية ... ولعل ذلك من اجل ولدى

فلم تتكلم وتركتة فى مكانه وخرجت لتجفف مدامعها
فلحق بها وقال بصوت اشبه بالهمس امن اجل اهاب تبكين؟
فظلت صامتة ... وقد تلاعبت بها شتى الوسوس البغيضة
وادركت انه لا بد قدا كتشف حقيقة الأمر من اهاب
وارتعدت فرائصها وخافت ان تفضحها دموعها فتركتة وعادت
لغرفتها فتبعها وهو يتكلف بسمة مرة قائلا ... إلى هذا الحد اصبح

وجهمى بغيضاً .. ثم أخرج الرسالة وناولها إياها قائلاً .. اقرئى .
فقرأتها فى اضطراب ثم ناولتها إليه قائلة . حسبى أن تظهر براءتى
قال : ولكن يجب أن أعرف ملخص القصة — على الأقل —

قالت : لم يعد بيننا ما يحملنى على المصارحة
قال : ولكنك أم ولدى ويجب أن اطمئن إلى طهرها ..
فتجلى الالتئاع فى عينيها وغمغمت .. ظننى ماشئت من الظنون
فلم أعد راغبة فى ترضيتك أو العيش معك .. لقد كنت لك يوم
كنت فى حاجة إلى قلب ومال .. فلما استطعت أن تكفل نفسك
نبذتنى .. واليوم دعنى أبادلك عقوقا بعقوق وجحودا بجحود
وكراهية بكرهية

كانت تتكلم وكأنها تقطع الألفاظ من قلبها وتستخلص
الحروف من خلاصة روحها المعذبة المظلومة .. فتحرك قلبه وشعر
أن يدا خفية قوية تحاول أن تخنقه فاقترب منها قائلاً بصوت هادئ
ينم عن الرضا .. أمانى .. أنت تعرفين جيداً كم أحبتك فهل تنكرين
غيرة وجنون الزوج المحب .

قالت : وما فائدة القلب إذا تخلى عنه العقل ياسيدى .. أنا
أحب الرجل بقلبه وعقله .. فان مات أحدهما لم يعد أهلاً لحبى .
قال : أهاب كان يحبك

فصمت

قال : فتى أحبك وأظهر لك هذا الحب .. أظن منذ حضر مع
زوجه .. قولي الحق

قالت : لا والله .. لقد أحبنى قبل أن أتزوجك وقبل أن
اعرف أنك راغب في

فارتنى على المقعد في أعياء وهو يغمغم إذن خدعني طوال هذه
المدة ولماذا لم تصارحني بذلك

قالت : كنت واثقة من قدرتي على حفظ شرفك فكتمت
عنك الأمر لكي لا أثير في نفسك ما يقلق بالك .

وهنا دخل شقيقها أمين

فصاحفه في جفاء ثم قال . لقد جئت في الوقت المناسب . أظن
من الأوفق أن نستدعي المأذون هنا بدل أن تذهب إليه

فنظر إليه محمد باسما في هدوء وقال لم ؟

قالت : طبعاً نعرف لماذا

قال : لا مانع دعه يحضر حالا

وخرج أمين فلزما الصمت والطفل بينهما يبسم ويلعب دون

أن يحول وجهه عن أمه

قال محمد : ان الولد لا ينظر إلى كانه لا يشعر أنى أياه

قالت : لانه بفطرته يشعر بكل شىء

قال : ولكنه ابنى

قالت : البنوة لا تعترف بالأبوة والأمومة إلا بالحنو والحب

قال : كأنك تعمدت ان يحبك وحدك

قالت : وقعت بهذا الحب .. أنه مغنى وحبى

قال : وقلبك

قالت : له

قال : وأنا

قالت : تنحى عنك يوم تخليت عنه

قال : ظلمتنى

قالت : وأنت أو لم تظلمنى يوم ظننت بى السوء ولم تدع لى

فرصة للدفاع عن نفسى !!!

وهنا دخل أمين قائلا .. لقد حضر المأذون

فسارع محمد إليه وبعد أن حياه قال — لقد كنت بعثت رسالة

إلى شقيق زوجى وأنا مريض محموم فاقد الوعي أعترف فيها بأننى

طلقت فيها زوجى فهل يعتبر ذلك طلاقا

قال المأذون : لأنك كنت فاقد الوعي لا يصح قبول الاعتراف
ولكن هل الزوجة تعترف بفقد وعيك وحسن نيتك
فقطاعه محمد : ان الرسالة كتبت بيد عاقل سليم التفكير
قال المأذون : إذن تعتبر طلاقا

قال محمد : أرجو رد اليمين

وهرول أمين إلى أخته ليسألها رأيها
فوجدتها صامئة تعانق ولدها في حرارة وتبكي .. وخشع أمين
أمام مشهد الحنان فسكت وظل ثابتا في مكانه حتى عاد محمد وتقدم
إلى أمانى ليطوقها بذراعيه مقبلا وجهها في شوق وحنان دون كلام
وقد امتزجت دموعهما

ولكن الصغير يرقبهما باسما ويحرك يديه كأنه يصفق تهايلا
وترحيبا مهنئا أمه وأبيه

ولما هدا قال — لزوجته — هذه محفظة اهاب • بداخلها بعض
أوراق مالية وهذا الخطاب وصورتك فما العمل

قالت : ارسلها إليه مسجلة مع الصورة ولا تشعره بأنك كشفت
أمره لكي لا تفقد ثقته فيك فقد تحتاج إليها يوما
مرت السنون في طي القدر مسرعة وكأنها إلى محط النهار

قطر تستبق واستقر (محمد) أخيراً بعد أن وصل إلى رتبة
البيكباشي في أسيوط بالأورطة الثامنة وقد عاد إلى حياة الهدوء
والطمأنينة سعيداً بزوجته وأولاده لا يشوب دنياه أي شائبة ولا
يعكر صفو حياته أي مكدر ولم يعد أي أثر للماضي الأليم في ذهنه
أو ذهن زوجته

واستطاعت أمانى خلال هذه الأعوام أن تنشئ أسرة كاملة
بعقليتها ولباقتها وعلى غير ارتقاب زارتها صاحبها — تماضر —
بعد أن انقطعت عنها أخبارها منذ تزوجت وقد فرحت أمانى بهذا
اللقاء بعد هذه الغيبة الطويلة وسرها أن ترى إحدى رفيقات صباها
قالت تماضر بعد أن كشفت عن مدى شوقها إليها وسرورها
عندما علمت بوجودها في أسيوط — لم أرك منذ افترقنا في زيارة
لك وقد دار الفلك وطوى من حياة كل منا دورة فزوجت أنت
وقد دار بك الفلك صاعداً حتى استقر حيث رغب لك حظك
السعيد لأنك بهما جدرة ودار الفلك بي هابطاً فمات أبي ، وماتت
أمي وكفاني عمي ثم كفلتني عمتي .. ولكم عانيت من الشقاء
والعذاب .. وأخيراً ابتسم القدر وجمع بيني وبين أخ لي لم أكن أعرفه
فتألمت أمانى لها وقاطعتها .. ليس لنا في أنفسنا حيلة وسوف
يعوض الله صبرك خيراً .. ولكن كيف يكون لك أخ ولا تعرفيه ؟

فأجابتها تماضر : لهذا الأخ حكاية غريبة هي أغلوطة من أغاليط
التقاليد الغاشمة لقد ولده زواج غير مشروع كما يقولون ، لمحت أُمي
أن الخادم حامل نخافت وطردها ... ولكن الخادم تصدت رغبته
وصارحتها بأن سيدما هو الجاني ، فلم تستمع إليها لأن أبي أنكر
هذا الأثم ، شفع الجاه لأبي فلم يصدق الناس دعوى المرأة وعجز الفقر
عن الشفاعة إليها فلم يصن حرمة الفتاة المنكوبة أو يرد لها حقها
ولم يدر بخلد أُمي البريئة أن رجلا كآبي عظيما شريفاً يسقط
أو يخطئ وهو الذي يستنكر كل عبث ويحرم عليها وعلى نفسه التمتع
بملاهي الحياة .. لم تستطع أن تصدق الخادم عندما قالت أنه أغراها
وافهمها انه سيتزوجها لأنها تعودت ان تراه حريصاً على الفضيلة
والشرف ... واعتقدت أن الخادم ارتكبت الأثم مع خادم مثلها
اذ لا يمكن أن ينزل أبي عن مستواه الرفيع إلى مستوى خادم
حقير وفاتها ان هناك أشياء تظل في النفس دفينه لا يكشف عنها
غير الأفعال النفساني والتأثير الغريزي

كان من الطبيعي أن تلجأ المرأة الى القانون ليحمي الطفل الوليد
بعد أن صعب عليها حمايته ولما علم والدي خاف ان يفتضح امره
فيفقد سمعته وكرامته — هنا لجأ إلى الحيلة حتى استطاع ان يشتري
الطفل من المرأة بالمال ليتعهد ويربيه تربية تليق باسمه ... وفي

الواقع كان أبي حساسا رحيما أعدلا بفطرته .. لذا حاول ان يجمع بين سمعته وعواطفه ومراعاة التقاليد المرعية وتنازلت ام الصغير عنه لقاء تربيته تربية عالية واملا في السعادة ، وعهد ابي به الى مربية بدعوى انه ابن اخيه المتوفى ولما بلغ السابعة من عمره ادخله مدرسة داخلية وتعهده بالرعاية الكاملة ولما اتم الصبي دراسته الثانوية ارسله الى انجلترا ليتخصص في الطب ... وقد اولاه بحبانه وعطفه وحبه بعد ان اخبره ان امه ماتت عقب ولادته مباشرة ... وحرص على الا تعرف الام مقره منذ تسليه منها لكي لا يفتضح امره وسكنت لحظة لتجفف دموعها وتسترد انفاسها بينا قالت امانى ، وكيف عرفت هذه القصة

فأردفت تهاضر : عند احتضار ابي صار حنا بهذه الحقيقة واوصانا ان نكتب له لكي يعلم مقرنا واوصى امى ان تكون له اما وان اكون له اختا وقد منحه حقه المشروع في تركته ... ولم اكداسترد هدوء نفسى حتى توفيت امى فعزاني من الهم والبؤس لفقداهما اسلمنى الى الحزن الشديد .. النهاية .. لا اطيل عليك .. حضر اخيرا وكنت دائبة على مراسلته منذ توفى ابي ... فحضر الى واخذنى معه .. وهو اليوم طبيب فى المستشفى هنا ...

وهنا قاطعتها امانى .. الحمد لله على كل حال .. وكيف عرفت

أنى هنا؟

تماضر — زوجك صديق أخى .. وقد أخبرنى البارحة أنه
سيتأخر اليوم مساءً عند صديق له .. فلما ذكر اسم زوجك
تذكرتك وحضرت لزيارتك لأننى مشوقة اليك .. وعندما
تذكرتك البارحة .. تذكرت الماضى الجميل رغم الأوهام التى
تعلقت بها ردحاً من الزمن ظناً منى أنها أسعد الأحلام .. لكم
نخطىء ونحن فى غيبوبة سحرية تحت تأثير منوم عجيب يسمونه
الحب ... لا أكتملك يا أمانى أن نظرتى تغيرت تغيراً مطلقاً
وتماضر المرحلة ماتت يوم ماتت أمى وعدت اليوم أخت جد
وفكر ، آه لظالما نصحتنى يا أمانى ، وقد صعب على يومئذ أن
أفهم فلسفتك .. ولكن التجارب نقشتها على صفحة ذهنى بحروف
من نار .. أجل يا أمانى ، لقد كذبتك يوم قلت ، على المرأة أن
تحذر الرجل أبداً ولو أقام لها فى محراب الحب صلاة واتخذها
من دون الله إلهاً .. وعرفت أخيراً أن الفضيلة والريضة لا ينتميان
إلى العقل والشرعية كما يقولون .. إنما الفضيلة نور يغمر القلب
فيهدي صاحبه والريضة ظلام دامس يحجب عنه الهدى فيضل
ويشقى ؛ لقد كان قلبى مظلماً يوم ظننت أن حياتى لا قيمة لها
بغير — اهاب — أما الآن فقد تبدد الظلام وتلاشى الضباب

ورأيت الحياة على حقيقتها .. قيمتها .. فى قلبى أنا ، وإيمانى أنا
وفكرى أنا .. لا فى غيرى ..

ارتاحت أمانى لمنطق تهاضر فابتسمت راضية قائلة : ما أجل
فلسفتك يا عزيزتى .. حقاً يا تهاضر .. إن الإنسان لا يمكن أن
يفهم حقيقة الشيء إلا إذا لمسهُ وتعذب من أجله وتألم .. لطالما
قلت لك ذلك فلم تصدقينى .. وقد أعيانى تحويل فكرى يومئذ ..
على أننى كنت واثقة من أنك سوف تهتدين لعلنى أن الحقيقة لا
تأتى من فوق المنابر أو ترسم بالحروف والألوان .. إنما هى وحي
يتنزل على المرء من غفلة من نفسه الطائرة .. الغنى لا يقدر مجاعة
الفقير إلا إذا جاع لذلك فرض الله الصيام .. والمتكبر المغرور
لا يعرف راحة التواضع إلا إذا خضع لذلك كان فرض الصلاة
وهكذا وضع الله جميع شرائعه السماوية لحكمة إنسانية عالية
ولمنفعة البشر ..

وسكنت أمانى .. لتستمع إلى صاحبها التى بان الألم فى
مقلتيها شعاعاً .. قائلة بصوت خفيض متقطع : لقد خرجت من
دنيا — اهاب — أحمل قلباً قوياً فيه من الإيمان ما يسخر بكل
الآوهام .. هل علمت أنه تزوج بفتاة غنية .. ليصرف مالها على
ملاذه الوضيعة

فقالت أمانى فى تخسر : أجل علمت ورأيت زوجه .. أنها
طيبة القلب جداً يا تماضر ..

فأردفت تماضر فى تألم : تعرفين أنه كان خطبنى إلى نفسه ثم
هجرنى عند ما صارحته بأن يعمل عملاً حاسماً .. نتزوج أو نفترق ..
آه كيف أصور لك هذا الحيوان الذى خلق فى صورة آدمى
لينتسب إلى البشر ..

وليته وقف عند هذا الحد .. فترك ضحاياه يتنسمن نسيم
الأم بل يعمل على موتهم ووأدهن بمكائده .. خطبنى رجل
قبل وفاة والدى .. فلما علم .. اتصل به وأفهمه أننى فتاة مستهتره
لا تليق به وظل به يوسوس كالشيطان فى صدره وخطب اليه
إحدى قريباته .. وقد انتقم الله من ذاك الخطيب حيث لم يوفق
فى زواجه ولو أنه تزوجنى فى ذلك الحين .. لوجدنى زوجة مطيعة
مخالصة لأننى كنت مشوقة إلى التكفير عن طيشى بحب رجل
أخلص له وأشاركه الحياة وأكون له مثلاً أعلى للزوجة الصالحة
ولكن بما يؤسف له أن كل رجل يريد أن يتزوج بامرأة
كالملاك لا تعرف من دنياها غير أضواء السماء أو كالطفل الرضيع
خرج من بطن أمه ليدخل بيت أهله ... ناسياً ... أنه لابد من
اجتياز طريق الحياة الذى يبدأ من الميلاد إلى ساعة الزواج

وليس بلاء المرأة فيمن يعرفها أو فيمن تعرفه إنما بلاءها فيما
يصيبها من كوارث الحياة... قد تعرف المرأة ألف رجل ولاكنهم
يمرون في طريقها مرأ عابراً دون ان يلتفت قلبها لواحد منهم...
وقد تحجب المرأة خلف ستار كفيف... وهممة من صوتها
تفعل فعلها في الحياة... ثم صمتت لتبكي بقلب حزين... فعطفت
عليها امانى قائلة: اسدلى الستار على ماضيك كأنه لم يحدث ووطدى
نفسك على امل التفاؤل البهيج ولا تحزنى على ما مر بك من
عذاب فيعوضك الله خيراً وثقى بأن الخير فيما يريد الله وصمتت
— تماضر — ملياً ثم قالت...

ترى كيف يعيش مع زوجه إن مثله لا يمكن ان يقنع بامرأة
واحدة

فتنهدت — امانى — وقالت... مسكينة لقد طلقها وراحت
ضحية آه، ليتنى ادرى اين هى... حاولت ان اعرف مقرها فلم اهتد
وفى هذه اللحظة عاد زوجها من الخارج ونادى عليها... فلما
خرجت اليه... قال... اترغبين فى الذهاب الى المسرح اليوم...
لسماع مطربة جديدة تسمى — نجلوى — فلم تمانع وعرضت على
تماضر — مرافقتها فقبلت...

وعند ما حان الميعاد ورفع الستار وبدأت المطربة تغنى

غنى يا طير غن
قد نذرت اليوم حبي
فابعث اللحن خيالا
واجعل النغم ظللا
وابعث اللحن المشير
لشذى الزهر النضير
من ترانيم الهدير
فوق امواج الغدير

هاتها يا طير نفس
فشيق القلب شجن
انت يا طير حبيبي
انت يا طير عزائي
انت يا طير عذيري
حسبها نار السعير
مثله نار الزفير
وصداى المستجير
وحديثى المستنير
دمت يا نعم العذير

يا الله ... أيمكن أن تكون هي ... لم تملك - أمانى - شعورها
حينما صرخت بصوت مخنوق حاولت كتمانها ... سمية ... هي
سمية بالتأكيد

ولما نزل الستار ... قالت لتماضر ... لا يمكن أن أكذب عيني
ولا مسمعى هي تماما ... رغم التغير الذى طرأ عليها ... فقالت
تماضر ... يمكن التأكد ... ارسلنى خادمك اليها الآن ليخبرها
أنك تريدن مقابلتها ... فارتاحت أمانى لهذه الفكرة وأرسلت
اليها خادمها ...

وسرعان ما عاد الخادم يدعوها لمقابلتها لأنها تخشى جمهرة

المتفرجين إذا جاءت إليها

وكانت حرارة اللقاء طويلة كأمد فراق المشتاقين وتهللت
أمانى طرباً رغم الدموع التى ذرفت بها مجاوبة دموع سمية التى انهالت
على وجهها وقت العناق وهمست أمانى فى حذر : معذرة ... أظن
يجب أن أناديك منذ الآن بنجلتك.

فقال سمية : وقد طفرت من عينيها دمعة ، بل يحلولى أن
أسمع اسمى منك وحدك لأستعيد ذكرى طفولتى البريئة الحلوة ..
يقبل عليها أحد الخدم .. ليعان بدم (الوصلة الثانية) ..
فتصافح - أمانى - قائلة : متى أراك ؟

أمانى - سأنتظرك لى تحضرى معى ... ولم تدع لها مجالا
لرفض او القبول لأنها خرجت مسرعة ...

ولما عادت إلى مكانها .. تنفست الصعداء مغمغمة .. هى ..
سمية .. وبدأت تستعرض حياتها الأولى لتقارن بين ماضيها
وحاضرها .. كل شىء تغير فيها .. نظراتها الضاحكة أصبحت
حاملة دأمة وابتسامتها الطليقة .. تحولت إلى مرارة مر تسمة على
شفتيها ، وصوتها العذب الرقراق أصبح نغماً شجياً فيه انين وبكاء ..
وجسمها الغض الملى أصبح هزىلا ووجهها المتردد كساة الشحوب ..
مسكينة ... تغنى لتطرب الناس وفى قلبها مآتم إنسانية تنتحب ...

لها الله ...

وفي نهاية السهرة ... صحبتها إلى منزلها وقد حرصت على عدم إثارة الماضي لكي لا تؤلمها ولا -كن -سمية- لم تكلفها مشقة الخرص على الكلفة ترضية لها وراحت تحدثها بأسلوب فكه بعيد عن ذكرى الماضي وكائناتها وليدة حاضرها متعمدة الا تذكر - اهاب - بخير او شر كائناتها لم تتزوج ولم تعيش معه ردحاً من الزمن مظهرة عدم احتفالها بالحياة ، تعيش لتقضى الأيام التي قدر عليها ان تحياها على ظهر هذه البسيطة على اية صورة .. وكان المفروض ان تعود مع فرقتهما في الصباح و-كن امانى تشبثت بها والحت في الرجاء حتى قبلت ان تتخلف وتقضى معها بعض ايام .. وخلال هذه المدة تحدثت اليها في صراحة عما قاسته من عناء وعذاب بعد ان تخلى عنها - اهاب - في ندالة عند ما فهم أن والدها حرّمها من الميراث .. ولقد حاولت جهداً ان تطالب بحقوقها و-كن صعب عليها لأن ابن عمها الوصى عليها قامر حتى استدان فاضطر ان يرهن كل ما استحققه من الإرث واخيراً نصح لها احد معارفها باتخاذ الغناء حرفة ما دام صوتها جميلاً وكانت في حاجة ماسة إلى المال فلم تمانع .. ولم تلبث حتى اشتهرت واستطاعت ان تطالب بحقوقها .. وما زالت القضية في طريقها

وعادت بهما الذكرى إلى الماضي ، فقالت - سمية - ان المرأة تغتر للرجل كل شى إلا خيانتة .. وافهمتها انها لم تذكره - اهاب - اخيراً إلا عندا كتشفت انه احب سواها .. وقالت فيما قالت ايضا .. ان المرأة لا يصلها بزوجه غير صلة اجتماعية شرعية ومهما قويت فهي محدودة ، يدنى المرأة من الرجل كلمة تجعلهما زوجين وتقصيهما عنه كلمة تفرق بينهما إلى الأبد فتنسى وجوده كأنه لم يكن وقد تتزوج غيره فتعيش معه كما عاشت مع الاول ، عيشة آلية محضنة لا يحفها الأنس والبهجة إلا إذا صحبهما الحب ..

عكس الصلة التى تحدث بين رجل وامرأة متحابين ... هذه الصلة العاطفية لا تززعها الصدمات ولا تميتها النكبات .. فنحن نرى ان المرأة عند ما تحب تخضع لحبيبها خضوعاً مطلقاً غير شاعرة بذلها واهانتها باذلة حياتها فى سبيل مرضاته وسعادته .. بينا الزوج - إذا كانت لا تحب زوجها - تضمن عليه بكل شىء وتعجز صلة الزواج عن ترويضها واخضاعها وتؤكد امانى صحة نظرية سمية وتزيد عليها بأن العاطفة النبيلة هى الوتد الأساسى فى جميع شئون الحياة وليست المشكلة فى قوة العاطفة او ضعفها وقدرتها او عجزها .. انما المشكلة فى وجود هذه العاطفة !! وبقينا انها لا توجد إلا فى القلوب العامرة بالايمان البعيدة عن الاغراض الوضيعه فكل عاطفة

تولدها غاية تموت بمجرد تحقيق هذه الغاية .. فالرجل إذا احب
امرأة لجمالها او لمالها .. ضعف الحب وقد يتلاشى اذا نال وطره من
من غايته . ~~ليكن~~ اذا احبها للحب لا يمكن ان يملها ويكرهها ابداً
وكان يستمع اليهما — شقيق امانى — امين — ولم يشأ ان يتكلم
ليترك لهما مجال الحرية والصراحة حتى يتعرف على خفايا صدر
المرأة وكان مولعا باستجلاء كل غامض !!

وبدأ ينظر الى — سمية — نظرة جديدة عندما سمع رأيها عن
الحب والرجل وتحولت نظرته من النظرة السطحية المجردة من
الاحساس الى نظرة فاحصة عميقة مليئة بالشعور ولم يعد ينظر إليها
مجرد انثى تطرب الأسماع بل راح ينظر إليها كامرأة حية تدخر
في قلبها أسرى العواطف الانسانية ومنذ هذه اللحظة أيضاً بدأ يفهم
حقيقة قلبها الكبير متصلاً بروحها دون ان يعبأ بهيكلها البشرى
كثيراً ولم يحاول ان يتجنب إليها صناعة كما يفعل الشباب الذى يتطلع
الى هياكل الدمى فى المعارض حيث كان يدين بحب الروح وتذوق
معانى الجمال العلوى معتقداً ان للروح جاذبية تكسب الجسم جلالاً
ورقة ونورا ولطالما بحث عن ذلك الجمال الروحى فى كل مكان فلم
يعثر على ضالته المنشودة ؛ كان يرى الحسان رغم جمالهن الظاهر اشبه
بالتماثيل التى تحرکہا الميكانيكا بنظام خاص ابتدعه يد الصناعة الماهرة

وأسمته خفة ورشاقة

كانت روحه تبحث دائماً عن الجمال الذى مزجته الفتنة بنور
السحر والرقعة ذلك الجمال الذى يفرض وجوده على الرأى كأنه
شعلة وضياء تجذب النظر قهراً دون وعى

وتعلقه الشديد بذلك الجمال اللامرئى ملك عليه حسه إلى حد بعث
فى نفسه القدرة على ضبط حواسه وامتلاك زمام عواطفه حتى اتهمه
الجنس اللطيف بالخشونة والصلاف الذميم وفسرن حرصه بالجمود
الثقيل وكان يعرف ذلك مما يترامى إلى مسمعيه من أفواه الخيشات
منهن ولكنه لم يأبه قانعا بخياله الجميل المحبب يقيم له صلاة الحب
فى محراب خياله على ضوء التمنى

وظل هكذا قانعا بالحرمان راجيا أن يحقق الله أمله المنشود
حتى رأى - سمي - عند أخته وكان فى ضيافتها وكان على علم بقصتها
من أخته. رآها فرأى خياله الحبيب تجسم إلى حقيقته فيها ولمح فيها
كل ما كان يشتهي فى عروس أحلامه ولما كانت - سمي - لم تعد
تحفل بالرجال أو تحاول أن تتعلق بواحد منهم فقد اصطدم فى بداءة
الامر لجمودها ولكنه لم يلبث أن فسر به الركون العاطفى الذى
جاء رد فعل لعاطفتها القوية المتهورة لذا تعهدا باللين والعطف
والحنان فى جو التفاهم متعمدا أن ييث فى صدرها آراؤه السديدة

وأفكاره الصائبة التي تهيئها لحياة طيبة هادئة آمنة مستعينا عليها
بطبيعتها السمحة ولم تكذب نمر بعض أيام حتى كانت ألقت مجالسته
ومسامرته وقد استطاعت أن تبادله فكرا بفكر ورأيا برأى

وشعر أنه أحبها حباً صادقاً عميقاً ولكنه خاف أن يصارحها
بهواه فتجرح ككبريائه أو تهتك كرامته أو ترده مقهوراً .. لذا
فضل أن يكتفم هواه حرصاً على رجولته وصبر على جوى وانتوى
أن يطلب يدها عن طريق أخته وفي اليوم الذي تأهب فيه لمحادثة
أخته جاءت رسالة أحزنته وبعثت في نفسه الهم والأسى لذا اضطرب
أن يعدل عن فكرة الزواج من سمية إلى حين ولكي لا يفضحه
ألمه حبس نفسه في الغرفة التي أعدتها له أخته مدة اقامته

ولأول مرة تشعر — سمية — بخلو المكان منه وتحس بفراغ
هائل لعدم وجوده وتعجب لانفراده بنفسه بعد أن كان يتبعها
في كل مكان تكون فيه ودخلت عليه لتسأل عنه خوفاً من أن
يكون منحرف المزاج متسائلة عن سبب جنوحه للعزلة ولم يكذب
يرها حتى تكلف البشر وانطلق وجهه وقال .. لا شيء .. فقط أشعر
بانحراف بسيط .. وقبل أن يتمم كلامه ظهر القلق على وجهها
وغمغمت

قل الحق ماذا بك ؟

فصمت مليا فى حيرة إذ لم يكن يشعر بأى تعب .. وصعب
عليه أن يكذب عليها لذا اضطر أن يقول أزمة نفسية .. أرجو
أن تزول قريبا

قالت : لسبب ما ...

قال : أحيانا يضيق الإنسان بنفسه دون سبب
قالت .. لا أظنك سوداوى المزاج ... ولا أخالك تكتم على
أمرا وأنا كأختك تماما ..

قال : مادمت تقبلين أخوتى — إذن — اسمعى .. فوجئت اليوم
بخسارة مادية فادحة كنت أقدمت على المضاربة فى البورصة طمعا
فى ربح اعتزمت أن أعمل به مشروعا زراعيا لو تم لأدر على الفلاح
خييراً وفيراً.

فقاطعته : وأنت ؟ ألا يدر عليك ربها ؟

فأجابها وهو يبتسم فى صراحة أنا مطمئن إلى دنياى . قانع
بحياتى على هذا الوجه المرضى ، أما الفلاح .. هذا الانسان المسكين
الذى يكاد طوال النهار وشترا من الليل فى عمل شاق مرهق لقاء
كسرة من الخبز وقطعة من الثياب

اننا نستقطر دمه ونستنفد قوته ونمتص حياته كما تمتص النحلة

مجاحة الزهر وعصارة الثمر ... تم نبخل عليه بما يعينه على مواصلة
الكفاح ومتابعة الجهد ومقاومة المرض والجوع بودى لو أستطيع
أن أصرخ فى أذن الزمان صرخة مجلجلة داوية يهتز لها قلب الإنسانية
فتثور القلوب الأبية ثورة ترد الحق إلى نصابه لاطمة بيدها العاذلة
وجه كل فرد جشع جائر !!!..

آه : متى ترد العدالة للفلاح حقوقه .. ذلك الفرد الإنسانى
الذى قدم نفسه قربانا على مذبح الحياة ، كم أتألم لذلك الفلاح الذى
يعيش كحيوان خاضع للقوة الغاشمة فى مذلة وعبودية مريعة ليسترد
أنفاسه فلما سكت قالت — سمية — كيف يعطف القادر على الضعيف
وهو يعيش بمعزل عنه لا يلبس بؤسه ولا يتذوق شقاءه ولا يفهم
مدى بلاءه ولا ينظر مصابه ولا يشعر بحرمانه ومجاعته ولم يتألم
بعلمه وأمراضه

اسكت يا أخى اسكت ، الحياة للقوى أبدا .. أما الضعيف فعليه
أن يموت بطاعة خنجر من الخلف بيد القوى القادر فأين القانون
الذى يحمى الفلاح البئيس من سطوة المالك القادر فلا يملأ بطنه
من ثمرة يده ويحرم عليه تذوقها ولا يملأ خزانته من المال الذى
جمعه من دمه وعرقه ويضن عليه بما يكفل له الحياة الرضية
المتواضعة هناك على الحدود يدافع الجنود المخلصون بأذنين الروح

والنفس فى سبيل حماية الوطن العزيز ولا فرق عندهم بين غنى وفقير
ومسلم وقبطى ومصرى وأجنبى

كل من يعيش هنا فى مصر يتحتم عليه حماية مصر. وهنا كوارث
ومصائب تفرق بين الغنى والفقير والعظيم والحقير. وبين المصرى
والأجنبى وبين الرئيس والمرءوس.. فأين من يحمى الضعيف من
غبن القوى والمسكين من احتقار العظيم والمرءوس من غرور الرئيس
هنا الغنى يقتل بسيارته الضرير العاجز ويتخطى الجثة ضاحكا
فأين من ينتقم لهذا الضرير ويحفظ حق العاجز!!..

أيمكن الاعتماد على القانون والعدالة إذا لم يكن فى كل قلب
خفقة من الرحمة وفى كل صدر شعلة من الضمير!!!
ثم ضحكت مردفة.. أتريد أن تصاح المجتمع وحدك؟ يالها
من أمنية؟؟.

فقال: على أن أعمل والذى قلبى بيده.. بيده أيضا مجموعة من
القلوب الخيرة الرحمة وقد تكون أوفر رحمة وإيمانا ومنى!!
فابتسمت أمينة قائلة، جميل هذا التفاؤل يا أخى.. حقق الله
مآربك.. فصمت ثم هز رأسه فى يأس قائلا.. ولكن أين المال.
عندى مشروع هائل.. يحتاج لمال طائل
فقبضت على يده فى حنان قائلة بلمحة هادئة رزينة..

كم من المال يعوزك ؟ وترقبت جوابه وبدل أن يجيبها قال في
إيجاز . وكبرياء .. كثير جدا . وقام من مكانه ليتركها ولاكنها
استوقفته في حنان قائلة بلهجة حب أكيد .. أمين .. عندي من
المال مبلغ كبير جدا فكم يتطلب مشروعا .. فتجهم وجهه وقطب
جبينه وخاطبها بلهجة جافة ؛ أن كبريائي تأبى أن تطلب من أمي
فهل أطلب من مخلوق آخر !!

لا كان أبي ولا كانت أمي .. إذا قدر على ومددت يدي لامرأة
ثم لطم جبينه في عنف قائلا .. لقد خيبت ظني ، كنت أعتقد أنك
بنفسيتي عليمة ... ولما لمح مدامعها تنهمر في سكون خفف من حدته
ولطف لهجته مردفا ...

على كل حال شكرا لك على أريحيتك التي دفعت بك إلى هذه
المجاملة وحول وجهه بعيدا ليخفي اضطرام مشاعره ولاكنها سحبت
يده في رفق قائلة .. أمين .. إني أعتبرك أخي وأكثروا أشعر أنك
قادر على رعايتي وحمايتي وهل هناك فرق بين الأخوة : آسفة .. كنت
أعتقد أنك ستقدر حسن نيتي وتفهم صدق طويتي ، وتذكر مدى
عاطفتي ، فبدأت ثورته وعاد إليه بشره وقال : ثقي أنك إذا منحتني
مبلغا ، ولو ضئيلا من المال ، خسرت حبك كله فصرخت ، لا ، لا ،
وما علاقة المال بالحب

قربت على كتفها في حنو وهو يقول ، يا طفلي العزيزة سيبتفتح
عقلك يوما عن كلمة محتجزة وتدرकिन أنك ابتعت حبك ، تعالى
الحب عن البيع والشراء ، أفهمت ..

قالت : ولكن الحب يمزج بين القلوب والأرواح فلا يعد
هناك أى فارق بين المتحابين !!

قال : أنما للحب مآرب أخرى تفرض نزاهتها على الماديات
بقدر حاجة المرأة إلى الرجل تحبه ، لأن الطبيعة خلقتها بالفطرة
تشعر بهذه الحاجة فاذا مات هذا الشعور مات الحب
قالت : كأنك تجعل الحب ماديًا صرفًا

قال : لا ، إنما أعني أن يبعد الحب عن الغرض ليخلد؛ أخشى
أن يظن عقلك يوما ، أنني أحببتك من أجل مالك ونظر إليها
مشفقًا واستطرد مطيفه ، سميّه ، أحب أن تشعرى دائما ؛ اننى
أحببتك مجردة من طلاء المدينة خاوية من كل مايكفل لك الحياة
الثرية، أريد أن أحبك للحب وأمنحك دمي ومالي من أجل الحب
فان صعب على ذلك فديت الحب بحياتي لأخلد في ذهنك بكرامتي
ورجولتي فأحظى بحبك نقيًا طاهرًا من كل سوء !!

وحركت شفاتها لتتكلم فأشار إليها لتصمت مردفا
انطلق وجه سميّه في اطمئنان مريح وقالت أجل خير لنا أن

نملاً قلوبنا بالحب الصادق الا كيد بدل أن نملاً خزائناً بالذهب
وهنا دخلت أمانى مضطربة فزعة مسرعة قائلة تلغراف باسميه
خير ان شاء الله ؛

واضطربت سمية وقرأت التلغراف ثم ابتسمت قائلة لا بد من
سفرى الليلة ، عندى حفلة بعد الغد فى منزل مدحت باشا
فتجهم أمين وأطرق مليا ساهما كأنه يحاول أن يخفى شيئاً ثم
رفع نظره إليها قائلاً

علام عولت ؟
قالت أسافر الليلة طبعاً

قال وما الضرر لو رفضت هذه الليلة
قالت وهى تتكلف الضحك لا تنسى أننى مطربة ، ومصلحتى
تقضى على بتلبية دعوة عظماء الرجال على الأقل
قال : الأمر لا يتعدى مبلغ من الجنيهات ويدفع لك لقاء سهرة
يقضيها الباشا مع بعض رفاقه المقربين ورفيقاته المقربات
قالت : هو ذاك !

قال : وما الذى يدفعك إلى هذه الصناعة ؟

قالت حاجتى الملحة إلى العيش

قال : وإذا وجدت من يكفل لك العيش والطمانينة

فابتسمت متهمكة قائلة ؛ لقد جربت حظي يا أخي ؛ حاولت أن
أؤدي رسالتي كامراة كريمة مخلصه ؛ ففشلت لأن الرجل ملول
أناني خادع

قال : هذا صحيح لأنك حكمت قلبك دون عقلك وكان الاجر
بك أن تفتحي قلبك وتحكمي عقلك ؛ والآن لا أحب أن نتحدث
فيما لا طائل تحته ، فلك رأيك ، انما أحب أن تجربني حظك مرة
أخرى عن طريق المشاركة الوجدانية والتفكير السليم ؛ رجل أحبك
للحب يريد أن ينتشلك من الاوحال قبل أن تلتخط قدميك ، فانظري
إلى نفسك جيدا وإليه فاذا وجدت نفسك متمسكين عليه بشيء
ارفضيه غير هيابة ، أنه أحبك للحب ولأنها كشفت جوهر روحك
من وراء الصدا الذي علاه من تأثير اضاليل المجتمع ،
فما قولك : قولي الحق ولو كان فيه هلاك ذاك الرجل

قالت : ومن هو ؟

قال : سلى قلبك ؟ ألم يشعر بحرارة قلب يعانقه . ابحي عن
هذا القلب إذا كنت شعرت بحرارته هنا وهناك ..

فاطرت لتخفي مدامعها وغمغمت ، امين ، يوم تزوجت كنت
افهم الحب شيئا محدودا مسافته تبدو من قلبي إلى قلب حبيبي أو زوجي
أما اليوم بعد أن جربت وتعذبت وبكيت وعشت تحت أضواء
الشموع بين اكاذيب القلوب وخدع النفوس وضلال الناس
وجدته شيئا آخر يدرك ركنه ولا اكتمك أننى لم أشعر به إلا

منذ لحظات ولكسني اكذب نفسي واحب ان اظل كذلك إذلو
صدقته انني احببت هلكتي وانا احب ان اعيش آخذاً من الحياة ولا أدع
قال في رزانه — سمي — اتعرفين الحياة ؟ أو كد لك انك
لا تعرفينها إلا إذا احببت لأن الحب هو الحياة ؛ فإذا كنت فشلت
في حياتك الاولى لانك كنت واهمة وكنت بالحب جاهلة والآن
دعي الماضي بخيره وشره ، واعتذري لصاحب 'الحفلة' واعتزلي الغناء
فريعت واضطربت قائلة : اعتزل الغناء أظن الامر سهل إلى
هذا الحد :

قال في جد : انك تحترفين الغناء ليقينك شر الحياة وستجدي
منذ اليوم ما يحملك ويدفع عنك الضر وكل ما اريده منك الآن
إذا كنت احببتني صارحيني وانا على الحالين صابر
فنظرت إليه بعينين دامعتين وهي تغمغم ولكسني اخاف ان
تكون محموماً بحب الشباب ثم لا تليث ان يعود إليك رشك فتراني
أكبر منك سناً ولست وسيمة ولا غنية ؟
فلم يجيبها ونادى . أمانى . فلما جاءته خاطبها
أظن زوجك لا يمانعك من السفر معنا الليلة لكي أعقد قراني
وأعتقد أن أمي سترحب بالعروس وتفرح بها
فابتسمت أمانى وهي تقول .. قرانك أنت ؟
قال : أجل قراني ، أيدعشك هذا ؟
فعانقته في حرارة قائلة : ومن العروس ؟ ولماذا كتمت عني

الامر أتراها ابنة الباشا الذى بعث بسمية اليوم . لا بد . وتقبله
غير تاركة له فرصة للكلام

والتفتت أمانى لتسأل سمية عن حقيقة الامر .. هل ستسافر
حقاً من أجل قران أخيها أم لحفل آخر
ولكنها لم تجدها وخرجت لتناديها

قالت الخادم : لقد خرجت مسرعة ونظرت من النافذة . هاهى
تركب السيارة ونادت ، أمانى ، أمين ، أمين ، سمية خرجت ، كيف
تخرج دون وداعى .. ما الخبر ..

فنظر إليها غاضبا وخرج يعدو وهو يقول ؛ لقد قتلتها من
حيث لا تشعرين ولما لحق بها قبل قيام القطار خاطبها
ماذا دهالك ؟ هكذا تخرجين ودون تحية عابرة على الاقل ؟
قالت : إذا استطعت أن تحطم أصنام التقاليد ، تعال سأصحبك إلى
حيث تريد لتعبد فى محراب الأمن إله الحب والعدالة ، وتركته حائرا
وغابت حيث غاب القطار

زار أهاب صديقه -- محمد -- زوج أمانى فجأة وتحدث
إليه طويلا وكثيرا وقال له فيما قال أنه هرب من القاهرة حيث
عافت نفسه اللهو ولم يعد يطمع إلا فى الحياة المستقرة الهادئة ولشد
ما يحسد زملاءه الذين تزوجوا وسعدوا بينما هو شقى بائس يعيش
كالعريد الشريد وقد خرج من المرض الذى لازمه بعض الشهور
زاهدا فى الحياة راغبا عن كل متعة بعد الذى كابده وعاناه من جراء

المرض الذى ابتلى به من ثمضية الليالى فى المراقص والملاهى وتذكر
محمد ما عاناه بسببه وتحرك فى قلبه شعور البغض والكرهية ولو كمنه
أدرك أن التسامح أفضل وأجدى فلما انتهى أهاب من حديثه نصحه
محمد بالكف عن اللهو والعبث والتفكير الجدى فى تركيز حياته
عن طريق فتاة مهذبة عاقلة تهيم له أسباب الراحة والطمأنينة وصمت
أهاب مليا مفكرا ثم قال ، معك الحق يا صديقي انى أترك لك مقاليد
أمرى وعليك أن تختار لى الفتاة الصالحة وأفضل أن تكون من
هنا إذ لا شك أن الحجاب فى الصعيد اقام حاجز امنيا بين الفتيات
وبين التهمك والاباحية المطلقة واحتج محمد على هذا الزعم بقوله
ان الفضيلة والرذيلة لا علاقة لها بالحجاب أو السفور فقد تكون
فتاة سافرة أعف وأقوى على صيانة شرفها من فتاة مخجبة ترقب
النور من وراء الستر الكثيفة ..

أخيرا أخذ محمد على نفسه عهدا أن يسعى لتزويجه من فتاة
طيبة تتوفر فيها كل ما يشتهيه رجل عاقل على شريطة أن يروض
نفسه على التعفف وأن يبتعد عما ينبه شيطانه

ولم يكف ينصرف أهاب حتى اختلى محمد بزوجته وصارحها
برغبة صديقه وكلفها أن تبحث عن عروس من أسرة طيبة فوعده
على شريطة ألا يخبر صديقه بأنه اعتمد على زوجته لكي لا يشك
فى حسن نيتها لأنه يعلم أنها صديقة زوجها الأولى وقد يوجس فى
نفسه خيفة منها ، ولما اقتنع زوجها بصحة نظريتها عول على اخفاء

الأمر عنه معتمداً على ذوق زوجها وحسن اختيارها وقد صبح عزمها
فعلا على أن تختار له فتاة وسيمة مهذبة من أسرة طيبة لكي ينسى
بها جميع الفتيات فلا يعود لمضايقتهن

وبعد أيام قلائل تأهبت للخروج وقبل مغادرة بيتها فاجأتها
— تهاضر — وطلبت إليها أمانى أن تصحبها معها عليها تعينها على
اختيار فتاة تصلح زوجها لأهاب وحدثتها حديثا مستفيضا عن
استقامته وجنوحه للاعتدال والعفة وأبانت لها حسن نيتها ومبلغ
اهتمامها باختيار الفتاة لكي يرتدع ويتخلى عن مهازل الحياة

ولكن — تهاضر — أثبت الذهاب معها بدعوى أنه لا يستحق
منها أى مساعدة وأنها لو استطاعت أن تنتقم منه لفعلت دون تردد
فاغتصبت أمانى بسمة وهي تقول ؛ ولكن المفروض أن
تكون المرأة رحيمة متسامحة قالت تهاضر فى حدة إلا فى الحب
يا أمانى ، كيف أرحم من قتلنى ؟ أنا انسان ولست بإله ؛ ثم أشاحت
بوجهها لتخفى مدامعها التى انهمرت فى غزارة فأشفقت عليها أمانى
وهي تعلم خبيثة صدرها وتقدر شعورها وحاولت أن توارى ألمها
المكبوت وقالت ، فى دعابة متكلفة الضحك ؛ ولكنهم يـقـولون
يا عزيزتى أن من يحب لا يكره ولا أخالك إلا تحبينه ؟؟

فاعتراها شبه وجوم وبان المما الممض من عينيها فى دموعها
وغمغمت بصوت مخنوق . لا قالت أمانى وهي تمر بأصابعها فى
لطف على شعرها ، هذه دموع الحب والحنين يا تهاضر

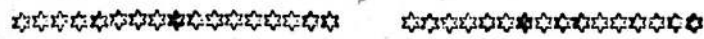
فأجابتها والالم يمتزج بألفاظها ، لقد احببته فيما مضى حب
العباد لمعبوده وهو الرجل الوحيد الذى أوليته حى وحنانى
فصمت امانى ملتاعة وقد حز فى نفسها ما تعانيه المسكينة واستعادت
الشعور الذى ألم بها ردحا من الزمن ، شعور خيبة الأمل وراحت
تفكر فيما عساها ان تفعله لتوفق بينهما من جديد لتكمل رسالة
الخير من اجل الخير واخيرا قالت ، هي انه خطبك اتقباين ؟
قالت : لقد كانت هذه امنيتى فيما مضى ، اما الآن فمحال !!!
فقاطعتها امانى ، قلت لى مرة انك كرهته لخيانته فاذا ثبت لك
انه تحول من المجنون إلى الصلاح اتغفرين ؟
فأجابتها : كنت اظن اننى كرهته ولكن الأيام لم تستطع ان
تكسح حبه من قلبي ، انى اكره الخيانة فيه واحب الحب الذى
احببته فيه . احبه للحب واكرهه للخيانة
فابتسمت امانى على مضض وهى تقول ، قولى انك مازلت
تحيينه وكفى لأن الخيانة شبح زائل امام قوة الحب الصارم ؛ فاذا
عاد إليك غفرت له كل شيء
تماضر : لا اظن يا امانى ، لأن المرأة تنسى كل شيء إلا خيانة من تحب
أمانى — حقا . انما هناك عاطفة جارفة تكسح كل شيء لتبقى
أبدأ حبة موسومة بطابع الخلود . وعاطفتك من هذا النوع الأبدى
وراحت تحدثها حديثا طيبا عنه ناظرة إليها بعين الفاحصة
الدارسة لترى مبلغ تأثيرها

وهنا قاطعتها تماضر، لقد تأخرت دعيني أنصرف وسأعود إلى زيارتك
فابتسمت أمانى فى لطف وهى تقول : إن أخرج اليوم لقد
فات الميعاد وصمتت برهة ثم قالت : أظنه لا يعرف أخيك
قالت : لا ولا يعرف أن لى أخا أيضا وقد قطعت عنه أخبارى
منذ افترقنا على أثر اكتشاف فى خيانتته عندما رأته فى السينما يصحب
فتاة وكنت جالسة خلفه وقد دخلت فى الظلام فلم يتبيننى وسمعته
يهمس إليها بكلمات حب تدفع الحجرة فى وجه الحسناء وهى الكلمات
التي كان يلقيها على مسمعى دائما : النهاية ؛ لا احسب إلا أن الله سينتقم
لى منه ، ومن يدري فهناك عشرات الفتيات اللاتي ذهبن ضحية خداعه
وهكذا راحت تسوق إليها بعض تصرفاته المريبة حتى انتهى
بهما الحديث على أن يلتقيا قريبا

حضر أهاب بناء على طلب دعوة محمد لعقد قرانه بعد أن تبادلا
الرسائل بهذا الشأن — قال أهاب : ألا يمكن أن أراها أخشى
أن تكون دميمة ؟

محمد : لا لقد رأيتها فى عرس ابنة حسن بك وقد لفت نظرى
جمالها أنا الذى لا يسترعى نظرى غير الجمال النادر وهى على جانب
كبير من الثقافة ربيبة بيت اتخذ الفضيلة دينها وهى لا تخرج
من دارها إلا بصحبة شقيقها لأمر هام فان شئت أن تعتمد
على فلا مانع وإلا فاعتمد على غيرى — وكان محمد يتكلم بحماسة

وصدق من تأثير زوجه التي صورت له العروس ملكاً هبط من السماء
وآمن أهاب بقول صديقه لا اعتقاده انه لا يكذب ابدا
ولكنه قال : إذن لن أراها قبل عقد القران
محمد: اجل لقد حاولت جهدي أن احملهم على السماح لك برؤيتها
ولكن عبثا ؛ لأن تقاليدهم لا تبيح ذلك
اهاب — إذن لتكن مشيئة الله



قدم محمد صديقه اهاب إلى شقيق العروس
فارتاح — اهاب — إلى اخلاقه الدمثة ونبل نفسه وهدوء
طبعه وابقن ان الله سيعوضه خيرا
وفي اليوم التالي عقد القران في هدوء شامل دون أى ضجة
حسب رغبة امانى التي اوحتها إلى زوجها سرا
وعلى اثر عقد القران طلب الزوج ان يرى العروس حيث اصبحت حليته
وصحب محمد صديقه الذى سار بجانبه طروب القلب مطمئن
النفس شاعرا بأن الدنيا تبسم له والقدر يضحك والدهر يحشو عند
قدميه خاضعاً

وواجه العروس التي وقفت في تهيب وخفر ومديده ليرفع
الغلالة الشفيفة فاذا به وجها لوجه .. امام تماضر
وظل نظره محمقا فيها يكاد لا يعي شيئا مما حوله بينما اطرقت حياها
وانسحبت امانى وهي تتنفس الصعداء !!!

للمؤلفة

تقد	سعادة المرأة (تدبير منزلي)
يطلب من المؤلفة ٢٥	مرشد الفتاة ، ، ،
تقد	النسمات (مقالات اجتماعية)
يطلب من المؤلفة ٥	الطائر الحائر قصة تحليلية مصرية
٧ ، ، ،	مدى أحلامى (ديوان شعر)
١٠ ، ، ،	الاميرة قصة عصرية تحليلية
٥ ، ، ،	المرأة الرحيمة قصة مسرحية
١٠ ، ، ،	الراعية مجموعة قصص

تحت الطبع

هندية وقصص أخرى
لنقات قلبى (ديوان شعر)

— استدراك : — وقعت بعض أخطاء مطبعيه بسيطه لا تخفى على

فطمة القارىء اللبيب ؟